المجلد الثالث

خطب الشيخ





قدم له فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

وفضيلة الشيخ
عبد الحميد كشك
رحمه الله

وفضيلة الشيخ
محمد صفوت الشوادفي
رحمه الله

دار ابن رجب

دار الفوائد



منتدى إقراء الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)



الجزء السابع

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٧٦٢٦ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 6 - 057 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى[1].

« وَلَقَدْ جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلافٍ ، وَمَا فِيهِمْ إلا مَنْ رَقَّ قَلْبُهُ ، أَوْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ ؟!

فَصِحْتُ بِلِسَانِ وَجْدِي : إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالعَذَابِ غَدًا فَلا تُعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي ، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لا لِأَجْلِي ، لِئَلا يَقُولُوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ » .

(١) صيد الخاطر : ص (١٨٦) طبعة دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ محمد حسان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

ثم أما بعد :

فالحياةُ تمضي مُسْرعة .. ومعظمُ أهلِها فى غفلةٍ عَمَّا هو آت !!

نعم .. أرحام تَدْفَعُ وأرض تَبْلعُ .. أُناس يأتون وآخرون يرحلون !!

مَثَلهُمْ فى ذلك كَمثل أَمواج البحر المتتابعة .. كلما انكسرتْ على الشَّطِ مَوجَةٌ تَبِعتْها مَوجةٌ أخرى .. أو كتيار النَّهر الجاري الذي لا يتوقف .. فالماءُ الذي تراه اللحظة .. غير الماء الذى رأيتَه قَبل لحظة !!

وحتمًا سيأتي اليوم الذي ينتهي فيه الوجودُ كُلُّه .. ويقوم الناسُ جميعًا بين يدي الله ﷻ .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[إبراهيم : ٤٨]

فأحببتُ أن أذكِّر نفسي وأُمَّتي بهذه الحقيقة من خلال هذه السلسلة العلمية المهمة التي تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي الذي يحرك القلوب لا سيما ونحن نعيش الآن زمانًا طغت فيه الماديات والشهوات ، وانصرف كثير من الناس

عن طاعة رب الأرض والسماوات ، وذهب الخوف من القلوب فتراكمت الذنوب على الذنوب !!

فطوبى لمسلمٍ عاقل حاسبَ اليومَ نفسه ووقف على حقيقةِ دار الغرور واستعد ليوم البعث والنشور .

والحديث عن الدار الآخرة ليس من باب الترف الفكري أو الثقافة الذهنية الباردة التي لا تتعامل إلا مع العقول فحسب !!

بل إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به ومما لا شك فيه أنه لو استقرت حقيقةُ الإيمان بهذا اليوم في قلب العبد وعَلِمَ أنه موقوف حتمًا بين يدي الله تعالى يومًا ليقول له : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤] دفعه ذلك الإيمان والعلم إلى الاستقامة على منهج الله ورسوله ﷺ.

وقد حَرصْتُ على أن تكون هذه السلسلة الكريمة التى تبدأ بالموت وتنتهي بالجنة - جعلنا الله من أهلها - حرصت أن تكون مختصرة ، سهلة العبارة ، مرتبة الأحداث ؛ ليعيش معها القارئ مرة أخرى عبر السطور كما عاش معها قبل ذلك مسموعة عبر شرائط

الكاسيت .

وقد اكتفيت بما صحَّ من الأحاديث والآثار ففيه الكفاية والغنى .

فإن وفقت فمن الله وحده ، وما كان منها من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان ، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون عليه إلى الجنة ويلقى به فى جهنم . ثم أعوذ بالله أن أذكر به وأنساه .

وأسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يتقبل منا جميعًا صالح الأعمال وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

بسم الله الرحمن الرحيم

المــوت

الحمد لله الذي أنهى بالموت آمال القياصرة ، فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمات اللحود ، ومن ملاعبة الجواري والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم في ألوان الطعام والشراب إلى التمرغ في ألوان الوحل والتراب !!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ينادي يوم القيامة بعد فناء خلقه ويقول : **أنا الملك ..!! أنا الجبار ..!! أنا المتكبر ..!!**

ثم يقول : لمن الملك اليوم ..؟؟! فيجيب على ذاته سبحانه !! لله الواحد القهار .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أدَّى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة فكشف الله به الغمة ولبى نداء ربه حتى أجاب مناديه ، ومشى طوال أيامه ولياليه على شوك الأسى يخطو على جمر الكيد والعنت ، يلتمس الطريق لهداية الضالين وإرشاد الحائرين ،

حتى عَلَّم الجاهل ، وَقوَّم المعوج ، وَأمَّن الخائف ، وطَمْأن القلق ونشر أضواء الحق والخير والتوحيد والإيمان كما تنشر الشمس ضياءها في سائر الأكوان .

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه ، رفع الله له ذكره وشرح صدره وزكَّاه ربه على جميع خلقه ، ومع ذلك خاطبه ربه بقوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر – ٣٠]

اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فحياكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء ، وأيها الأخوة الأحباب الأعزاء ، وطبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا ، وأسأل الله العظيم جل وعلا الذي جمعني وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

في رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية هامة تجمع بين المنهجية والرقائق ، وبين التأصيل العلمى والأسلوب الوعظي تبدأ هذه السلسة بالموت وتنتهي بالجنة .

وقد تحتاج هذه السلسلة إلى جهد شاق حتى تتضح لنا معالمها ، لذا فإن الموضوع جد خطير ومن الأهمية بمكان ، لذا أستحلفكم بالله الذي لا إله إلاَّ هو .. أن تعيروني قلوبكم وعقولكم وأسماعكم ؛ حتى نقف على أهميتها ونسأل الله التوفيق ، ونسأله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ويجعلنا من الذين قال فيهم الله ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أيها الأحبة الكرام

وسوف أستهل هذه السلسلة بالحديث عن الموت ؛ فهذه هي المرحلة الأولى في هذه الرحلة الطويلة .

أيها الخيار الكرام :

لقد بين الله جَلَّ وَعَلَا لنا الغاية التي من أجلها خلقنا فقال سبحانه

وتعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

بل وبين لنا حقيقة الدنيا التي جعلها محل اختبار لنا فقال سبحانه : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠]

وأكد الحبيب المصطفى هذه الحقيقة في حديثه الصحيح الذي رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال ﷺ : « **لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ** »[1].

فالدنيا حقيرة عند الله أعطاها للمؤمن والكافر على السواء ، فلو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا قط شربة ماء واحدة ، لذا كان المصطفى ﷺ يوصي أحبابه بعدم الركون والطمأنينة إلى هذه الدار الفانية لا محالة ، كما أوصى بذلك عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – كما في صحيح البخاري : « **كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** » ، وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي رقم (٢٣٢١) في الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ ، وابن ماجة رقم (٤١٠ ٢) في الزهد ، باب مثل الدنيا ، وهو في صحيح الجامع رقم (٥٢٩٢) .

المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

ورحم الله من قال :

إِنَّ لِلَّـهِ عِبَـادًا فطنَـا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا
نَظَـرُوا فِيهَـا فَلَمَّا عَلِمُـوا أَنَّهَـا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَـا
جَعَلُوهَـا لجُـةً وَاتَّخَـذُوا صَالِـحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

فالفطناء العقلاء هم الذين عرفوا حقيقة الدار ، فحرثوها وزرعوها ... وفى الآخرة حصدوها .

فالذم الوارد في القرآن والسنة للدنيا لا يرجع إلى زمانها من ليل ونهار فلقد جعل الله الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا ، والذم الوارد للدنيا في الكتاب والسنة لا يرجع إلى مكانها ألا وهو الأرض ، إذ أن الله قد جعل الأرض لبني آدم سكنًا ومستقرًّا .

والذم الوارد في القرآن والسنة لا يرجع إلى ما أودعها الله ﷻ من خيرات ، فهذه الخيرات نعم الله على عباده وجميع خلقه .

إنما الذم الوارد في القرآن والسنة يرجع إلى كل معصية ترتكب في حق ربنا جَلَّ وَعَلَا .

إذا لابد وحتما من تأصيل هذا الفهم الدقيق لا سيما لإخواننا الدعاة وطلاب العلم الذين ربما يغيب عن أذهانهم حقيقة الزهد في هذه الحياة

الدنيا ، فنحن لا نريد أن نُقنِّت أحدًا من هذه الدنيا ، ولا نريد أن نثبت لعامل في هذه الدنيا ولو كان في الحلال أنه قد تجاوز عن طريق الأنبياء والصالحين والأولياء ... كلا ..! كلا ..!! بل الدنيا مزرعة للآخرة .

تدبر معي قول علي ﷺ وهو يقول : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن أخذ منها ، الدنيا مهبط وحي الأنبياء ومصلى أنبياء الله ومتجر أولياء الله .

فالدنيا مزرعة للآخرة فتدبر معي هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أنس قال النبي ﷺ : « **ما مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ** » [1].

إذًا لابد من هذا التأصيل والفهم العميق لحقيقة الدنيا ، لننطلق من هذه الدار الفانية إلى دار تجمع بين سلامة الأبدان والأديان .. دار القرار .

فلابد قبل العبور إلى دار القرار من المرور من دار الفناء ، فالدنيا دار ممر والآخرة هي دار المقر ، الدنيا مركب عبور لا منزل حبور ، الدنيا دار فناء لا دار بقاء ، لابد من وعي هذه الحقيقة التي لا مراء فيها ؛ لنزرع هنا بذورًا ، لنجني هنالك ثمارًا .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٣٢٠) في الحرث والمزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، ومسلم رقم (١٥٥٣) في المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع ، والترمذي رقم (١٣٨٢) في الأحكام ، باب ما جاء في فضل الغرس .

فاعلم **أيها الحبيب** هذه الحقائق جيدًا ، وكن على يقين جازم بأن الحياة في هذه الدنيا موقوتة محدودة بأجل ، ثم تأتي نهايتها حتمًا لابد ، فيموت الصالحون .. ويموت الطالحون .. يموت المجاهدون .. ويموت القاعدون .. يموت المستعلون بالعقيدة .. ويموت المستذلون للعبيد .. يموت الشرفاء الذين يأبون الضيم ويكرهون الذل ، والجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن .. الكل يموت .

قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ - ٢٧]

فلابد أن تستقر هذه الحقيقة في القلب والعقل معًا ، إنها الحقيقة التي تعلن بوضوح تام على مدى الزمان والمكان في أذن كل سامع وعقل كل مفكر أنه لا بقاء إلا للملك الحي الذي لا يموت ، إنها الحقيقة التي تصبغ الحياة البشرية كلها بصبغة العبودية والذل لقاهر السماوات والأرض !!

إنها الحقيقة التي شرب كأسها تباعًا الأنبياء والمرسلون بل والعصاة والطائعون !!

إنها الحقيقة التي تذكرنا كل لحظة من لحظات الزمن بقول الحي الذي لا يموت : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨]

أيها الحبيب : تذكر هذه الحقيقة ولا تتغافل عنها إذ أن النبي أمرنا أن نكثر من ذكرها كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم وغيرهم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذاتِ (الموت)** »[1] .

إنها الحقيقة التي سماها الله في قرآنه بالحق فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ١٩ - ٢١]

لا إله إلا الله ... الله أكبر ... الله أكبر

إن للموت لسكرات ... هل علمت إن هذه الكلمات قالها حبيب رب الأرض والسماوات وهو يحتضر على فراش الموت ؟

روى البخاري عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : مات رسول الله ﷺ بين حاقنتي وذاقنتي وكان بين يديه ركوة (علبة) بها ماء فكان يمد يده في داخل الماء ويمسح وجهه بأبي هو وأمي ويقول : « **لَا إِلَهَ إِلَّا الله إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ** »[2] .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي رقم (٢٣٠٨) ، في الزهد ، باب ما جاء فى ذكر الموت ، والنسائى (٤/٤) ، في الجنائز ، باب كثرة ذكر الموت ، وهو في صحيح الجامع رقم (١٢١٠) .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٤٤٤٩) ، في المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٤١٨) في الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر، والترمذى رقم =

هكذا يقول حبيب رب الأرض والسماوات إن للموت لسكرات !! حبيب الرحمن يذوق سكرة الموت ، فما بالنا نحن ؟!!

وفي رواية الترمذي كان الحبيب ﷺ يقول : « **إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ** » .

وفى رواية كان ﷺ يدعو الله ويقول : « **اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى سَكَرَاتِ المَوْتِ** »

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ : وما أدراك ما السكرات ..! وما أدراك ما الكربات ..! في هذه اللحظات يزداد الهم والكرب ، في لحظات السكرات إذا نمت يا ابن آدم على فراش الموت ورأيت في غرفتك التي أنت فيها دون أن يرى غيرك ، رأيت شيطانًا جلس عند رأسك يريد الشيطان أن يضلك عن كلمة الإخلاص « **لا إله إلا الله** » يريد الشيطان أن يصدك عنها ، يقول لك : مُت يهوديًّا فإنه خير الأديان ، يقول لك : مُت نصرانيًّا فإنه خير الأديان .

واستدل أهل العلم على ذلك بصدر حديث صحيح رواه الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ الشَّيطَانَ يَحْضُرُ كُلَّ شَيْءٍ لابنِ آدَمَ** ..» .

بل وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية – طَيَّبَ الله ثراه – عن مسألة عَرْض

= (٩٧٨ ، ٩٧٩) ، في الجنائز ، باب ما جاء في التشديد عند الموت ، والنسائي (٤/٦، ٧) ، في الجنائز ، باب شدة الموت .

الأديان على ابن آدم في فراش الموت ، فقال في مجموع الفتاوى[1] : من الناس من تعرض عليه الأديان ومنهم من لا يعرض عليه شيء قبل موته ، ثم قال : ولكنها من الفتن التي أمرنا النبي أن نستعيذ منها في قوله ﷺ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ** »[2].

فمن فتن الموت أن يأتيك الشيطان ليصدك عن لا إله إلا الله ، ليصدك عن كلمة التوحيد ، هذه من الكربات ، هذه من أشد السكرات على ابن آدم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هل علمت أخي في الله أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل حينما نام على فراش الموت ذهبت إليه الشياطين لتنادي عليه بهذه الكلمات ، قال عبد الله ولده : حضرت وفاة أبي فنظرت إليه فإذا هو يغرق ثم يفيق ثم يشير بيده ويتكلم ويقول : لا بَعْد ..!! لا بَعْد ..!! .

فلما أفاق في صحوة بين سكرات الموت وكرباته ، قال له ولده عبد الله : يا أبتي ماذا تقول ؟! تقول لا بعد ، لا بعد ..!! ما هذا ؟!!

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٢٥٥) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٣٧٧) ، في الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم رقم (٥٨٨) ، في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، والترمذي رقم (٣٥٩٩) ، في الدعوات ، باب الاستعاذة من جهنم ، والنسائي (٨/٢٧٦،٢٧٥) ، في الاستعاذة ، باب الاستعاذة من عذاب جهنم .

أتدرى ماذا قال إمام أهل السنة ؟؟

قال لولده : يا بني شيطان جالس عند رأسي عاضٌّ على أنامله يقول لي : يا أحمد لو فتني اليوم ما أدركتك بعد اليوم وأنا أقول له : لا بعد ، لا بعد حتى أموت على لا إله إلا الله .

فإذا كنت حقا من المؤمنين الصادقين .. من الموحدين المخلصين وجاءتك الشياطين ثبتك رب العالمين ، وأنزل إليك ملائكة التثبيت ، كما في حديث البراء بن عازب الصحيح ، وسأذكر الحديث بتفصيله لاحقًا إن شاء رب العالمين ، إلَّا أن محل الشاهد فيه الآن أن النبي ﷺ أخبر : « **أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ جَاءَتْهُ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ فَيَجْلِسُونَ مِنَ المُؤْمِنِ مَدَّ البَصَرِ حَتَّى يَأْتِي مَلَكُ المَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَيُنَادِي عَلَى رُوحِهِ الطَّيِّبَةِ وَهُوَ يَقُولُ : أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيبةُ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِري بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ رَاضٍ عَنْكِ غَيْر غَضْبَانَ ، فَتَخْرُجُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ سَهْلَةً سَلِسَةً كَمَا يَسِيلُ المَاءُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ فَلا تَدَعُهَا المَلَائِكَةُ فِي يَدِ مَلَكِ المَوْتِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، ثُمَّ تَرْقَى بِهَا إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا ..** »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٣٦٩ ، ٤٦٩٩) ، في الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم رقم (٢٨٧٠) ، في الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وأبو داود رقم (٣٢٣١) ، في الجنائز ، باب المشى في النعل بين القبور ، والنسائي (٩٧/٤) ، في الجنائز ، باب مسألة الكافر .

هكذا أيها الأحبة ..

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]

ولقد سجل الله هذه البشارة للموحدين في قرآنه العظيم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]

قال ابن عباس : القول الثابت هو لا إله إلا الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء .

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩]

والحق أنك تموت والله حي لا يموت ، الحق أن ترى عند موتك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب . ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ﴾.

والحق أن يكون قبرك روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ذلك ما كنت منه تهرب .

تحيد إلى الطبيب إذا جاءك المرض ، وتحيد إلى الشراب إذا أحسستَ بالظمأ ، ثم ماذا أيها القوي الفَتِي ؟! ثم ماذا أيها العبقري الذكي ؟! ثم ماذا أيها الوزير والأمير ؟! ثم ماذا أيها الكبير والصغير ؟! ثم ماذا أيها الغني والفقير ؟!

اسمع يا هذا وذاك :

كُـلُّ بَـاكٍ فَسَـيبْكى ... وَكُـلُّ نَـاعٍ فَسَـيُنعَى

كُلُّ مَذْكُـورٍ سَيُنْسَى ... لَيْسَ غَـيْرُ اللهِ يَبْقَـى

مَـنْ عَـلَا فَاللـهُ أَعْلَى

أَيَا مَـنْ يَـدَّعِ الفَهْـم ... إِلَى كَمْ يَا أَخِي الوَهم

تَعِبُّ الذَّنْبَ وَالذَّنب ... وَتُخْطِئُ الخَطَـأَ الجَـم

أَمَا بَانَ لَـكَ العَيْب؟ ... أَمَـا أَنْـذَرَكَ الشَّـيب

وَمَـا فِي نُصْحِـهِ رَيْب

أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوت ... أَمَـا نَادَى بِكَ المَـوْتْ

أَمَا تَخْشَى مِنَ الفَوْت ... فَتَحْتَـاطَ وَتَهْتَـم

فَكَـمْ تَسَيرُ فِي الهَـوَى ... وَتَخْتَـالُ مِـنَ الزَّهْـو

كَـأَنِّي بِـكَ تَنْحَـط ... إِلَـى اللَّحْـدِ وَتَنْغَط

وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهـطـ إِلَـى أَضـيْقِ مَنْ سَم
هُنَـاكَ الجِسْمُ مَمْدُود لِيَسْتَأْكِلَـهُ الـدُّود
إِلَـى أَنْ يَنْخُـرَ العُـود فَيُمْسِي العَظْمَ قَدْ رَم
فَـزَوِّدْ نَفْسَكَ الخَـيْر وَدَعْ مَا يَعْقِبُ الضَّيْر
وَهَيِّئ مَرْكِبَ السَّـيْرْ وخَـفْ مِنْ لُجَّـةِ اليَم
بِذَا أُوصِيكَ يَا صَاحِ وَقَـدْ بحتـكَ مِنْ بَاح
فَطُـوبَى لِفَـتى رَاحِ بِقُـرْآنِ الـرَّبِّ يَهْتَم
وَبِآدابِ مُحَمَّـدٍ يَأْتَـم

وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾

[القيامة : ٢٦ - ٣٠]

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴾ إذا بلغت الروح الترقوة وَقِيلَ ﴿ مَنۡۜ رَاقٖ ﴾ من يرقيه ؟!! من يرقى بروحه ؟!! ملائكة الرحمة ؟ أم ملائكة العذاب ؟ .

من يبذل له الرقية ؟ من يبذل له الطب والعلاج ؟! فهو من هو ؟!! صاحب الجاه والسلطان ! صاحب الأموال والأطيان ! انتقل في طيارة خاصة إلى أكبر مستشفى في العالم ، التف حوله أكبر الأطباء ، هذا

متخصص في جراحة القلب والبطن ، وهذا متخصص في جراحة المخ والأعصاب ، وهذا متخصص في كذا ، وذاك متخصص في كذا !! .

التف حوله الأطباء يريدون شيئًا وملك الملوك أراد شيئًا آخر .

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[الأعراف : ٣٤]

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[النساء : ٧٨]

والتف حوله الأطباء مرة أخرى ، كل يبذل له العلاج والرقية !!

ولكن حاروا وداروا !!

اصفر وجهه ، شحب لونه ، بردت أطرافه ، تجعد جلده ، بدأ يشعر بزمهرير قارس يزحف إلى أنامل يديه وقدميه !!

فينظر في لحظة السكرة والكربة فيرى الغرفة التي هو فيها مرة فضاءً موحشًا ومرة أخرى أضيق من سم الخياط .

وينظر مرة فيجد أهله يبتعدون عنه وأخرى يقتربون منه ، اختلطت عليه الأمور والأوراق !!

من هذا ..؟!! ملك الموت !! ملك الموت عند رأسه ، ومن هؤلاء الذين يتنزلون من السماء ؟!!

إنه يراهم بعينه ، إنهم الملائكة !! يا ترى ملائكة الرحمة أم ملائكة

العذاب ؟!!

يا ترى ماذا سيقول ملك الموت ؟!!!

هل سيقول لي الآن : يا أيتها الروح الطيبة ! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ورب راض غير غضبان ؟!!

أم يقول يا أيتها الروح الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وعذابه ؟

ينظر لحظة الصحوة بين السكرات والكربات ، فإذا هو يعي من حوله من أهله وأحبابه فينظر إليهم نظرة استعطاف !! نظرة رجاء !!

فيقول بلسان الحال وربما بلسان المقال : يا أولادي .. يا أحبابي .. يا إخواني لا تتركوني وحدي ، ولا تفردوني في لحدي !!

أنا أبوكم ، أنا الذي بنيت لكم القصور !! أنا الذي عَمَّرت لكم الدور! أنا الذي نمَّيت لكم التجارة !! فمن منكم يزيد في عمري ساعة أو ساعتين ؟

فدُّوني بأموالي .. فدُّوني بأعماركم !!

وهنا يعلو صوت الحق كما قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [الحاقة : ٢٨ - ٢٩]

وقد سجل التاريخ لهارون الرشيد عندما نام على فراش الموت فنظر إلى جاهه وماله وقال : ما أغنى عني ماليَه .. هلك عني سلطانيَه !!

ثم قال : أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه !!

فحملوه إلى قبره ، فنظر هارون إلى القبر وبكى ونظر إلى السماء وقال : يا من لا يزول ملكه ... ارحم من قد زال ملكه .

أين الجاه ؟! أين السلطان ؟! أين المال ؟! أين الأراضي والأطيان ؟! ذهب كل شيء !!

سبحانه ... سبحانه ... سبحانه .

سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان من كتب الفناء على جميع خلقه ، وهو الحي الذي لا يموت .

سبحانك يا من ذلَّلْت بالموت رقاب الجبابرة .

سبحانك يا من أنهيت بالموت آمال القياصرة .

﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴾ : من يرقى بروحه ؟!! أو من يبذل له الرقية والعلاج ؟!!

وقال سبحانه : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ .

إنه يوم المرجع .. إنه يوم العودة ... انتهى الأجل ... انتهت الدنيا وحتمًا ستعرض على مولاك .

سأل سليمان بن عبد الملك عالمًا من علماء السلف يقال له : أبو حازم ، قال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟!

قال أبو حازم : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم أخراكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب !!

أحبتي في الله :

في زيارة إلى أمريكا نبهني أحد القائمين على الدعوة هناك برجل مَنَّ الله عليه بالأموال ، وهو مسلم عربي ومع ذلك لا يصلي ، ولا يعرف حق الكبير المتعال ، ذهبت إليه لأذكره بالله فقال لي بلسان المقال : أنا أتيت إلى هذه البلاد من أجل الدولار ، وأعدك إن عدت إلى بلدي لا أفارق المسجد قط .

قلت : سبحان الله ... ومنْ يضمن لك يا مسكين أنك سترجع إلى بلدك ؟!! ، أو أن يمر عليك يوم بكامله ؟!!!

والله لا تضمن أن تتنفس بعد هذه اللحظات .

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنْ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ

لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

وَالرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أَوْدِعتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ

وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يُذْهَبُ

اللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

دنياك مهما طالت فهي قصيرة .. ومهما عظمت فهي حقيرة .. لأن

الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر .. ولأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر .

ثم سأل سليمان بن عبد الملك ، وقال : يا أبا حازم كيف حالنا عند الله تعالى ؟!!

قال : اعرض نفسك على كتاب الله .

قال سليمان : أين أجده ؟!!

قال : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾

[الانفطار : ١٣ - ١٤]

قال سليمان بن عبد الملك : فأين رحمة الله يا أبا حازم ؟!!

قال أبو حازم : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦]

فقال سليمان بن عبد الملك : فكيف عَرضُنا على الله غدًا .

قال : أما المحسن فكالعبد الغائب من سفر يقدمُ على أهله ، فيستقبله الأهل بفرح ، والمسيء كالعبد الآبق يقدِمُ على مولاه .

وفى الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءِ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ » .

قالت عائشة : يا رسول الله أكراهية الموت ؟ كلنا يكره الموت .

قال : « لَا يَا عَائِشَةُ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ الله وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ

لِقَاءَ اللهِ ، وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِسَخَطِ اللهِ وَعَذَابِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ »[1] .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ واحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِي ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرُ صَالِحَةٍ ، قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا ، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهُ صُعِقَ »[2] اللهم سلم .. سلم .

أيها اللاهي .. أيها الساهي .. أيها الشاب .. أيها الكبير .. أيها الصغير .. أيها الأمير .. أيها الوزير .. أيها الحقير ..

ذكر نفسك ، وقل لها !!

يَا نَفْسُ قَـدْ أَزِفَ الرَّحِيـلُ ... وَأَظَلَّكِ الخَطْبُ الجَلِيـلُ

فَتَأَهَّبِـي يَا نَفْـسُ لَا ... يَلْعَبُ بِكِ الأَمَـلُ الطَّوِيـلُ

فَلَتَنْـزِلَـنَّ بِمَنْـزِلٍ ... يَنْسَى الخَلِيـلُ بِـهِ الخَلِيـلُ

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥٠٧) ، في الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومسلم رقم (٢٦٨٣) ، في الذكر والدعاء ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، والترمذي رقم (١٠٦٦) في الجنائز ، باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، والنسائي (٤/١٠) ، في الجنائز ، باب فيمن أحب لقاء الله .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري رقم (١٣١٤) ، في الجنائز ، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء ، والنسائي (٤/٤١) ، في الجنائز ، باب السرعة بالجنازة .

وَلَيَرْكَبَـنَّ عَلَيْـكِ فِيــــهِ مِنَ الثَّرَى حِمْــلٌ ثَقِيــــلُ
قُــرِنَ الفَنَــاءُ بِنَـا جَمِيعًــا فَلَا يَبْقَى العَزِيزُ وَلَا الذَّلِيلُ

وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا نبيه ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد ... فيا أيها الأحبة الكرام ...

هكذا تبدأ رحلتنا في رحاب الدار الآخرة بالموت بعدما بَيَّنا بإيجاز حقيقة الدنيا وتنتهي هذه المرحلة الأولى بالوصول إلى القبر ، وها أنا سأقف معكم إن شاء الله تعالى لاحقا أمام القبر ، وحقيقة القبر ، وما معنى البرزخ وما معنى النعيم ، وما معنى الجحيم ، ولماذا لم يذكر الله عذاب القبر صراحة في القرآن ؟ وهل ثبتت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ ؟ وما هي حقيقة القبر؟ وما هي حقيقة البعث ؟ لنواصل هذه الرحلة التي هي من الأهمية بمكان .

ها أنا ذا أذكر نفسي أولًا ثم إخواني وأحبابي في هذه اللحظة بالتوبة

والإنابة إلى رب الأرض والسماوات وأقول :

يا من أسرفت على نفسك بالمعاصي !!

يا من تركت الصلاة في بيوت الله !!

يا من تركتِ الحجاب الشرعي وضيعت الصلاة !!

يا من شغلك هُبَل العصري - التلفاز - والشيطان عن الله ﷻ !!

يا من أعرضت عن مجالس العلم وأماكن الخير والطاعة والعبادة !!

يا من قضيت عمرك على المقاهي وتركت طاعات الله .

تُبْ من الآن إلى الله وسيقبل الله توبتك إن كانت خالصة لوجهه قال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]

أقول لك أخي الحبيب :

تُبْ إلى الله ولا تيأس مهما بلغت ذنوبك ، مهما كثرت معاصيك اطرق باب الرحمن ، فلن يغلقه الله في وجهك قط ما دمت تستغفر وتتوب إليه

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ... ﴾ [النساء : ٤٨]

فعاهد نفسك من الآن على التوبة أينما كنت ألم يقل الله ﷻ ؟!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨]

يقول ﷺ : « **قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِي : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** »[1].

أيها الحبيب ...

اجتهد في الدنيا وَعَمِّر الكون واربح ما استطعت من أموال ولكن بشرطين أن تربح من حلال ، وتؤدي حق الكبير المتعال .

اجتهد في الدنيا وازرع للآخرة ، فأنا لا أريد أن أقنِّتك من هذه الحياة قط وإنما أريد أن أذكر نفسي وإياك بأن الدنيا مزرعة للآخرة ، فلا ينبغي أن ننشغل بالدار الفانية على الباقية ، فغدًا سترحل عن هذه الحياة ولن ينفعك إلا ما قدمت .

« **يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثٌ ، مَالُهُ ، وَأَهْلُهُ ، وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ**

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٣٥٣٤) ، في الدعوات ، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٤٣٣٨) .

يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ »[1].

وينادي عليك في القبر بلسان الحال :

رَجَعُــــوا وَتَرَكُــــوكَ وَ فِـي التُّـرَابِ وَضَعُـوكَ

وَلِلْحِسَـابِ عَرَضُــــوكَ وَلَوْ ظَلُّوا مَعَكَ مَا نَفَعُوكَ

ولم يبقَ لك إلا عملك مع رحمة الحي الذي لا يموت .

.... الدعــاء

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥١٤) ، في الرقاق ، باب سكرات الموت ، ومسلم رقم (٢٩٦٠) ؛ في الزهد في فاتحته ، والترمذي رقم (٢٣٨٠) ، في الزهد .



عـــذاب القبـــر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

(خطب الشيخ محمد حسان جـ٣)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

في رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية كريمة تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي ، الهدف منها تذكير الناس بالآخرة في عصر طغت فيه الماديات والشهوات ، وانصرف فيه كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات .

لعل الغافل أن ينتبه ، ولعل النائم أن يستيقظ قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون .

لقد انتهينا في اللقاء الماضي مع الجنازة وهي في طريقها إلى القبر تتكلم .!! كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ واحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِي ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ ، قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا ، أَيْنَ تَذْهَبُونَ**

بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهُ صُعِقَ »[١] .

وها نحن قد وصلنا بالجنازة إلى القبر ، فقف معي الآن عند القبر وأهوالِهِ وفتنة القبر وأحواله . أسأل الله جل وعلا أن يحفظنا وإياكم من فتنته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وكعادتنا فسوف ينتظم حديثنا اليوم مع حضراتكم في هذه العناصر التالية :-

أولًا : الأدلة على عذاب القبر ونعيمه .

ثانيًا : أسباب عذاب القبر .

ثالثًا : ما السبيل للنجاة من عذاب القبر .

فأعرني قلبك وسمعك أيها الحبيب الكريم ، والله أسال أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولًا : الأدلة على عذاب القبر ونعيمه

نحن اليوم في أمس الحاجة لهذا الموضوع الذي نحن بصدده فهو من الأهمية بمكان لا سيما بعد ما قرأنا على صفحاتٍ سوداء في مقال أسود بعنوان « عذاب القبر خرافات وخزعبلات » !!

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (١٣١٤) ، في الجنائز ، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء ، والنسائي في (٤/ ٤١) ، في الجنائز ، باب السرعة بالجنازة .

هكذا يعنون لمقاله فضيلة الأستاذ الدكتور ثم يتطاول هذا الأستاذ الدكتور الجريء فيقول : إن جميع الأحاديث التي وردت في مسألة عذاب القبر مجرد خرافات !!! ، ثم أظهر جهله الفادح ، فقال : إن عذاب القبر غيب والقرآن بَيَّن لنا أن النبيَّ لا يعلم الغيب !! جهل مركب ..!

معنى ذلك يا فضيلة الدكتور أنه ينبغي أن ننكر ونكذب كل أمر غيب أخبرنا به المصطفى ﷺ ، كالإيمان بالله ، وكالإيمان بالملائكة ، وكالإيمان باليوم الآخر وكالإيمان بالقدر خيره وشره ... إلى سائر الغيبيات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ .

نسي هذا المسكين قول رب العالمين في سيد المرسلين : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٥]

أما تقرأ يا مسكين في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ١ - ٣]

وتمنيت يا فضيلة الدكتور لو قرأت من جديد هذه الآيات ، إن أول صفة من صفات المؤمنين الإيمان بالغيب .

وخرج علينا أستاذ آخر فكتب كتابًا ضخمًا يزيد عن الثلاثمائة صفحة ، ينفي فيه من أول صفحة إلى آخر صفحة عذاب القبر ونعيمه ، بِلَيِّ أعناق النصوص ليًّا عجيبًا ، وها أنا الآن أرد على هؤلاء المتطاولين المكذبين

المنكرين ، الذين قال عنهم الإمام القرطبي والإمام الحافظ ابن حجر : لم ينكر عذاب القبر إلا الملاحدة ، والزنادقة ، والخوارج ، وبعض المعتزلة ، ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة ، وخالفهم جميع أهل السنة .

وقال الإمام أحمد – رحمه الله –: عذاب القبر حق ومن أنكره فهو ضال مضل .

أيها الحبيب : سأقدمُ إليك سيلًا من الأدلة الصحيحة على عذاب القبر من كلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ، ولن أطيل الوقفة مع القرآن ! لماذا ؟! .. لأن القرآن حمَّال ذو أوجه كما قال علي بن أبي طالب لابن عباس وهو في طريقه لمناظرة الخوارج .

قال علي : يا ابن عباس جادلهم بالسنة ولا تجادلهم بالقرآن فإن القرآن حمَّال ذو أوجه .

أستهل الحديث بين يدي هذا العنصر الهام بمقدمة أقتبسها من كلام أئمتنا الأعلام ، وأبدأ هذه المقدمة بكلام دقيق نفيس للإمام ابن أبي العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية على شارحها ومصنفها الرحمة من الله جل وعلا .

قال : اعلم أن عذابَ القبر هو عذاب البرزخ ، وكل إنسان مات وعليه نصيب من العذاب فله نصيبه من العذاب قُبِرَ أو لم يُقْبر سواء أكلته السباع أو احترق فصار رمادًا في الهواء أو نسف أو غرق في البحر .

تأملوا يا من تحكمون العقول في هذا الدليل الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **قَالَ رَجُلٌ ، لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ : إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوه . ثُمَّ ذَرُوهُ ، نِصْفُهُ فِي البَرِّ وَنِصْفُهُ فِي البَحْرِ فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ . فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ . فَأَمَرَ اللهُ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ . ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ** »[1].

الشاهد من الحديث أن الله أحياه بعدما حُرِق وذُرِيَ رماده في البحر والبر فقال له الملك كن فكان على الفور .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

وقال تعالى : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري رقم (٧٥٠٦) ، في التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ الله ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٥٦) ، في التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، والموطأ (١/ ٢٤٠) ، في الجنائز ، باب جامع الجنائز ، النسائي (٤/ ١١٣) في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠]

إن قدرة الله لا تحدها حدود ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء

وأنهي هذه المقدمة بكلام نفيس للإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى –: إن الله تعالى قد جعل الدور ثلاثة ، وهي دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، ثم قال : وجعل الله لكل دار أحكامًا تختص بها ، فجعل الله الأحكام في دار الدنيا تسير على الأبدان ، والأرواح تبع لها ، وجعل الأحكام في دار البرزخ تسري على الأرواح ، والأبدان تبع لها ، وجعل الأحكام في دار القرار تسري على الأرواح والأبدان معًا .

ثم قال ابن القيم : واعلم أن سعة القبر ، وضيقه ، ونوره ، وناره ليس

من جنس المعهود للناس في عالم الدنيا .

ثم ضرب للناس مثلًا عقليًا دقيقًا رائعًا فقال : انظر إلى الرجلين النائمين في فراش واحد أحدهما يرى في نومه أنه في نعيم ، بل وقد يستيقظ وأثر النعيم على وجهه ويقص عليك ما كان فيه من النعيم ، وأخوه إلى جواره في فراش واحد قد يكون في عذاب ويستيقظ وعليه أثر العذاب ، ويقص عليك ويقول كابوس كاد أن يخنق أنفاسي !!

هل تدبرت أخي في الله في هذا الكلام ؟!! الرجلان في فراش واحد ، هذا روحه كانت في النعيم ، وهذا روحه كانت في العذاب ، وعلى الرغم أنهما متجاوران إلا أن كلا منهما لا يعلم عن الآخر شيئًا .

هذا في أمر الدنيا فما بالك بأمر البرزخ الذي لا يعلمه إلا الله ؟!!

مقدمة دقيقة ولو تدبرتها لوقفت على الحقيقة .

وأنا أقول : متى كان العقل حاكمًا على الشرع والدين ؟!!

لله در عَليّ يوم أن قال : لو كان أمر الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه[1].

إليك الأدلة الصحيحة الصريحة عن عذاب القبر أستهلها بهذه الترجمة

---

(١) صحيح : رواه أبو داود رقم (١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤) في الطهارة ، باب كيف المسح ، وصححه الشيخ الألباني ، والأرناؤوط في تخريج جامع الأصول .

الفقهية البليغة لإمام الدنيا في الحديث - الإمام البخاري - فقد ترجم في كتاب الجنائز بابًا بعنوان « **باب ما جاء في عذاب القبر** » وتكفي هذه الترجمة ، ولقد فَقُهَ البخاري في تراجمه كما قال علماء الحديث وعلماء الجرح ، وساق البخاري في هذا الباب الآيات الكريمة عن الله جَلَّ وَعَلَا وروى فيه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، وسأكتفي بآية واحدة استدل بها جميع أهل السنة بلا خلاف على ثبوت عذاب القبر :

قال الله تعالى : ﴿ ... وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

[غافر : ٤٥ - ٤٦]

قال جميع علماء أهل السنة : ذكر الله في هذه الآية عذاب دار البرزخ وعذاب دار القرار ذكرًا صريحًا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا : أي صباحًا ومساءً هذا في دار البرزخ ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب : أي يوم القيامة .

فذكر الله عذابين في الآية : عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة عذاب دار البرزخ وعذاب دار القرار .

وقبل أن أزف إليك الأدلة الصحيحة التي تلقم المنكرين الأحجار ، أود أن أنوه إلى أن الله قد أنزل على النبي وحيين ، وأوجب الله على عباده

الإيمان بهما ألا وهما القرآنُ والسنة الصحيحة .

انطلق هؤلاء المنكرون وقالوا... كفانا القرآن وظنوا أنهم بهذه الدعوى التي يغني بطلانها عن إبطالها ، ويغني فسادها عن إفسادها أنهم قد خدعونا والله ما خدعوا إلا أنفسهم ..

من كَذَّبَ بالسنة الصحيحة فقد كفر بالقرآن .. ومن رد السنة فقد رد القرآن .

تدبر معي آيات الله ﷻ : ﴿ ... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧]

وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠]

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

[الأحزاب : ٣٦]

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟

ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ١ - ٢]

فالسنة حكمها مع القرآن على ثلاثة أوجه .

قال ابن القيم في إعلام الموقعين : السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن تأتي السنة مؤكدة لما جاء به القرآن وهذا من باب تضافر الأدلة .

الوجه الثاني : أن تأتى السنة مبينة وموضحة لما أجمله القرآن .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لكن لم يذكر عدد الصلوات ، ولا أركان الصلاة ، ولا كيفية الصلاة ولا مواقيت الصلاة ، فجاء الحبيب المصطفى ﷺ لكي يبين لنا عددها وأركانها وكيفيتها ومواقيتها وهكذا .

الوجه الثالث : أن تأتى السنة موجبة أو محرمة لما سكت عنه القرآن ، قال المصطفى ﷺ : « **أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ مُتَّكِيء عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآن فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ** » قال المصطفى ﷺ : « **أَلَا إِنَّ مَا حَرَّمَ اللهُ كَمَا حَرَّمَ رَسُولُ**

الله))[1].

وإليكم الأحاديث الصحيحة التي تثبت أن عذاب القبر حقيقة لا ريب : ففي الحديث الذي رواه أحمد والحاكم وغيره وحسنه الشيخ الألباني ، كان عثمان إذا وقف على القبر بكى ، وإذا ذكر الجنة والنار لا يبكي فقيل له : يا عثمان تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، فإذا وقفت على القبر تبكي ، قال عثمان : لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخرةِ فَإِنْ نَجَى مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**)) .

وانظر إلى هذا الحديث الصحيح ، قال المصطفى ﷺ حينما مر على قبرين فقال ﷺ : ((**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذِّبَانِ وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ**)) ثم قال ((**أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الآخرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ – أَوْ لَا يَتَنَزَّهُ مِنْ بَوْلِهِ –**))[2].

وَقِفْ مع هذا الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي كان يدعو الله ويقول : ((**اللَّهُمَّ**

---

(١) صحيح : رواه أحمد رقم (١٧١٢٨) وأبو داود رقم (٤٦٠٤) في السنة باب في لزوم السنة والحاكم ، وهو في صحيح الجامع رقم (٨١٨٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢١٦) ، في الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، ومسلم رقم (٢٩٢) ، في الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، والترمذي رقم (٧٠) ، في الطهارة ، باب ما جاء في التشديد في البول ، وأبو داود رقم (٢٠ ، ٢١) في الطهارة ، باب الاستبراء من البول ، والنسائي في الطهارة ، باب التنزه عن البول .

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبرِ »[1].

وفي الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وابن حبان والبزار وغيرهم من حديث زيد بن ثابت ﷺ : « بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ جاءت به (أي البغلة) فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة ، أو خمسة ، فقال : « **مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبرِ ؟** » قال رجل : أنا ، قال : « **فَمَتَى مَاتُوا ؟** » قال : في الشرك ، فقال : « **إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمعُ مِنْهُ** » ثم أقبل علينا بوجهه ﷺ فقال : « **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ** » قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر[2].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : دَخَلَتْ عليَّ امرأة من يهود المدينة فذكرت عذاب القبر فقالت المرأة لعائشة : أعاذك الله من عذاب القبر فلما خرجت

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٣٧٧) في الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم رقم (٥٨٨) ، في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، و الترمذي رقم (٣٥٩٩) في الدعوات ، باب الاستعاذة من جهنم ، والنسائي (٤/ ٢٧٥،٢٧٦) ، في الاستعاذة ، باب الاستعاذة من عذاب جهنم .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٨٦٧) ، في صفة الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه .

اليهودية سألت عائشة النبي ﷺ عن عذاب القبر فقال : « **نَعَمْ عَذَابُ القَبْرِ** » وفي رواية « **عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ** » فقالت عائشة : فما رأيت النبي ﷺ يصلي بعدها إلا ويستعيذ من عذاب القبر[1].

واسمع إلى هذا الحديث العمدة في المسألة ، وهو أصل من أصول هذا الباب رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في سننه والنسائي في سننه وأبو داود في سننه ورواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ، وأقره الإمام الذهبي ، وصحح الحديث الإمام ابن القيم في كتاب تهذيب السنن وإعلام الموقعين وأطال النفس للرد على من أَعَلَّ هذا الحديث وصحح هذا الحديث الشيخ الألباني وغيره من حديث البراء بن عازب ﷺ أنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فلما انتهينا إلى القبر جلس النبي على شفير القبر - حافة القبر - وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير - لا يتكلمون - وفي يد النبي ﷺ عود ينكت به الأرض ، ثم رفع النبي ﷺ رأسه فنظر وقال لأصحابه : « **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري رقم (١٣٧٢) في الجنائز ، باب عذاب القبر ، ومسلم (٥٨٤) ، في المساجد ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ، والنسائي (٤/ ١٠٤) ، في الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر .

القَبْرِ ، اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ القَبْرِ » قالها النبي مرتين أو ثلاثة ثم التفت إليهم النبي ﷺ وقال : « إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيهِ مِن السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الوُجُوهِ كَأَنَّ وجُوهَهُم الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيء مَلَكُ المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اُخْرُجِي إِلَى مَغْفَرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ ، فَتَخْرُجُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يدعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ ، بِأَحْسَنَ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُ ، فَيُشَيِّعَهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرِّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ الله ﷻ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوا عَبْدِي إِلَى الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، فَتُعَادُ روحُهُ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فيقولُ : رَبِّي الله ، فَيَقُولَانِ

لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ دِينِي الإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ الله ، فَيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ ، فَيَأْتِيه مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ حَسَنُ الثِيَابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيء بِالخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : ربِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ... وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ ، مَعَهُمْ المسوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَّصَرِ ثُمَّ يَجِيء مَلَكُ الموتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مَنَ الله وَغَضِبٍ ، فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولَ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المسوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذِهِ الرُّوحُ

الخَبِيثَةِ ؟! فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ بنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ فَيَقُولُ الله ﷻ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرحًا فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاه .. هَاه.. لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ : لَهُ مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاه .. هَاه.. لَا أَدْرِي ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاه .. هَاه.. لَا أَدْرِي ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَب عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسمُومِهَا ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ ، قَبيحُ الثِّيَابِ ، منتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِر بِالَّذِي يَسُوؤكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ !! »[1].

معذرةً أيها الحبيبُ لقد أطلت عليك الجولة مع الأدلة على عذاب القبر ونعيمه ، وسأعرج سريعًا على العنصرين الآخرين وهى أسباب عذاب

---

(١) صحيح : رواه أبو داود رقم (٣٢١٢) في الجنائز ، باب الجلوس عند القبر ، ورواه ابن خزيمة والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وقد جمع الألباني روايات هذا الحديث من جميع مصادره وصححه في صحيح الجامع رقم (١٦٧٦) .

القبر ، ما السبيل للنجاة ؟ ، وذلك بعد جلسة الاستراحة .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد ..

ثانيا : أسباب عذاب القبر

والحديث عنها له وجهان مجمل ومفصل ، أما المجملُ فإن معصية الله ﷻ أصل لكل بلاء وعلى رأس هذه المعاصي الشرك ، فإن أعظم زاد تلقى الله به هو التوحيد ، وإن أبشع وأعظم ذنب تلقى الله به هو الشرك ، قال الله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣]

أما التفصيل فقد ذكر النبي ﷺ كما ذكرت آنفا أن النميمة من أسباب عذاب القبر ، وهناك الآن أناس متخصصون في النميمة .

فالنميمة سبب من أسباب عذاب القبر ، وأيضا عدم الاستتار من البول ، وعدم التنزه منه وهذا ما ذكره النبي ﷺ في حديثه الذي كنا بصدده

من قبل .

أيضا من أسباب عذاب القبر الكذب والربا وهجر القرآن كما في حديث سمرة بن جندب الطويل الذي رواه البخاري الذي لا يتسع المقال لذكـره الآن ، لقد ذكر فيه النبي ﷺ من أسباب عذاب القبر الكذب والرياء وهجر القرآن والزنا ، والغلول - كل شئ يأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم - ويدخل تحت الغلول السحت والحرام .

فعن أبى هريرة ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا ، فلم نغنم ذهبًا ، ولا وَرِقًا ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله ﷺ عبد له ، وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضُّبيب ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يَحُلُّ رحله ، فرمي بسهم ، فكان فيه حتفه فقلنا : هنيئًا له الشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الشَّمْلَةَ** (إزار يتشح به) **لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا ، أَخَذَهَا مِنَ الغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، لَمْ يُصِبْهَا المَقَاسِمُ** » قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (الشراك : سير من سيور النعل) فقال أصبته يوم خيبر ،

فقال رسول الله ﷺ : « **شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ ، أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ** »[١].

أيها الأحباب : والسؤال الآن فما السبيل للنجاة من عذاب القبر ؟!

ثالثا : السبيل للنجاة من عذاب القبر

أقول لك بإيجاز شديد ، أعظم سبيل للنجاة من عذاب القبر أن تستقيم على طاعة الله جَلَّ وَعَلَا وأن تتبع هديَ النبي ﷺ .

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢]

ومن أنفع الأسباب كذلك للنجاة من عذاب القبر ما ذكره الإمام ابن القيم في كتابه القيم « **الروح** » ، قال : ومن أنفعها أن يتفكر الإنسان قبل نومه ساعة ليذكر نفسه بعمله ، فإن كان مقصرًا زاد في عمله ، وإن كان عاصيًا تاب إلى الله ، وليجدد توبة قبل نومه بينه وبين الله .

---

(١) **متفق عليه** : أخرجه البخاري رقم (٤٢٣٤) ، في المغازي ، باب غزوة خيبر ، ومسلم رقم (١١٥) ، في الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول ، الموطأ (٢/ ٤٥٩) في الجهاد ، باب ما جاء في الغلول ، وأبو داود رقم (٢٧١١) في الجهاد ، باب في تعظيم الغلول ، النسائي (٤/ ٢٤) في الإيمان والنذور .

فإن مات من ليلته على هذه التوبة فهو من أهل الجنة ، نجاه الله من عذاب القبر ومن عذاب النار .

ومن أعظم الأسباب التي تنجي من عذاب القبر :

أن تداوم على العمل الصالح كالتوحيد ، والصلاة ، والصيام ، والصدقة ، والحج ، وحضور مجالس العلم والعلماء التي ضيعها أناس كثيرون ، وانشغلوا عنها بلهو قتل الوقت .

أيضًا من أعظم الأسباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، كل عمل يرضي الرب فهو عمل صالح ينجي صاحبه من عذاب القبر والنار .

وأبشركم ... أن من أعظم الأعمال التي تنجي صاحبها من عذاب القبر الشهادة في سبيل الله ورد في الحديث الذي رواه الحاكم وحسن إسناده الشيخ الألباني أن النبي ﷺ قال : « **لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ ، الأُولَى : يُغْفَرُ لَهُ مَعَ أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ ، وَيَرَى مِقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ، الثَانِيَة : يُنَجِّيهِ اللهُ ﷻ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، الثَالِثَةُ : يُؤَمِّنُهُ اللهُ يومَ الفَزَعِ الأَكْبرِ ، الرَابِعَةُ : يُلْبِسُهُ اللهُ تَاجَ الوَقَارِ ، اليَاقُوتَةُ فِيهِ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، الخَامِسَةُ : يُزَوِّجُهُ اللهُ بِثنَتَينِ وَسَبْعِينَ زَوجَةً مِنَ الحورِ العينِ ، السَادِسَةُ : يُشَفِّعُهُ اللهُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِهِ** ».

ولن أترك مكاني هذا إلا بعد أن أزف إليكم حديثا يملأ القلب أملا

ورضا ، والحديث رواه الحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي وصحح إسناده الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح عن ابن مسعود ﷺ قال ﷺ : « **سُورَةُ المُلْكِ ، تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ ، هِيَ المَانِعَةُ وَهِيَ المُنْجِيَةُ تُنْجِيهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ** »[1].

...... الدعاء

(١) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٢) في ثواب القرآن ، وصحح إسناده شيخنا الألباني .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

علامات الساعة الصغرى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدهِ الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، فكشف الله به الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته ، وصلِّ اللهم وزد وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فحياكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء ، وأيها الأخوة الأحباء الأعزاء ، وطبتم جميعا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلا ، وأسأل الله العظيم الكريم جَلَّ وَعَلَا الذي جمعني وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته ، أن يجمعني وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

في رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية هامة تجمع بين المنهجية والرقائق ، وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي ، تبدأ بالموت وتنتهي بالجنة أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها .

وهذا هو لقاؤنا الثالث من لقاءات هذه السلسلة المباركة ، وكنا قد أنهينا الحديث في اللقاء الأول ، وتوقفنا مع الجنازة وهي في طريقها إلى القبر تتكلم ، ثم توقفنا في اللقاء الماضي مع الجنازة وقد أغلق عليها القبر ، ليعيش صاحبها في نعيم مقيم ، أو في عذاب أليم إلى قيام الساعة ، وكان من الحكمة والمنطق قبل أن أتكلم عن مراحل الساعة أن أتحدث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى ، ولذا فإن حديثنا اليوم مع حضراتكم عن العلامات الصغرى بين يدي الساعة .

وكعادتنا سوف ينتظم حديثنا اليوم مع حضراتكم في العلامات الصغرى في العناصر التالية :

أولًا : الساعة آتية لا ريب فيها

ثانيًا : العلامات الصغرى التي وقعت وانقضت

ثالثًا : العلامات الصغرى التي وقعت ولم تنقضِ

رابعًا : العلامات الصغرى التي لم تقع بعد

فأعرني قلبك وسمعك أيها الحبيب . والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٨]

أولاً : الساعة آتية لا ريب فيها

إن الحديث عن اليوم الآخر ليس من باب الترف العلمي أو الذهني ، ولا من باب الثقافة الذهنية الباردة التي لا تتعامل إلا مع العقول فحسب ، بل إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا لا يصح إيمان العبد إلا به أصلا وابتداءً ، كما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب وفيه أن جبريل عليه السلام سأل الحبيب المصطفى ﷺ ما الإيمان ؟ فقال الحبيب ﷺ : « **الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » .

لا يمكن أن يستقر الإيمان باليوم الآخر في قلب عبد من العباد إلا إذا وقف على حقيقة هذا اليوم وعرف أحواله وكروبه وأهواله .

ومن ناحية ثالثة إذا استقرت حقيقة الإيمان باليوم الآخر في قلب عبد صادق ، دفعه هذا العلم بهذا اليوم إلى الاستقامة على منهج الله وعلى طريق الحبيب رسول الله ﷺ ، لأنه سيعلم يقينا أنه غدا سيقف بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا ؛ ليكلمه ربه ليس بينه وبينه تُرجمان ليقول له الملك : ﴿ ٱقْرَأْ

كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء : ١٤]

فالهدف من هذه السلسلة تذكير المسلمين للاستيقاظ من غفلتهم ورقدتهم الطويلة ، وإيقاظ المسلمين بالتوبة والإنابة إلى الله جل و علا قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون .

أيها المسلمون قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٦ - ٧]

وإذا كان البشر يرون الساعة بعيدة فإن خالق البشر يرى الساعة قريبة قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾

[المعارج : ٦ - ١٠]

وقال سبحانه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[القمر : ١]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[النحل : ١]

وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨]

أما عن وقت قيام الساعة فإن هذا من خصائص علم الله جَلَّ وَعَلَا لا يعلم وقت قيام الساعة ملك مقرب أو نبي مرسل .

قال سبحانه في سورة الأعراف : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧]

وقال سبحانه في سورة الأحزاب : ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣]

وقال سبحانه في سورة النازعات : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٢ - ٤٦]

فلا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله .

إن جبريل عليه السلام هو أعلى الملائكة ، ومحمد ﷺ هو أعلى الخلق منزلة ومع ذلك جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له متى الساعة ؟

فقال المصطفى ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل !! وهو جبريل والمسئول هو البشير النذير ، لا يعلمان وقت قيام الساعة ... أفيتجرأ عاقل بعد ذلك ليقول بأنه على علم بوقت قيام الساعة . في صحيح البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « **مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ وَتَلَى النَّبِيُّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ**

وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان : ٣٤]

وإذا كان الله ﷻ قد أخفى وقت قيام الساعة ، فقد أخبر سبحانه وتعالى ببعض العلامات والأمارات التي تكون بين يدي الساعة ، لينتبه الخلق بالإنابة والتوبة إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، وقد سمى القرآن هذه العلامات والأمارات بالأشراط فقال سبحانه : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد : ١٨] أي : فقد جاءت علاماتها وأماراتها

وهاأنا ذا أقسم العلامات إلى ثلاثة أقسام :

أولًا : علامات صغرى وقعت وانتهت.

ثانيًا : علامات صغرى وقعت ولم تنقضِ مازالت مستمرة .

ثالثًا : علامات صغرى لم تـقع بعد .

أولاً : علامات صغرى وقعت وانتهت

وأول هذه العلامات بعثة الحبيب المصطفى ﷺ .

ففي الصحيحين أنه ﷺ قال : « **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ** »(١) وأشار بالسبابة والوسطى فبعثة النبي ﷺ علامة صغرى وموت النبي أيضا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٠٣) في الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ومسلم رقم (٢٩٥٠) في الفتن ، باب قرب الساعة .

وكلاهما مضيتا .

كما في صحيح البخاري من حديث عوف بن مالك قال :« **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدِي السَّاعَةِ** ... »[1] وذكر النبي ﷺ أولها موته ﷺ .

ومن هذه العلامات الصغرى أيضا التي وقعت وانقضت انشقاق القمر قال سبحانه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] وقد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة عن رسول الله ﷺ رواها الإمام مسلم في صحيحه ، أذكر حضراتكم بحديث واحد من هذه الأحاديث .

من حديث أنس قال : طلب أهل مكة من رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر ، فقال : « **مَاذَا تُرِيدُونَ ؟** » قالوا : نريد أن تشق لنا القمر في السماء نصفين فسأل الحبيب ﷺ ربه فاستجاب الله للمصطفى ﷺ وشق له القمر في السماء نصفين فقال المصطفى ﷺ : « **اشْهَدُوا ... اشْهَدُوا** »[2] .

ومع ذلك أنكروا وأعرضوا وقالوا سحر مستمر .

ومن هذه العلامات الصغرى أيضا خروج نار في أرض الحجاز روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَا تَقُومُ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري رقم (٣١٧٦) في الجهاد ، باب ما يحذر من الغدر .
(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٠٠) في صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر .

السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى »[(١)]

وبُصْرَى بلد تسمى حوران في ديار الشام ، ولقد وقعت هذه الآية بمثل ما حَدَّث الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

قال الإمام القرطبي في التذكرة : ولقد وقعت هذه الآية بمثل ما حدث الصادق المصدوق ﷺ . ففي يوم الأربعاء في الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة خرجت نار من أرض الحجاز كانت لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته رآها من أرض الحجاز جميع أهل الشام .

ثانيًا : العلامات الصغرى التي وقعت
ومازالت مستمرة لم تنقض بعد

جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّث به حفظه ونسيه من نسيه[(٢)].

أخبر النبي ﷺ بالفتن التي ستقع وقال كما في صحيح مسلم من

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧١١٨) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (٢٩٠٢) في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٩١) في الفتن وأشراط الساعة ، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون .

حديث أبي هريرة وغيره قال : « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** »[1] .

فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل على الإيمان فلا يأتي الليل عليه إلَّا وقد كفر بالرحيم الرحمن !

ويمسي على الإيمان فلا يأتي الصباح عليه إلَّا وقد كفر بالله ﷻ !!

ومن الفتن التي يتعرض لها المسلم اليوم فتنة الغربة : فالمسلم الصادق يعيش الآن فتنة قاسية ألا وهى فتنة الغربة قال الحبيب كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة : « **بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** »[2].

فأهل الغربة الآن يفرون بدينهم من الفتن بل لقد روى الترمذي في سننه بسند حسن أن النبي ﷺ قال : « **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ القَابِضُ فِيهِ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى جَمْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ** » .

ومن الفتن التي يتعرض لها المسلم فتنة الشهوات : وفى الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة أنه قال : قال المصطفى ﷺ : « **فَوَاللهِ مَا الفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَط عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَس**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١١٨) في الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن والترمذي رقم (٣١٩٦) في الفتن .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (١٤٥) في الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا .

فِيهَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[(١)].

إذ يرى المسلم واقع أمته مرٌ أليم في الوقت الذي يرى فيه أمم الكفر ودول الكفر قد قفزت قفزات سريعة جدا في عالم الحضارة والرقي والتطور والمدنية. فينظر المسلم الشاب الغيور إلى واقع الأمة فيرى الأمة ذليلة كسيرة مبعثرة كالغنم في الليلة الشاتية الممطرة، وتعصف الفتنة بقلبه ويتساءل مع نفسه أهذه هي الأمة التي دستورها هو القرآن، ونبيها محمد ﷺ، وربها هو الرحيم الرحمن، ما الذي بدل عزها إلى ذل ؟! ما الذي غير علمها إلى جهل ؟! ما الذي حوَّلَ قوتها إلى ضعفٍ وهوانٍ ؟!

وهناك فتنة الأولاد وفتنة الزوجات قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]

فتن كثيرة قال المصطفى ﷺ كما في الصحيحين من حديث أنس قال ﷺ: « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَظْهَرَ الجَهْلُ وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لخمسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ** »[(٢)].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم (٦٤٢٥) في الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم رقم (٢٩٦١) في الرقاق، والترمذي رقم (٢٤٦٤) في صفة القيامة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري رقم (٨٠، ٨١)، في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ومسلم رقم (٢٦٧١)، والترمذي رقم (٢٣٠١)، وابن ماجة (٤٠٤٥).

بل لقد ورد في سنن الترمذي بسند صحيح أن النبي ﷺ قال : « **يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ بَيْنَ يَدِي السَّاعَةِ فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمْعَةِ وَتَكُونُ الْجُمْعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَاحْتِرَاقِ السَّعْفَةِ** »[١].

احتراق جريدة من النخيل .

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ولم تنقض إسناد الأمر إلى غير أهله .

ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : أن أعرابيا دخل على النبي ﷺ وهو يحدث الناس فقال الأعرابي : يا رسول الله متى الساعة ؟ فمضى النبي ﷺ في حديثه ولم يجب الأعرابي على سؤاله فلما أنهى النبي حديثه قال : « **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ آنِفًا ؟** » .. فقال الأعرابي ها أنا ذا يا رسول الله . قال : « **إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** » فقال الأعرابي الفقيه : وكيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : « **إِذَا وُسِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** »[٢].

تدبر معي حديث النبي الذي رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة قال ﷺ :

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٢٤٣٤) وصححه شيخنا الألباني في المشكاة (٥٣٨٩) .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٥٩) في العلم ، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل .

« **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ ، ويُخَوَّن فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرِّوَيْبِضَةُ** »... قيل من الرويبضة يا رسول الله ؟ ... قال : « **الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ** » .

ومنها تداعي الأمم على أمة الحبيب المحبوب ﷺ ، ففي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث ثوبان وهو حديث صحيح بمجموع طرقه أنه ﷺ قال : « **يُوشَكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** » قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟. قال : « **كَلَّا .. وَلَكِنَّكُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ... وَلَيُوشَكَنَّ اللهُ أَنْ يَنْزَعَ المَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ الوَهَنَ** » ...قيل وما الوهن يا رسول الله ؟ .. قال : « **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ** »[1].

واقع نعيش فيه ..واقع تحياه الأمة !! تداعت أذل أمم الأرض من اليهود ومن عباد البقر و الملحدين على أمة الإسلام في كل مكان ، وطمع في الأمة الذليل قبل العزيز ، والضعيف قبل القوي ، والقاصي قبل الداني ، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة لأمم الأرض !!

---

(١) صحيح : رواه أبو داود رقم (٤٢٩٧) في الملاحم ، باب تداعى الأمم على الإسلام وفى سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي ، وهو مجهول لكن قد رواه أحمد رقم (٢٢٢٩٦) من طريق آخر بسند قوى وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٥٦)

ومن العلامات : كما في الحديث الذي رواه أحمد والطبراني في الكبير بسند صحيح من حديث أبي أمامة ﷺ قال : « **بَيْنَ يَدي السَّاعَةِ رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ البَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ الله وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِ الله** »[1] .

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال المصطفى ﷺ : « **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : رِجَالٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** »[2].

أيها الأحبة الكرام لا أريد أن أطيل عليكم أكثر من ذلك ، وأرجىء الحديث عن العلامات الصغرى التي لم تقع بعد إلى ما بعد جلسة الاستراحة . والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٥٧) في الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢١٢٨) في الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

ثالثا : علامات صغرى لم تقع بعد

من هذه العلامات التي أخبر عنها النبي ولم تقع ما رواه البخاري ومسلم أنه ﷺ قال : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضُ حَتَّى يُخْرِجَ الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا** »(١) .

من أهل العلم من قال إن هذا قد وقع على عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

ومن العلامات التي لم تظهر ما أخبر عنه الصادق المصدوق كما جاء في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، فَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا**

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧١٢١) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (١٥٧) في الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

الَّذِي أَنْجُو » .

وفي رواية قال ﷺ : « **يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنزٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا** »(١).

ومن العلامات أيضا التي لم تظهر بعد : ظهور المهدي ﷺ فعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ اليَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجورًا** »(٢).

يخرج هذا الرجل يؤيد الله به الدين يملك سبع سنين(٣) يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط ، تخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطى المال بغير عدد .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧١١٩) في الفتن ، باب خروج النار ، ومسلم رقم (٢٨٩٤) في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، وأبو داود رقم (٤٣١٣ ، ٤٣١٤) في الملاحم ، والترمذي رقم (٢٥٧٢ ، ٢٥٧٣) في صفة الجنة .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٢٨٢) في المهدى ، والترمذي رقم (٢٢٣١ : ٢٢٣٢) في الفتن باب ما جاء في المهدى وقال : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال .

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٢٦٥) في المهدى ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦١٢) .

قال ابن كثير : في زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدد راغم ، والخير في أيامه دائم . ا.هـ[1] .

وقد تواترت الأحاديث في المهدي تواترًا معنويا ، وقد نص على ذلك الأئمة والعلماء .

ونكتفي بذلك القدر ونسأل الله أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه ولي ذلك والقادر عليه .

.... الدعـاء

(١) النهاية في الفتن والملاحم .

بسم الله الرحمن الرحيم

علامات الساعة الكبرى
المسيح الدجال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكُلَّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الرابع مع دروس سلسلة الدار الآخرة ، وكنا قد أنهينا آنفا الحديث عن العلامات الصغرى التي ستقع بين يدي الساعة ، والآن حديثنا عن العلامات الكبرى التي ستقع قبل قيام الساعة مباشرة ، وقد ذكر النبي هذه العلامات في حديثه الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال : اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال : « **مَا تَذَاكَرُونَ ؟** » قلنا : نذكر الساعة قال : « **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ ، خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** »[1].

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٠١) في الفتن ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ، وأبو داود رقم (٤٣١١) في الملاحم ، باب أمارات الساعة ، والترمذي رقم (٢١٨٤) =

ولقد ذكر المصطفى ﷺ هذه العلامات بغير هذا الترتيب في روايات أخرى صحيحة والذي يترجح من الأخبار كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أن خروج الدجال هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في نفس اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ، والله أعلم[1].

ولكن على أي حال فإن العلامات الكبرى ستقع متتابعة فهي كحبات العقد إذا انفرطت منه حبه تتابعت بقية الحبات .

ففي الحديث الذي رواه أحمد والحاكم في مستدركه وصححه على شرط مسلم وأقره الحاكم والذهبي والألباني من حديث أنس .أن النبي ﷺ قال : « **الأَمَارَاتُ** – أي العلامات الكبرى – **خَرَّازَات منظوماتٌ فِي سَلكٍ ، فَإِنْ يَقْطَعُ السلكُ يتبعُ بعضُها بعضًا** »[2].

واسمحوا لي أن أستهل الحديث اليوم مع حضراتكم في العلامات

= في الفتن ، باب ما جاء في الخسف .

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥٣) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم (٧٠٤٠) وقال محققه : إسناده صحيح .

الكبرى عن الآية العظيمة الأولى التي تؤذن بتغير الأحوال على الأرض ، ألا وهي المسيح الدجال ... وكعادتنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعا فسوف أركز الحديث في العناصر التالية :

أولًا : الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض .

ثانيًا : وصف دقيق للدجال وفتنته .

ثالثًا : ما السبيل إلى النجاة .

فأعرني قلبك جيدا ... وأعرني سمعك تماما ... فإن الموضوع من الخطورة بمكان .

أولاً : الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض

فتدبر جيدا أيها الحبيب وقِفْ على خطر هذه الفتنة ! ، فالدجال أعظم فتنة على وجه الأرض من يوم أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة .

لماذا سمي الدجال بالمسيح الدجال ؟!!

سمي الدجال بالمسيح ؛ لأن عينه ممسوحة قال المصطفى ﷺ : « **الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ** »[1] وسمي بالدجال لأنه يغطي الحق بالكذب والباطل فهذا دجل فسمى بالدجال وفتنة الدجال فتنة عظيمة !!

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٣٣) ، في الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (٤٣١٦ ، ٤٣١٧ ، ٤٣١٨) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (٢٢٤٦) في الفتن

وفى صحيح مسلم من حديث عمران بن حصين - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ** »[1].

وأمرُ الدجالِ أمرٌ غيبي والأمر الغيبي لا يجوز أن نتكلم فيه بشيء من عند أنفسنا إنما ننقل عن الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وأنوه أيضًا أننا لا نلتفت إلا لما صح من حديث رسول الله ﷺ كعادتنا ولله الحمد والمنة .

روى ابن ماجة في سننه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في المستدرك وصحح الحديث الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أن الحبيب ﷺ قال : « **إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الدَّجَّالَ ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِياءِ ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ ، فَإِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِيءٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** » .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٤٦) في الفتن ، باب في بقية من أحاديث الدجال .

يا لها من كرامة لأمة الحبيب محمد ﷺ.

ففتنة الدجال عظيمة ! ..أعظم فتنة على وجه الأرض بشهادة الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .

أحبتي في الله :

لقد وصف النبي ﷺ الدجال وصفًا دقيقًا محكمًا وبين لنا فتنته بيانًا شافيا حتى لا يغتر بالدجال أحد من الموحدين بالله رب العالمين ... وهذا هو عنصرنا الثاني .

ثانيًا : وصفٌ دقيقٌ للدجال وفتنته

وصف النبي ﷺ الدجال فقال : والحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قام رسول الله ﷺ في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى على الله بما هو أهله .... فذكر الدجال فقال : « **إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الدَّجَّالَ ، وَلَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ** »[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري رقم (٧١٢٧) في الفتن ، باب ذكر الدجال ، ومسلم (١٦٩) في الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، وأبو داود واللفظ له (٤٧٥٧) في السنة ، باب في الدجال ، والترمذي (٢٢٣٦ ، ٢٢٤٢) في الفتن ، باب ما جاء في علامة الدجال .

وفى رواية أعور العين اليمنى ، وفى رواية أخرى صحيحة أعور العين اليسرى ، اعلموا أنه أعور وأن الله ليس بأعور جل جلاله ، جل ربنا عن الشبيه .. وعن النظير .. وعن المثيل .. لا كفء له ، ولا ضد له ، ولا ند له ولا شبيه له ، ولا زوج له ولا ولد له ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

ثم قال المصطفى - عليه الصلاة والسلام -: « **الدَّجَالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ** »[1].

ماذا تريد بعد ذلك من الرحمة المهداة والنعمة المسداة من الذي قال ربه في حقه ﴿ ... بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

يبين لك لتتعرف على الدجال إن خرج بين أظهرنا ، يقول لك ممسوح العين ... مكتوب بين عينيه كافر ... يقرؤه كل مسلم .

وفى رواية حذيفة في صحيح مسلم قال ﷺ : « **الدَّجَّالُ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٣٣) في الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (٣٤١٦ : ٣٤١٨) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (٢٢٤٦) في الفتن .

عَيْنَيْهِ كافِرٌ يَقْرؤُهُ كُلُّ مُؤْمنٍ كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ»[1].

لا ينبغي أن نصرف لفظ النبي ﷺ على غير ظاهره ، الكتابة على جبين الدجال كتابة حقيقية لدرجة أنه وردت في رواية في صحيح مسلم قال ﷺ : « **الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ العَيْنِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ (ك ف ر) أَي كَافِرٌ** »[2].

وصف عجيب للدجال من رسول الله عليه الصلاة والسلام !

أستحلفك بالله أن تتدبر معي هذا المطلع العجيب الذي رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ : « **لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنَ الدَّجَّالِ ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيانِ أَحَدُهُمَا رَأْي العَينِ مَاءٌ أَبْيَضُ ، والآخرُ رَأْي العَينِ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا ، وَلْيُغْمِضْ ، ثُمَّ لِيُطَأْطِىءْ رَأْسَهُ فَلْيَشْرَبْ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ** »[3].

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٣٣) في الفتن ، باب ذكر الدجال وصفة ما معه ، وأبو داود رقم (٤٣١٦ : ٤٣١٨) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (٢٢٤٦) في الفتن .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٣٣) في الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(٣) صحيح : رواه البخاري رقم (٧١٣٠) في الفتن ، باب ذكر الدجال ، ومسلم رقم (٢٩٣٤ ، ٢٩٣٥) في الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، وأبو داود رقم (٤٣١٥) في الملاحم ، باب خروج الدجال .

يقول لنا الصادق المصدوق ﷺ : لا تخشَ نار الدجال فهو دجال يغطي الحق بالكذب والباطل ، إن رأيت ناره فاعلم بأنها ماء عذب بارد طيب .

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم لحذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **يَخْرُجُ الدَّجَّالُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا ، فَمَا يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَهِي نَارٌ تَحْرِقُ وَمَا يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَهُوَ مَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ** »[1].

في حديث النواس بن سمعان ﷺ أنه قال : سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن المدة التي سيمكثها الدجال في الأرض ، فقال الحبيب ﷺ : « **أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمْعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَسَائِرِ أَيَّامِكُمْ** » ، قلنا : يا رسول الله اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : « **لَا ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ** »[2] يعني صلوا الفجر وعدوا الساعات التي كانت قبل ذلك بين الفجر والظهر ، وصلوا الظهر ، وعدوا الساعات التي كانت بين الظهر والعصر وهكذا .

فسأل الصحابة رسول الله ﷺ وما زلنا في حديث النواس بن سمعان ،

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٣٤ ، ٢٩٣٥) في الفتن ، باب ذكر الدجال .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، وأبو داود رقم (٤٣٢١، ٤٣٢٢) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (٢٢٤١) في الفتن ، باب ما جاء في فتنة الدجال .

وما سرعته في الأرض ؟! « **يَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَمُرُّ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا ؟ سُرْعَتُهُ كَالْغَيْثِ** - أي المطر - **اسْتَدْبرتْهُ الريحُ** » ... يعني يمر في كل أرجاء وأنحاء الأرض .

ثم قال الحبيب ﷺ : « **يَأْتِي الدَّجَّالُ عَلَى قَوْمٍ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ ، وَالأَرْضَ فَتَنْبُتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهِمْ أَطْوَلُ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغُهُ ضُروعًا وَأَمَدُّهُ خَوَاصِرَ** » .

فتنة رهيبة !!

فلو عقل هؤلاء لعلموا أن صفات النقص من أعظم الأدلة على كفره وبطلان ادعاءاته .

رَبٌّ يَبُـولُ الثَّعْلَبَانِ بِرَأْسِـهِ ... لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

لَـوْ كَـانَ رَبًّا كَـانَ يَمْنَـعُ نَفْسَـهُ ... فَـلَا خَـيْرَ فِي رَبٍّ نَأْتِهِ المَطَـالِبُ

بَرِئْتُ مِنَ الأَصْنَامِ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا ... وَآمَنْـتُ بِاللهِ الَّذِي هُـو غَـالِبُ

إن الذي يستحق أن يعبد هو المتصف بكل صفات الكمال والإجلال .

ثم ينطلق الدجال إلى قوم آخرين فيقول لهم : أنا ربكم فيقولون : لا ويكذبونه .

يقول المصطفى ﷺ : « **وَيمرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ** » أي : جماعات النحل .

فتنة رهيبة !! ثم تزداد الفتنة!!!

يقول النبي ﷺ : « **ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا ممتلِئًا شَبَابًا ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيفِ ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتينِ ، فَيَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ أَمَامَ النَّاسِ وَيَقُولُ لِلشَّاب : قُمْ فَيَسْتَوِي الشَّابُّ حَيًّا بَيْنَ يَدَيْهِ !!** » .

فتنه رهيبه !!!

وفى رواية أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم[1] يقول المصطفى ﷺ : « **فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شَابٌّ فَتَلْقَاهُ المَسَالحُ ، مَسَالحُ الدَّجَّالِ** - أي أتباعه من اليهود الذين يحملون السلاح - **فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمَدُ ؟** » .

فَيَقُولُ : إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ - أي إلى الدجال - **فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَلَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ ... فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاء ،** أَي : **لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الدَّجَّالِ سَأَعْرِفُهُ ! فَيَقُولُونَ : اقتُلُوهُ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَوَ لَيْسَ قَدْ نَهَانَا رَبُّنَا أَنْ نقتلَ أَحَدًا دُونَهُ ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهَذَا الرَّجُلِ الْمُؤْمنِ إِلَى الدَّجَالِ ، فَإِذَا نَظَرَ الْمُؤْمنُ إِلَيْهِ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! هَذَا المَسِيحُ الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَهُ لَنَا رَسُولُ الله** ﷺ يقول المصطفى : « **فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ ، فَيَقُولُ : خُذُوهُ وَشُجُّوهُ ، فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَبطْنَهُ ضَرْبًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ**

---

(١) رقم (٢٩٣٨) في الفتن وأشراط الساعة ، باب في صفة الدجال .

المَسِيحُ الكَذَّابُ ؟ قَالَ : فَيُؤمرُ بِهِ فَيُنْشَرُ بِالمنشارِ مِنْ مِفْرَقِهِ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَ رِجْلَيهِ ، قَالَ : ثُمَّ يَمْشي الدَّجَالُ بَينَ القِطْعَتَينِ ، ثُمَّ يَقَولُ له : قُمْ ، فَيَسْتَوي قَائِمًا ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرةً ؟ قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ ليذبحَهُ فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى ترقوتِهِ نحاسًا ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيهِ فَيَقذفُ بِهِ ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ فِي النَّارِ وَإِنَّمَا أُلقي فِي الجَنَّةِ » فقال رسول الله ﷺ : « **هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ** »[1].

وسأختم حديثي عن فتنة الدجال بحديث عجيب رواه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث تميم الداري ﷺ من حديث فاطمة بنت قيس عن تميم الداري .

من حديث فاطمة بنت قيس – رضى الله عنها – قالت : سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادى : الصلاة جامعة ؛ فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ ، وكنت في النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى الرسول ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « **أَيُّهَا النَّاسُ لِيَلْزَم كُلُّ إِنْسَانٍ**

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٧١٣٢) في الفتن ، باب لا يدخل المدينة ، ومسلم رقم (٢٩٣٨) في الفتن ، باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه .

مُصَلَّاهُ » ثم قال « أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال رسول الله ﷺ : « أَمَا إِنِّي وَالله مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَارِي كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَن المَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخم وَجزامٍ - قبيلتان عربيتان مشهورتان - فَلَعِبَ بِهم المَوْجُ شَهْرًا فِي البحرِ ثُمَّ أرفؤوا[1] إِلَى جَزِيرَةٍ فِي البَّحْرِ حَتَّى مَغرِبَ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرِبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا جَزِيرَةً فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهلبُ[2] كَثِيرُ الشعرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكَ ، مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَتْ : أَنَا الجَسَّاسَةُ ، قَالُوا : وَمَا الجَسَّاسَةُ ، قَالَتْ : أَيُّهَا القَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدِّيرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ ، فَلَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَهُ ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدِّيرَ ، فَإِذَا أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطّ خَلْقًا ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالحَدِيدِ ، قُلْنَا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي ، فَأَخْبِرُونِي : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا البَحْرَ حينَ اغْتَلَمَ ، فَلَعِبَ بِنَا المَوْجُ شَهْرًا ،

---

(١) أرفأت السفينة : قربتها إلى الشط وأدنيتها من البر .

(٢) الهلب : ما غلظ من الشعر والأهلب : الغليظ الشعر الخشن .

ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرَبِهَا فَدَخَلْنَا الجزيرةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشعرِ لَا نَدْرِي مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ فَقُلْنَا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الجَسَّاسَةُ ، قُلْنَا : وَمَا الجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : اعْمُدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي فِي الديرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ فَأَقْبَلْنَا إِلَيْك سراعًا ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا ، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بِيسَانَ قُلْنَا : وَعَنْ أَي شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يَثْمُرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّه يُوشِكُ أَنْ لَا يُثْمِرَ ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةِ ، قُلْنَا : عَنْ أَي شَأْنِهَا تَسْتَخْبِر ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا هِي كَثِيرَةُ المَاءِ ، قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَينِ زَغْرٍ ، قَالُوا : عَنْ أَي شَأْنِهَا تَسْتَخْبِر ؟ قَالَ : هَلْ فِي العَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ العَيْنْ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ ، هِي كَثِيرَةُ المَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيين ، مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ ، قَالَ : أَقَاتَلَهُ العَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِم ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلية مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيرًا لَهُمْ أَنْ يطيعوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، أَنَا المَسِيحُ ، وَإِنِّي أُوشكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ ، فَسَأَخْرُجُ فَأَسِيرُ فِي الأَرْضِ ، فَلَا أَدَعُ قَرِيَّةً إِلَا هَبَطْتهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، غَيْرَ مَكَّةَ وَطِيبة فَهُمَا مُحرمَتَانِ عَلَيّ كِلْتَاهُمَا ،

كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً ، أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا ، اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا » قالت : قال رسول الله ﷺ : وطعن بمخصرته في المنبر « **هَذِه طِيبة .. هَذِهِ طِيبة** » يعنى : المدينة « **أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ؟** » فقال الناس : نعم ، قال : « **فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ ؛ لِأَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، مَا هُوَ ؟ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ؟ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ** » قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ .

أيها الأحبة الكرام :

هذا قليل من كثير ، فلا زال هناك الكثير عن فتنة الدجال ، فقد أجملت لكم ما يسر الله ﷻ ؛ لنقف على خطورة هذه الفتنة .

وهناك سؤال لابد أن يطرح في هذا المجال ألا وهو :

هل سيقتل الدجال ؟! ومن الذي سيقتله ؟!!!

نعم ... أبشروا سيقتل الدجال وسيقتله عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

روى ابن ماجة في سننه والحاكم في المستدرك وصحح الحديث الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أنه ﷺ قال : « **بَيْنَمَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ يُصَلِّي بِهِمُ**

الصُّبْحَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ إِذَا نَزَلَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ إِمَامَ المُسْلِمِينَ عَرَفَهُ ، فَيَتَقَهْقَرُ إِمَامُ المُسْلِمِينَ لِنَبِّي الله عِيسَى لِيُصَلِّي بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَتْبَاعِ سَيِّدِ النَبيينَ مُحَمَّدٍ ، فَيَأْتِي عِيسَى ﷺ وَيَضَعُ يَدَهُ فِي كَتِفِ إِمَامِ المُسْلِمِينَ وَيَقُولُ : لَا بَلْ تَقَدَّمَ أَنْتَ فَصَلِّ فَالصَّلَاةُ لَكَ أُقِيمَتْ » وَفِي لَفْظٍ « فَإِمَامِكُمْ مِنْكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَيُصَلِّي نَبيُّ الله عِيسَى خَلْفَ إِمَامِ المُسْلِمِينَ لله رَبِّ العَالَمِينَ ، فَإِذَا مَا أَنْهَى إِمَامُ المُسْلِمِينَ ، قَامَ عِيسَى وَقَامَ خَلْفَهُ المُسْلِمُونَ ، فَإِذَا فَتَحَ عِيسَى بَابَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، رَأَى المَسِيحَ الدَّجَّالَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِي مَعَهُمُ السلَاحُ ، فَإِذَا نَظَرَ الدَّجَّالُ إِلَى نَبِيِّ الله عِيسَى ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ ، ثُمَّ يَهْرَبُ فَيَنْطَلِقُ عِيسَى وَرَاءَهُ فَيُمْسِكُ بِهِ عِنْدَ بَابِ لدٍّ فِي فِلِسْطِينَ ، فَيَقْتُلُهُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَيَسْتَرِيحُ الخَلْقُ مِنْ شَرِّ الدَّجَّالِ » .

ويبقى هنا سؤال ألا وهو : ما السبيل إلى النجاة ؟

والإجابة على هذا السؤال تكون بعد جلسة الاستراحة وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد أحبتي في الله :

فما السبيل إلى النجاة ؟

أحبتي الكرام : أجيب لكم عن هذا السؤال من كلام سيد الرجال محمد بن عبد الله ﷺ حتى تطمئن قلوبكم وتستريح ، ثبتكم الله .

ففي الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه والحاكم في مستدركه وصححه الألباني .

قال ﷺ : « **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ** »[1].

وفي لفظ « **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَائِلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ** » .

وفي لفظ « **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَاخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ** » .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٨٠٩) في صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وأبو داود رقم (٤٣٢٣) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (٢٨٨٨) في ثواب القرآن .

لقد تبينتم الآن أمر الدجال ، فالأمر جد خطير ، هل نقف على مثل هذه الخطورة ونحفظ عشر آيات فقط من سورة الكهف ، أراكم تقولون : لا ، بل حفظ السورة بالكامل أمر يسير أمام هذه الخطورة الشديدة ، أرى منكم أناسًا يقولون : نذهب إلى مكة أو المدينة ، سأقول لكم : لا بأس ، من يستطيع الفرار منكم إلى مَكة المباركة أو طيبة طيبها الله ، فله ذلك ، فهما محرمتان على الدجال أن يدخل واحدة منهما وذلك من سبل النجاة .

لكنني لا أجد لك سبيلًا للنجاة أكبر وأشرف وأجل وأعظم من أن تُوحد الله جَلَّ وَعَلَا وتعرف معنى كلمة « **لا إله إلا الله** » فهذا هو أصل الأصول وبر الأمان لكل مؤمن يريد الأمان حقا في الدنيا والآخرة .

ألم يقل لك المصطفى ﷺ بأنه لا يقرأ كلمة كافر بين عيني الدجال إلا مؤمن موحد للكبير المتعال ، واعلم يقينا بأن الإيمان ليس كلمة يرددها لسانك فحسب .. بل الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان - يعني القلب - وعمل بالجوارح والأركان ... ولابد أن تعلم أن أركان الإيمان ... أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره فلا بد لك من الآن أن تصحح إيمانك بالله جَلَّ وَعَلَا وتحقق الإيمان يقينا .

وقد قال الحسن : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن الإيمان ما

وقر في القلب وصدقه العمل ، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قبل منه ومن قال خيرًا وعمل شرًّا لم يقبل منه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢]

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١٠٧ - ١١٠]

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ، اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنبًا إِلَّا غفرته ولا مريضًا إِلَّا شفيته ولا دينًا إِلَّا قضيته ، ولا همًّا إِلَّا فَرَّجْته ، ولاميتًا إِلَّا رحمته ، ولا عاصيًا إِلَّا هديته ، ولا طائعًا إلا سددته ، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إِلَّا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ، وتفرقنَا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيا أو محرومًا .

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم احمِ المسلمين الحفاة واكسو المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع .

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

أحبتي في الله ..

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ، ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ .

بسم الله الرحمن الرحيم

علامات الساعة الكبرى
نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ...

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

في رحاب الدار الآخرة

هذا هو لقاؤنا الخامس مع السلسة الكريمة ولا زلنا مع حديث حذيفة ابن أسيد الغفاري : اطلع علينا النبيﷺ ونحن نتذاكر فقال النبي ﷺ : « **مَا تَذَاكَرُونَ ؟** » فقالوا : نذكر الساعة فقال: « **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ ، الدُّخَانَ ، والدَّجَّالَ ، والدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابن مريمَ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ ، خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** »[1].

وها نحن الآن على موعد مع إحدى هذه العلامات الكبرى ألا وهي

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٠١) في الفتن ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ، وأبو داود رقم (٤٣١١) في الملاحم ، باب أمارات الساعة ، والترمذي رقم (٢١٨٤) في الفتن ، باب ما جاء في الخسف .

نزول عيسى عليه السلام .

أيها الحبيب الكريم : أعرني قلبك وسمعك وعقلك فإن الموضوع من الأهمية بمكان . وحتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من بين أيدينا فسوف أركز الموضوع في العناصر التالية :

أولًا : عيسى ابن مريم والميلاد المعجز .

ثانيًا : بل رفعه الله إليه .

ثالثًا : نزول عيسى من السماء إلى الأرض .

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أولاً : عيسى بن مريم والميلاد المعجز

أخي في الله لن أجد لك بداية أرحب ولا أجمل أبدأ بها حديثي معك الآن أجل من هذه الكلمات الجميلة في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ

عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٥ - ٣٧]

وقبل أن نتجول سويًّا في بستان هذه الكلمات الرقيقة الرقراقة أقول لك إنه لأول مرة في تاريخ البشرية الطويل منذ أن خلق الله آدم من تراب ينسب نبيًّا لأُمِّه .

مريم هي الأنثى الوحيدة في الوجود كله التي اختصها الله من بين النساء قاطبةً ليودعها سره الأكبر في أصفى حمل وأعجز ميلاد ، فمريم هي الفتاة العذراء النقية التقية التي اصطفاها الله جَلَّ في علاه من بين نساء العالمين ، فنفخ فيها من روحه ومنحها هذه المكانة الرقيقة الرقراقة من بين أمهات الدنيا جمعاء .

فأمها حنة بنت فاقود وصلت إلى سن اليأس ، فتمنت على الله أن يرزقها الولد ، والله على كل شيء قدير ، فاستجاب الله دعاءها وابتهالها إليه ، فتحرك الحمل في أحشائها بقدرة من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات بقدرة من يقول للشيء كن فيكون . فلما تحرك الحمل في أحشائها أحبت أن تشكر الله على هذه النعمة فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ .

نَذَرَتْ ما في بطنها لله جَلَّ وَعَلَا - أي : لخدمة بيت المقدس - جزاء

على ما رزقها هذه النعمة . بعد ما وصلت لهذه السن .. وبعد مرور أشهر الحمل وضعت بنتا جميلة رقيقة طيبة ، فنظرت إليها بحزن وقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ .

فقالت حنة : رباه إني وضعتها أنثى وأنت أعلم مني بما وضعت أي أنت الذي رزقتني وقدرت لي ذلك ، فليس الذكر كالأنثى في القوة والجلد وخدمة الأقصى وإني يا رب أعيذها بك من شر الشيطان وذريتها – وهو ولدها عيسى ابن مريم فاستجاب الله لها .

قال رسول الله ﷺ : « **مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ ، إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صارخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ ، إِلَّا ابنَ مَرْيمَ وَأُمَّهُ** »(١).

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ أي : إنه تقبل نذر أمها حنة وجعل شكلها مليحًا وأعطى لها منظرًا بهيجًا ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده ، تتعلم منهم العلم والخير والدين فلهذا قال : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وما ذلك إلا لأنها كانت يتيمة ، ويقال : إنها كانت سَنَةَ

---

(١) صحيح : رواه أحمد رقم (٧١٨٢) ومسلم رقم (٢٣٦٦) في الفضائل ، باب فضل عيسى ابن مريم وهو في صحيح الجامع رقم (٥٧٨٥) .

جَذْبٍ فكفلها زوج خالتها لكي تكون تحت رعاية خالتها وحنانها ولا منافاة بين القولين ، وقيل : إنه زوج أختها وقد ذكر القرآن لنا أيضًا ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤]

أي : ما كنت معهم يا محمد لتخبرهم عن معاينة ما جرى ، بل أطلعك الله عليه كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم لما اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفل هذه الطاهرة التقية الورعة ليكن له الأجر ، فحين خرجت بها حنة إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى - عليهما السلام - وقالت هي نذيرة ، ولا يدخل المسجد حائض ، ولكنى نذرتها ، وأنا لا أردها إلى بيتي .

فقال زكريا : ادفعوها لي فخالتها تحتي ، فقالوا : بذلك تطيب أنفسنا لأنها ابنة إمامنا ، وقالوا : نقترع وبالفعل اقترعوا ، فما هي القرعة ؟!

أن يرموا الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة في نهر الأردن ، وقالوا : أي قلم يثبت ولا يجري مع التيار بل يعاكسه هو كافلها وبالفعل حدث ووقع ذلك على قلم واحد ،... ترى من صاحب هذا القلم ؟!

إنه زكريا عليه السلام وذلك لحكمة يعلمها الله عز وجل ويعلمها لنا ألا وهي لتتعلم مريم وتقتبس من النبي الزكي زكريا عليه السلام العلم والفقه ، وكان إمامهم

وكبيرهم وسيدهم وعالمهم ونبيهم حين ذاك .

قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ تعجب زكريا من هذا الطهر والزهد والعفاف والتوحيد الذي وصلت به مريم البتول إلى مكانة عالية عند الله ﷻ فكلما دخل عليها وجد عندها رزقا .

ثم قال لها زكريا ﵇ ﴿ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾ أي : من أين لك هذا الرزق ؟!

قالت البتول الطاهرة : ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : ذلك لا دخل للمخلوق فيه بل هو من الخالق ، وهو يرزق من يريد بغير حدود تحده .

وهكذا أيها الأحبة الكرام

اصطفى الله مريم في بستان الورع بين أزهار التقى والنقاء والعفاف والصلاح ، هذه هي الزهرة والنبتة الطيبة ، نشأت مريم في هذا المكان وهذا الجو الإيماني الطاهر العفيف فاصطفاها الله وبشرها بهذه البشارة التي انفردت بها دون نساء العالمين ويالها من بشارة يالها من خصوصية اختص الله بها الطاهرة ..

إيه يا مريم ... إيه بماذا اختصك ربك ؟!

يقول الملك ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢ - ٤٣]

يا لها من مكانة آثرك بها الله دون نساء الدنيا يا مريم !

فلم تتوان مريم عن عبادة الرب فظلت البتول ساجدة وراكعة حتى أراد الله ﷻ أن يمنحها تلك المكانة الرفيعة من بين أمهات الدنيا .

قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ١٦-٢١]

وفى يوم من الأيام خلت مريم لنفسها لقضاء شأن من شئون العذراء الخاصة ... وفجأةً انحبس صوتها وشخص بصرها ،إنها مفاجأة مذهلة تأخذ بالعقول بل وتصدع الأفئدة ، بشر سوي في خلوة العـذراء البتول الطاهـرة . وسرعان ما استغاثت برب الأرض والسماوات ولجأت إليه

بشدة وقالت : ﴿ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ .

انظر إلى الفطنة والذكاء والورع ! لم تقل أعوذ بالجبار منك ولم تقل أعوذ بالغفار منك وإنما استجاشت الرحمة في قلبه بذكر الرحمن فقالت أعوذ بالرحمن منك ، أي : ارحم ضعفي . ارحم أنوثتي . ارحم خلوتي !!

ولكن قدر الله لها مفاجأة أعظم . أن أنطق هذا البشر السوي في خلوة البتول الطاهرة ليقول لها : لا تخافي ولا تحزني فأنا رسول ربك إليك ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ قالت : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ لم أكنْ أبدًا صاحبة فاحشة ، فهي لم تتصور مطلقا وسيلة للإنجاب غير وسيلة التقاء الرجل بالمرأة وهي لم تتزوج بعد ، ولم تفكر أيضا ألبته في الرذيلة ، وهنا يأتي الرد القاطع الحاسم فيقول الملك والرسول الكريم ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ .

فهنا يقول المولى : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩١]

فهنا حدث أمر غير مألوف ما اعتادت عليه الخليقة ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ لتنجب عيسى عليه السلام ، أي : نفخ الملك جبريل في أعلى

القميص بأمر من الله ﷻ وهذا ليبين للخلق طلاقة قدرة الخالق ، إنها قدرة لا تحدها حدود ، إن من يحاول أن يصل بعقله القاصر إلى حدود قدرة الله كمن يحاول أن يكلف نملة أن تنقل جبلًا من مكان إلى آخر وما هي بناقلته ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢]

فلا تفكر بعقلك القاصر البتة لتصل إلى منتهى قدرة الملك .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات ، فمن الذي خلق السماء بغير عمد ترونها ؟! .

من الذي خلق الأرض وشق فيها الأنهار والبحار وزينها بالأشجار ؟

من الذي خلق سنبلةَ القمح وغلفها بهذه الأغلفة الحصينة المكينة ؟

وجعل فوق كل حبة شوكة ؟؟ ولما جعلها هكذا ؟!

لأن الله قدر أن تكون هذه الحبة قوتًا لك أيها الإنسان دون الطيور أو غير ذلك !!

من الذي خلق كوز الذرة ورصَّ على قولحته هذه الحبات اللؤلؤية البيضاء بهذا الجمال والإبداع ؟!!

ومن الذي خلق الإنسان بهذا والجمال والإبداع ؟!

هو الله .... !!! ... هو الله ... !!! ... هو الله !!! ...

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٢-٢٣]

قُـلْ لِلَّطبيبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى ... يَا شَافِي الأَمْـرَاضِ مَـنْ أَرْدَاكَ ؟

قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَى وَعُوفِي بَعْدَ مَا ... عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَ؟

قُـلْ للصَّحِيحِ مَاتَ لَا مِنْ عِلَّـةٍ ... مَـنْ يَا صَحِيحُ بِالمَنَـايَـا دَهَـاكَ ؟

بَلْ سَلِ الأَعْمَى خَطَا وَسَطَ الزِّحَامِ ... بِلَا اصِدَامٍ مَنْ يَا أَعْمَى يَقُودُ خُطَاكَ ؟

بَلْ سَلِ البَصِيرَ كَانَ يَحْذَرُ حُـفْرَة ... فَهَوَى بِهَا مَنْ ذَا الَّذِي أَهـوَاكَ ؟

وَسَلِ الجَنِينَ يَعِيشُ مَعْـزُولًا بِلَا ... رَاعٍ وَلَا مَرْعَى مَنْ ذَا الَّذِي يَرْعَاكَ ؟

وَسَلِ الوَلِيدَ أَجْهَشَ بِالبُكَاءِ لَدَى ... الـوِلَادَةِ مَـنِ الَّـــذِي أَبْكَـاكَ ؟

وَإِذَا تَـرَى الثُّعْبَـانَ يَنْفُـثُ سُـمَّهُ ... فَسَلْهُ مَنْ يَا ثُعْبَانُ بِالسُّمُومِ حَشَاكَ ؟

وَاسْأَلْهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ تَحْيَا ... وَهَــذَا السُّـمُّ يَمْــلَأُ فَــاكَ ؟

وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ ... شَهْدًا وَقُـلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَلَّاكَ ؟

إنه الله .. إنه الله .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ .

انتهى الأمر وقدره الله ﷻ .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ هو الذي خلق الخلق .. خلق آدم يوم خلقه بلا أب أو أم !! وكذلك خلق عيسى من أم بلا أب !! ليكون للناس دليلا على طلاقة قدرة الخالق .

قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم : ١٢]

ولقد ظهر الحمل .. والراجح من أقوال المفسرين أن الحمل بعيسى كان حملًا عاديًّا تسعة أشهر ، ولا ريب أن الله جَلَّ وَعَلَا كان قادرًا ولا زال سبحانه على أن تحمل مريم بعيسى وتضعه في لحظة واحدة ، ولكن أراد الله بها أن يختبر مدى صبرها ومدى تحملها على هذا الابتلاء العظيم التي لا تستطيع أن تقدر عليه إلا مريم ابنة عمران العذراء البتول ، فهذا من تمام الابتلاء .

وبدأت بوادر الحمل تظهر على الطاهرة المطهرة ، وهنا نظر يوسف النجار - ذلك الرجل الذي كان يخدم بيت المقدس - إلى بطن الطاهرة

تعلو يوما بعد يوم ويتعجب ، ولكن كثيرًا ما كان يدفع أي خالجة تمر بذهنه لعلمه بطهر البتول ، ولكن ها هي جبلية البشرية قد غلبته ، وما استطاع أن يكتم هذه الحوالج عن لبه فقال لها : يا مريم إني سائلك عن شيء ولكن لا تعجلي عليَّ ، فقالت الطاهرة العذراء : سل ما شئت يا يوسف وقل قولًا جميلًا .

فقال لها يوسف : هل ينبت زرع بلا بذر ؟! وهل ينبت شجر بلا غيث أو مطر ؟! وهل يكون ولد بغير أب ؟!!!

فقالت مريم : نعم يا يوسف هو كذلك .

قال : وكيف يكون ذلك يا مريم ؟!!

قالت : ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم أنبته من غير بذر !!

وأنبت الشجر يوم خلقه بغير غيث أو مطر ، وخلق آدم يوم خلقه بغير أب أو أم !!

قال يوسف : أعلم أن الله على كل شيء قدير ! الله أكبر ..

قال الله تعالى : ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ

بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٢٢ - ٣٣]

هكذا قال عيسى الذي ما زال في المهد لا حول له ولا قوة له إلا بالله أنا عبد الله ، وأعطاني الإنجيل وجعلني نبيًّا ، وأمرني بالصلاة ، والزكاة ما دامت بي حياة ، ومحسنًا إلى العذراء أمي ، ولم يجعلني من الجبارين في الأرض ولا من الأشقياء .

ويكمل لنا القرآن قصة عيسى عليه السلام ويقول : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٤ - ٣٦]

تعالى الله عما قاله النصارى ، فالكمال صفة من صفاته ! أيحق له أن يتخذ ولدًا ؟!

ولِمَ يتخذ ولدًا وهو الغني عن خلقه ولن تغني الخليقة عنه ؟!!

فالله هو الغني عن الولد والصاحب والزوج .

فَيَا عُبَّادَ المَسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ

إِذَا مَاتَ الإِلَهُ بِصُنْعِ قَوْمٍ أَمَاتُوهُ فَهَل هَذَا إِلَهُ ؟!

وَيَا عَجَبٌ لِقَبْرٍ ضَمَّ رَبًّا وَأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ

أَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُورٍ لَدَى الظُّلُمَاتِ مِنْ حِيضٍ غِذَاهُ

وَشَقَّ الفَرْجَ مولدًا صَغِيرًا ضَعِيفًا فَاتِحًا لِلثَّدْيِ فَاهُ

وَيَأْكُلُ ثُمَّ يَشْرَبُ ثُمَّ يَأْتِي بِلَازِمِ ذَاكَ فَهَلْ هَذَا إِلَهُ ؟!

تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَارَى سَيُسْأَلُوا كُلُّهُمْ عَمَّا افْتَرَاهُ

وصدق الله إذا يقول : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يا من تشركون بالله ... فالله لا ند له ..ولا كفء له .. ولا شبيه له .. ولا زوج له ... ولا ولد له ولا والد له ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

أحبتي في الله

أرى أنه من الجمال أن أختم هذا العنصر بهذا الحوار المبارك الجميل

الذي بَرَّأ به ربنا ساحة نبيه عيسى عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[المائدة : ١١٦ – ١١٨]

ثانيًا : بل رفعه الله إليه

زعم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة أنهم قتلوا عيسى ابن مريم وصلبوه ، وزعم النصارى بجهل وغباء أن عيسى صلب وقتل ودفن وخرج من قبره بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الرب أبيه ، وهو ينتظر إلى يوم الخلاص ليقضي بين الأحياء والأموات﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ فبين الله الحق وكذب اليهود والنصارى فقال سبحانه : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ

مِنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء : ١٥٧ - ١٥٩]

قال أهل التفسير : أن الله ﷻ لما أراد أن يرفع نبيه عيسى إلى السماء بعد ما انطلق اليهود لقتله ألقى الله شبه عيسى على يهوذا الأسخريوطي الخائن الذي أخذ اليهود ليدلهم على مكان عيسى فابتلاه الله فألقى عليه شبه عيسى فأخذه اليهود فقتلوه وصلبوه وهذا قول .

والقول الآخر : ثبت عن ابن عباس بسند صحيح كما روى ابن أبى حاتم والنسائي بسند صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة النساء .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما أراد الله أن يرفع عيسى خرج إلى بيت فيه اثني عشر رجلًا من الحواريين فقال نبي الله عيسى : إن منكم من سيكفر بي بعد أن آمن بي ، ثم قال لهم : أيكم يقبل أن يلقى عليه شبهي ليقتل مكاني ليكون معي في درجتي في الجنة ، فقام شاب أحدثهم سنًّا - أصغر الجالسين - فقال له : أنا ، فقال : اجلس ، فجلس ، ثم أعاد عيسى القول مرة ثانية فقام نفس الشاب فقال له : اجلس ، فجلس ، ثم أعاد عيسى قوله للمرة الثالثة ، فقام نفس الشاب ، فقال عيسى : هو أنت ،

فألقى الله على هذا الشاب شبه عيسى ، ورفع الله عيسى إلى السماء .

وجاء الطلب من اليهود أي : الذين يطلبون عيسى لقتله فأخذوا هذا الشاب فقتلوه فصلبوه فكفر بعض أتباع عيسى ممن آمنوا به كما ذكر لهم قبل قليل .

ثم ينزل الله ﷻ عيسى بعد ذلك لحكم عديدة خذوا منها : أن الله تبارك وتعالى سينزل عيسى ﷺ ليكذب اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه ، وليكذب النصارى الذين جهلوا هذه الحقيقة ، وليبين للناس جميعا أن محمدًا ﷺ وأن الموحدين معه من أمته أولى الناس بعيسى ﷺ لأنه سيحكم العالم كله بكتاب الله وبشريعة محمد رسول الله ﷺ .

سينزل عيسى ليموت في الأرض فما قولك إذًا في قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٥]

والجواب كما قال جمهور المفسرين : إن الوفاة في الآية معناها الوفاة الصغرى وهي النوم كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام : ٦٠]

وكما في قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢]

أي : في منامها كما في قول المصطفى إذا استيقظ من منامه « **الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** »[١].

إني متوفيك أي ألقى الله عليه سِنَةً من النوم ، وهذه هي الوفاة الصغرى باتفاق ثم رفعه الله ﷻ ثم ينزله الله تبارك وتعالى في الوقت الذي يشاء .

ثالثا : نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء

بين الله جَلَّ وَعَلَا أنه رفع عيسى إليه إلى يوم الوقت المعلوم الذي سينزل فيه إلى الأرض مرة أخرى ليكون علامة كبرى من العلامات الدالة على قيام الساعة فقال في قرآنه : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٦٣١٢) في الدعوات باب ما يقول إذا نام ، والترمذي رقم (٣٤١٣) في الدعوات باب ما يدعو به عند النوم ، وأبو داود رقم (٥٠٤٩) في الأدب باب ما يقال عند النوم .

بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٥٧-٦١]

انتبه جيدا ففي قراءة ابن عباس ومجاهد وإنه لعلم للساعة أي نزول عيسى أمارة وعلامة على قيام الساعة .

بل وروى ابن جرير بسند صحيح أن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ أي : خروج عيسى عليه السلام ، فإن نزل فهذه علامة كبرى تدل على قرب قيام الساعة ، وقال الله تعالى في الآية التي ذكرت آنفا ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي : قبل موت عيسى عليه السلام .

وقد بينت السنة الصحيحة المتواترة نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء .

ففي الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبي ﷺ قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشَكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الجِزْيَةَ وَيَفِيضَ المَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ** »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٢٢٢) في البيوع ، باب قتل الخنزير ، ومسلم رقم (١٥٥) في الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة محمد ﷺ ، وأبو داود رقم (٤٣٢٤) في

وانظر ماذا قال الحبيب في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : « **لَيْسَ نَبِيٌّ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، إِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالقَصِيرِ وَلَا بِالسَّمِينِ وَلَا بِالنَّحِيفِ مَائِلٌ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً مِنْ غَيْرِ بَلَلٍ** »[1].

وفى رواية النواس بن سمعان في صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة أنه ﷺ قال : « **يَنْزِلُ عِيسَى عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقٍ بَيْنَ مَهْرَوَدَتَيْنِ** » في الرواية الأولى التي ذكرت آنفا بين ممصرتين - أي : ثوبين مصبوغين بصفرة خفيفة يسيرة « **وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ تَنْحَدِرُ مِنْهُ جُمَانٌ كَحَبَّاتِ اللُّؤْلُؤِ ، يَتَوَجَّهُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَإِذَا رَأَى الإِمَامُ الفَطِنُ الذَّكِيُّ اللَّبِقُ نَبِيَّ اللهِ عِيسَى عَرَفَهُ وَتَقَهْقَرَ لِلْخَلْفِ لِيَتَقَدَّمَ نَبِيُّ اللهِ**

الملاحم باب خروج الدجال ، والترمذي رقم (٢٢٣٤) في الفتن ، باب ما جاء في نزول عيسى عليه السلام .

(١) صحيح : رواه أبو داود رقم (٤٣٢٤) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٨٢) وهو في صحيح الجامع رقم (٥٣٨٩) .

عِيسَى فَيَقُولُ لَهُ نَبِيُّ الله : لَكَ أُقِيمَتْ فَإِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءَ تَكْرِمَةَ الله لِهَذِهِ الأُمَّةِ فَيُصَلِّى نَبِيُّ الله عِيسَى خَلْفَ إِمَامَ المُسْلِمِينَ فَإِذَا انْتَهُوا مِنَ الصَّلَاةِ انْطَلَقَ نَبِيُّ الله عِيسَى إِلَى بَابِ بَيْتِ المَقْدِسِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوا البَابَ فَإِذَا فَتَحُوا البَابَ رَأَوا الدَّجَّالَ خَلْفَ البَابِ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ اليَهُودِ بِالسُّيُوفِ فَإِذَا نَظَرَ الدَّجَّالُ إِلَى نَبِيِّ الله عِيسَى ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَهْرَبَ فَيَتْبَعَهُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لدٍّ - مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ الآنَ بِفِلِسْطِينَ - فَيَقْتُلُهُ ، وَيُرِيحُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » .

قال المصطفى ﷺ قولًا عجيبًا كما في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وصحح السند الحافظ ابن حجر من حديث أبى هريرة ﷺ وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « فَيَهْلَكُ فِي زَمَانِ عِيسَى المِلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللهُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ ، وَتَنْزِلُ الأَمَنَةَ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَرْعَى الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ البَقَرِ ، وَالذِّئَابِ مَعَ الغَنَمِ »[1].

أستحلفك بالله أن تنظر لبداية الحديث يقول الرسول تهلك كل الملل إلا الإسلام ....

سبحان الله ..!! والله أكبر !!

---

(١) مسند أحمد رقم (٨٩٠٢) .

أبشر أيها الموحد .. أبشر يا من تحب « **لَا إِلَهَ إِلَّا الله** » .

نعم والله ستهلك كل الأديان إلا الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩]

وانظر مرة أخرى ومحص النظر .

ترعى الأسود مع الإبل ...!! والنهار مع البقر .

والذئاب مع الغنم ...!!

وفى رواية أبى أمامة وسندها صحيح قال المصطفى ﷺ : « **فَيَكُونُ الذِّئْبُ مَعَ الغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا وَيَمُرُّ الوَلِيدُ عَلَى الأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ وَتَمُرُّ الوَلِيدَةُ عَلَى الحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهَا ، رُفِعَ الظُّلْمُ وَاسْتَقَرَّ الأَمْنُ وَالأَمَانُ وَالرَّخَاءُ وَزَادَتِ البَرَكَةُ حَتَّى تَنْزِلَ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ** » .

بل في رواية النواس بن سمعان قال ﷺ : « **فَيُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ** - اللبن - **حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ - الوَلِيدَةُ الَّتِي وَضَعَتْ وَلَدَهَا - مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ** - الجماعة - **وَاللَّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ** .... »[1] سبحان الله ..!!

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٣٧) في الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال .

وهكذا تعيش الأرض حالة لا نسيج لها في التاريخ كله ، حتى قال المصطفى في الحديث الذي رواه الديلمي والضياء المقدسي وصححه في الصحيحة الألباني من حديث أبي هريرة أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ ، طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ ، يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي القَطْرِ وَيُؤْذَنُ لِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ حَتَّى إِذَا بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنبتَ وَلَا تَشَاحُنَ وَلَا تَحَاسُدَ ، وَلَا تَبَاغُضَ ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ وَلَا يَضُرُّهُ وَيَطَأُ عَلَى الحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ ، وَلَا تَشَاح وَلَا تَحَاسُد وَلَا تَبَاغُض** »[1].

.... الدعـــاء

---

(١) صححه شيخنا الألباني ، في الصحيحة حديث رقم (١٩٢٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

علامات الساعة الكبرى

يأجوج ومأجوج

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله ، أدى الأمانة وبَلَّغَ الرسالة ونصح للأمة فكشف الله به الغُمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته ورسولا عن دعوته ورسالته ، وصَلِّ اللهم وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعـد ...

فحياكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء وأيها الأخوة الأحباب الكرام الأعزاء ، وطبتم وطاب ممشاكم ، وتبوأتم جميعا من الجنة منزلًا ، وأسأل الله العظيم جَلَّ وَعَلَا الذي جمعنا وإياكم في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أحبتي في الله :

في رحاب الدار الآخرة

سلسلة علمية هامة تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي الهدف منها :

تذكير الناس بحقيقة الدنيا للإنابة والتوبة إلى الله جَلَّ وَعَلَا قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون .

وهذا هو لقاؤنا السادس من لقاءات هذه السلسلة ، وحديثنا اليوم إن شاء الله تعالى عن علامة من علامات الساعة الكبرى التي ذكرها المصطفى ﷺ في حديثه الصحيح الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن أُسَيد الغفاري قال : اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال المصطفى ﷺ : ((**مَا تَذَاكَرُونَ**)) ؟ فقالوا : نذكر الساعة ، قال المصطفى : ((**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ : الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابن مَرْيَم ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ ،**

وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ))[1].

تكلمنا عن الدجال ونزول عيسى عليه السلام وحديثنا اليوم إن شاء الله تعالى عن يأجوج ومأجوج .

وكعادتنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعا ، فسوف أركز الحديث مع حضراتكم اليوم عن يأجوج ومأجوج في العناصر التالية :

أولًا : **تأصيل لغوى شرعي مختصر**

ثانيًا : **بعث النار**

ثالثًا : **ذو القرنين ويأجوج ومأجوج**

رابعًا : **خروجهم بين يدي الساعة**

خامسًا : **عيسى ابن مريم والدعاء المستجاب**

فأعرني قلبك وسمعك أيها الحبيب ، والله أسأل أن يجعلني وإياكم جميعا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب .

---

(١) سبق تخريجه .

أولًا : تأصيل لغوي وشرعي مختصر

أيها الأحبة : لقد أورد كثير من المؤرخين والمفسرين أخبارًا عجيبة وروايات غريبة عن يأجوج ومأجوج ، ذكروا في هذه الروايات والأخبار أصلهم ، ونسبهم ، وأشكالهم ، وألوانهم ، ومكانهم !!

وهذه الأخبار والروايات لا تعدو أن تكون مجرد خرافات وأوهام وخيالات وأساطير ، لأنها أُخِذَت من الإسرائيليات .

أُخِذَت من غير المصادر اليقينية ، أي : القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، فلا يجوز لأحدٍ بحال أن يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية إلا بالدليل الصريح من القرآن أو بالدليل الصحيح من سنة النبي ﷺ فلسنا في حاجة على الإطلاق لأن نلهث وراء الإسرائيليات والأخبار العجيبة والموضوعة لنتكلم عن يأجوج ومأجوج أو عن ذي القرنين ،وإنما يجب علينا جميعا أن نقف عند النص اليقيني في كتاب ربنا وفى سنة الحبيب نبينا ﷺ ففيه الغنى .

يأجوج ومأجوج أُمَّتَانِ من البشر من ذرية آدم عليه السلام يتميزان عن بقية البشر بالاجتياح المروع والكثرة الكاثرة في العدد والتخريب والإفساد في الأرض بصورة لم يسبق لها مثيل .

وقال المحققون من أهل اللغة نقلا عن ابن منظور في لسان العرب

وغيره قالوا : يأجوجُ ومأجوجُ اسمان أعجميان مشتقان من أجيج النار ، أي : من التهابها ومن الماء الأجاج وهو الشديد الملوحة والحرارة .

فشبَّهوهم بالنار المضطرمة المتأججة ، وبالمياه الحارة المحرقة المتموجة لكثرة تقلبهم ، واضطرابهم ، وتخريبهم ، وإفسادهم في الأرض .

هذا هو التأصيل اللغوي الذي لابد منه بداية حتى لا نطلق لخيالنا العنان لنلهث وراء الخرافات والأساطير والأوهام .

لذا أخبرنا المصطفى أن يأجوج ومأجوج هم بعث النار يوم القيامة وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء :

ثانيًا : بعث النار

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **يَقُولُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ : يَا آدَمُ ! فَيَقُولُ آدَمُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرَ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : أَخْرِجِ بَعْثَ النَّارِ ، فَيَقُولُ آدَمُ** ﷺ **: وَمَا بَعْثُ النَّارِ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ المَلِكُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمَائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ** » فشق ذلك على أصحاب النبي المختار ، وفي رواية فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة ، وفي رواية فبكى أصحاب

الرسول وقالوا : يا رسول الله وأينا ذلك الواحد فقال المصطفى : ((**أَبْشِرُوا ! أَبْشِرُوا ! فَمِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ تِسْعِمَائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ**)) ثم قال المصطفى ﷺ : ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**)) فكبرنا .

قال : ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**)) فكبرنا ، فقال المصطفى ﷺ في الثالثة : ((**وَاللهِ لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**)) .

أمة النبي أمة مرحومة .. أمة النبي أمة ميمونة .

وَمِمَّا زَادَنِي فَخْرًا وَتِيهًا ... وَكِدْتُ بِأُخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيَّا

اسجد له شكرًا أنك من أمة الحبيب محمد ﷺ ، فأمة المصطفى أمة مرحومة أثنى عليها ربها وأثنى عليها نبيها .

قال الله لها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

قال الله لها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد وابن ماجة بسند حسن قال المصطفى ﷺ : ((**أَنْتُمْ مُوفُونَ سَبْعُونَ أُمَّةٍ أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ جَلَّ**

وَعَلَا »[١].

أنتم خير الأمم .. أنتم أكرم الأمم على الله جَلَّ وَعَلَا.

بل وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا نُوحُ هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيُدْعَى قَوْمُهُ وَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ نُوحٌ ؟ فَيَقُولُ قَوْمُ نُوحٍ : لَا مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ ، فَيَقُولُ الحَقُّ جَلَّ وَعَلَا : وَهُوَ أَعْلَمُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ يَا نُوحُ ؟ فَيَقُولُ نُوحٌ : يَشْهَدُ لِي مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، يَقُولُ المُصْطَفَى : فَتُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ لَهُ بِالبَلَاغِ ثُمَّ أُدْعَى فَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ** »[٢].

وذلك قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

بل ومن الأحاديث الممتعة التي تبين فضل السابقين واللاحقين من أمة سيد النبيين ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي أتى المقبرة يوما فقال : « **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أَنْتُمْ السَّابِقُونَ وَإِنَّا إِنْ**

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٤٤٨٧) في التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ والترمذي (٢٩٦٥) في التفسير ، باب ومن سورة البقرة ، وهو في صحيح الجامع رقم (٨٠٣٤) .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٣٣٩) في أحاديث الأنبياء ، باب قول الله ﷻ : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه** ﴾ ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، ورواه أيضاً أحمد في المسند رقم (١١٢٢٢) .

شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » ثم قال الحبيب ﷺ : « وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا » فقال الصحابة : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَإِخْوَانُنَا قَوْمٌ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ » فقال الصحابة : فكيف تعرف من لم يأتِ بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال المصطفى ﷺ : « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَة بين ظَهْرَي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ - أي سود - أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال المصطفى ﷺ : « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ »[1].

أحبتي في الله :

أقف الآن وحضراتكم مع هذا الحوار الجميل بين ذي القرنين وقوم تعرضوا للفساد والإيذاء على أيدي يأجوج ومأجوج وهذا هو عنصرنا الثالث بإيجاز .

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (١٣٦) في الوضوء ، باب فضل الوضوء والغر المحجلون ، ومسلم رقم (٢٤٩) في الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، والموطأ (١/ ٢٨-٣٠) والنسائي (١/ ٩٣-٩٥) في الطهارة .

ثالثاً : ذو القرنين ويأجوج ومأجوج

لقد حكى الله قصة ذي القرنين في سورة واحدة من سور القرآن ألا وهي سورة الكهف قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ

عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾

[الكهف : ٨٣ - ٩٨]

هذه هي قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج وأقول لك : إن قصة ذي القرنين هي الأخرى قد نُسِجَ حولها من الأساطير والخرافات والخيالات والأوهام ما يندى له جبين التحقيق خجلًا وحياءً .

لا يجوز لأحد يحترم علمه وعقله أن يتجاوز النص القرآني في قصة ذي القرنين فما ذكره الله في القرآن عن ذي القرنين فيه الغنى وفيه الكفاية ، ولسنا في حاجة لأن نلهث وراء الإسرائيليات لننسج حول شخصية ذي القرنين الأساطير والخرافات والأوهام .

والآن أدعوك لنتجول سويًّا لنتعرف على قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج بالنص القرآني والتفسير اليسير .

ذو القرنين عبد صالح اختلف أهل التفسير في نبوته لكن لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك .

والقصة تبدأ بسؤال المشركين للنبي المصطفى ﷺ ويأتي الجواب من الله جَلَّ وَعَلَا . قل يا محمد . وكلمة « قُلْ » يسميها علماء التفسير وعلماء اللغة قل التلقينية ، أي : القصة ليست من عند رسول الله بل هي وحي

من عند الله جَلَّ وَعَلَا .

﴿ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ : كلمة « مِنْهُ » التبعيضية : أي سأتلوا عليكم بعض الشيء من قصة ذي القرنين ولو علم الله في الزيادة عن النص القرآني خيرًا لذكرها لنا فلنقف عند ما ورد في القرآن وما ثبت في حديث النبي ﷺ ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

تدبر ... فمن الذي مَكَّنَ لذي القرنين ؟

فالتمكين إن نقبت عنه في القرآن سترى أنه في كل مرة وردت لفظة التمكين تنسب إلى الله رب العالمين ، وهذه القاعدة البلاغية تؤصل في القلوب قاعدة إيمانية .

فالذي يُمَكِّن للدول والأمم والشعوب هو الله ، فيجب علينا جميعا أن نعلق قلوبنا بالملك الذي يفعل كل شيء ، مع الأخذ بالأسباب فهذا من حقيقة التوكل على الله .

لا تسود أمة إلا بإذن الله ولا تزول أمة إلا بإذن الله .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦]

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

أخذ بهذه الأسباب والوسائل للتمكين والنصر والفتح والظهور.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]

فهناك من الأمم من يمكن الله لها فتأخذ بأسباب التمكين فيزيدها الله ثباتا وتمكينا فإن فرطت أذهب الله عنها التمكين . وهناك من الناس من إذا مكن الله له أخذ بوسائل التمكين فزاده الله رفعة ونصرا فإن فرط في هذه الأسباب والوسائل أمر الله ﷻ بزواله وهلاكه .

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ أعطاه من الأسباب ما يستطيع أن يفتح وأن ينتصر وأن يجوب البلاد شرقًا وغربًا .

يبدأ ذو القرنين الرحلة الجهادية الأولى في سبيل الله نحو المغرب .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗا ﴾ ومن المعلوم أنه ليس للشمس مشرقًا واحدًا ولا مغربًا واحدًا بل لها عدة مشارق ومغارب .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠]

فالشمس لها مشارق ومغارب بحسب فصول السنة وأيامها وشهورها ، لها مشارق ومغارب بحسب المكان ، لها مشارق ومغارب بحسب رؤية

الرائي إلى قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب .

﴿ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾

فبين ذو القرنين منهجه العادل ودستوره الحكيم ، فقال كما ذكر في كتاب ربنا : ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ .

وأما من ظلم نفسه بالشرك وعدم اتباعي فسوف أعذبه وله عند الله العذاب العظيم ، أما من اتبعني وآمن بما جئت به ووحد الله واستقام على منهج الله فله الحسنى وهى الجنة ، أما من ناحيتي فسنقول له يسرا .

ثم انطلق نحو المشرق في رحلة ثانية ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ لا يحمي هؤلاء الناس والقوم شيء على الإطلاق ، لا يحول بينهم وبين الشمس شيء .

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ أي : علم الله ﷻ كل ما يدور في قلبه وفى نفسه .

وتبدأ الرحلة الثالثة التي هي محل الشاهد في موضوعنا : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ والسدين : الجبلين العظيمين .

﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ .

لا يعرفون لغة ذي القرنين أو لا يستطيعون أن ينفتحوا على غيرهم من الأمم ، فهم قوم منعزلون على أنفسهم ، تعرضوا إلى أشد الهجمات وأعنف الضربات على يدي يأجوج ومأجوج ، فلما رأوا ذي القرنين الملك الفاتح العادل توسلوا إليه وانطلقوا وقوفًا بين يديه وقالوا : ﴿ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ .

هؤلاء القوم يقولون لذي القرنين : هل نبذل لك من أموالنا ما تشاء وما تريد على أن تبني لنا سدًا منيعًا يحمينا من يأجوج ومأجوج .

فرد عليهم بزهد وورع وقال : ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾ .

لقد أعطاني الله ﷻ من وسائل التمكين ما أغناني به عن مالكم ولكنه لمح فيهم الكسل ، فأراد أن يشركهم في هذا المشروع العظيم وفي هذا العمل الضخم ، فقال لهم ولكن !

﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي : قال بلغة العصر : التخطيط الهندسي والمعماري والإنفاق المادي لبناء هذا السد ولإقامة هذا المشروع ، سنتكفل نحن بذلك ، ولكننا في حاجة إلى العمال ، في حاجة إلى عمالة يحملون ويبنون ويقيمون هذا العمل ، ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ .

وبدأ ذو القرنين المهندس البارع الذي سبق علماء الهندسة المعاصرين بعدة قرون .

أمر بالبدءِ في المرحلة الأولى من مراحل هذا المشروع ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ أي : اجمعوا لي قطع الحديد الضخمة وأمرهم بوضع هذه القطع في مكان ضيق بين هذين السدين ، فلما وضعت قطع الحديد حتى ساوت قمة الجبلين قال : انفخوا النار المشتعلة التي تصهر هذا الحديد ، ولك أن تتصور حجم هذه النيران التي اشتعلت لتصهر أطنانًا من الحديد لا يعلم وزنها إلا العزيز الحميد ، اشتعلت النيران تحت هذا الحديد بين السدين في مكان ضيق ، يريد أن يسد على يأجوج ومأجوج الطريق الذي ينفذون منه إلى هذه الأمم المسكينة المغلوبة على أمرها .

فأشعل النيران حتى انصهر الحديد وذاب بين السدين أي بين الجبلين ، فأمر ذو القرنين أن يدخلوا في المرحلة الثانية من مراحل البناء ، ألا وهي أن يذيبوا النحاس حتى ينصهر .

فلما انصهر النحاس أمرهم بصب النحاس على الحديد فتخلل النحاس الحديد فأصبح النحاس والحديد معدنًا واحدًا ليزداد صلابة وقوة فلا تستطيع يدي يأجوج ومأجوج أن تتسلقه أو أن تنقبه .

وبذلك يكون ذو القرنين قد سبق العلم المعاصر في تقوية الحديد

بالنحاس فلما ساوى بين الصَّدَفين بهذا الحديد وبهذا النحاس ليبين لنا سمات القيادة الفذة الناجحة التي تستطيع أن تجمع بين الخيوط والخطوط .

التي تستطيع أن تجمع بين المواهب والطاقات والقدرات والإمكانيات لتستغل الموارد والطاقات أعظم استغلال .

ذو القرنين يبين لنا سمات القيادة الناجحة ، وما أحوج الأمة إلى هذه القيادة الفذة ، فلما نظر إلى هذا السد العظيم لم يسكره نشوة القوة والعلم ، لم يقل فن الإدارة !!

لم يقل : إنما أوتيته على علم عندي !! وإنما نسب الفضل لصاحب الفضل جَلَّ وَعَلَا فقال : ﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ .

درس عظيم .. هذا رحمة من ربي ثم بين للحضور معتقده الصافي في الإيمان في البعث والإيمان بيوم القيامة فقال لهم : إن الذي أمر ببناء هذا السد هو الله ، وأن الذي أمر بحجز يأجوج ومأجوج هو الله ، وأن الذي سيأذن لهم بالخروج هو الله ، وحتما سيأتي يوم على هذا السد المنيع ليجعله الله ﷻ دكاء أي ليسويه بالأرض وذلك لا يكون إلا بين يدي الساعة كما سيسوى جبال الأرض كلها بالأرض ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ .

هكذا يبين ذو القرنين العقيدة الصافية في الإيمان بالبعث ، في الإيمان بيوم القيامة وعلامته الكبرى حين يأذن الحق تبارك وتعالى ليأجوج ومأجوج في الخروج حينئذ يستطيعون أن ينفذوا هذا السد ويخرجوا وهذا هو عنصرنا الرابع من عناصر هذا اللقاء :

رابعًا : خروجهم بين يدي الساعة

في صحيح البخاري من حديث زينب بنت جحش - رضى الله عنها - أن النبي ﷺ دخل عليها يوما فزعا وهو يقول « **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ** » وحلق بأصبعه السبابة والإبهام فقالت زينب بنت جحش : يا رسول الله أَنهلِكُ وفينا الصالحون ؟ فقال المصطفى ﷺ : « **نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ** »[1] يهلك الصالح والطالح ويبعث الله الصالحين والطالحين على نياتهم .

وتدبر معي هذا الحديث : الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم في المستدرك وصحح الحاكم الحديث على شرط الشيخين

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٣٤٦) في أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، ومسلم رقم (٢٨٨٠) في الفتن ، باب اقتراب الفتن ، والترمذي رقم (٢١٨٨) في الفتن .

وأقر الحاكم الذهبي والألباني في السلسلة من حديث أبي هريرة أن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قال : « **إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفُرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالُوا : ارْجِعُوا فَسَتَحْفُرُونَهُ غَدًا فَيَرْجِعُونَ فَيُعِيدُ اللهُ السَّدَّ أَشَدَّ مِمَّا كَانَ ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ خَرَجُوا يَحْفُرُونَ السَّدَّ فَقَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ إِذَا مَا رَأَوْا شُعَاعَ الشَّمْسِ ارْجِعُوا وَسَتَحْفُرُوهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فَيَعُودُونَ فَيَرَوْنَ السَّدَّ كَهَيْئَتِهِ الَّتِي تَرَكُوهُ عَلَيْهَا فَيَحْفُرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ** »[1] وفي رواية مسلم في حديث النواس بن سمعان « **فَيَمُرُّونَ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةِ فَإِذَا مَرَّ أَوَائِلُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ شَرِبُوا مَاءَ الْبُحَيْرَةِ كُلِّهِ فَإِذَا مَرَّ آخِرُهُمْ قَالَ : لَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ مَاءٌ** » .

فيخرجون فيخاف الناس ويتحصنون منهم في الحصون ، يتركون لهم الشوارع والطرقات لا قدرة لأحد بقتالهم كما سأذكر في رواية النواس بن سمعان قال المصطفى ﷺ : « **يَا عِيسَى إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ قَوْمًا** - أي : يأجوج ومأجوج - **لَا يُدَانُ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ** - أي : لا طاقة لأحد بقتالهم - **فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ أَيِ اجْمَعْ عِبَادِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ فِي سَيْنَاءَ** »

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٤٠٨٠) والحاكم وهو في صحيح ابن حبان (١٩٠٨) .

ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيقول يأجوج ومأجوج : لقد قتلنا أهل الأرض تعالوا لنقتل أهل السماء .

انظر إلى الفجور !! وبهذه العبارة فقط تستطيع أن تتصور حجم الفساد في الأرض إذ تجرأ هؤلاء وفكروا في أن يقاتلوا أهل السماء وبالفعل يوجهون النشاب - أي السهام - إلى السماء فيريد الملك أن يبتليهم فيرد الله عليهم نشابهم ملطخة دمًا فتنة من الله تعالى فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء في الوقت الذي تبتلى فيه الأرض بهذه الفتنة تكون فتنة أخرى عصفت بأهل الأرض عصفًا ألا وهي فتنة الدجال فينزل عيسى عليه السلام وهذا ما ستتعرف عليه بعد جلسة الاستراحة .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

خامسًا : عيسى بن مريم والدعاء المستجاب

يُنزل الله تعالى عيسى ﷺ كما في حديث النَّواس بن سمعان الذي رواه مسلم قال المصطفى : ((**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ** - أي الدجال - **إِذْ أَنْزَلَ اللهُ** ﷻ **عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتين أَيْ ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطر وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّر مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ**)) إذا رفع نبي الله عيسى رأسه تقطر منها الماء كحبات اللؤلؤ الأبيض .

يقول المصطفى ﷺ ((**فَيَطْلُبُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدّ** - مدينة بفلسطين -)) فيقتل عيسى ابن مريم الدجال عليه لعنة الله .

((**ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُبَشِّرُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُو كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يُدَانُ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرز عِبَادِي إِلَى الطُّورِ**)) - أي : لا طاقة ولا قدرة لأحد بقتالهم - يقول المصطفى ﷺ : ((**وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**)) ينتشرون ، يغطون وجه الأرض من فوق المرتفعات والجبال .

فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم

فيقولون : لقد كان بهذه مرةً ماءٌ ويحصر نَبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه أن يتضرعوا إلى الله عز وجل أن يهلك يأجوج ومأجوج فيستجيب الله دعاء عيسى وأصحابه من أمة النبي محمد ﷺ .

اسمع ماذا قال المصطفى ﷺ : « **فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَى يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ النَّغْفَ** » النغف : هو الدود الصغير .

تدبر قدرة الملك وعظمة الملك ، والله ما أحوج الأمة إلى أن تمتلئ قلوبها يقينا بقدرة الملك جَلَّ جَلَاله .

ما أحوجنا إلى أن نتعرف على عظمة الله وعلى جلال الله ، وعلى قوة الله ، وعلى قدرة الله ، فإن أمر الله بين الكاف والنون .

فيرسل الله عليهم النغف أي الدود الصغير في رقابهم فيهلكهم الحق جَلَّ وَعَلَا فيقول المصطفى ﷺ : « **فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى - أي قتلى - كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** » في رواية « **يَطْلُبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَصِّنِينَ الخَائِفِينَ أَنْ يَخْرُجَ وَأَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ لِيَرَى مَاذَا فَعَلَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فِي الأَرْضِ فَيَخْرُجُ وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْقَتْلِ وَالهَلَاكِ فَيَرَى هَذِهِ الكَرَامَة وَالْمُعْجِزَة وَالآيَة فَيَرْجِعُ لِنَبِيِّ اللهِ عِيسَى وَيُنَادِي عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ : أَبْشِرُوا لَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** » يقول المصطفى ﷺ : « **ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ**

الله عِيسَى مَعَ أَصْحَابِهِ فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتِنُهُمْ - الزهم : الدهن والشحم - لَا يَقْوَى النَّاسُ عَلَى هَذِهِ الرَائِحَةِ الكَرِيهَةِ النَّتِنَةِ . فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله أَنْ يُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنَ هَذِهِ النَتِنِ ، فَيُرْسِلُ اللهُ ﷻ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ - أي كرقاب الإبل - فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُمَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَة - أي تصبح الأرض كالمرآة في صفائها ونقائها - وَحِينَئِذٍ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ)).

يقول المصطفى ﷺ : ((فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً تَأْخُذُ النَّاسَ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ هَذِه الرِّيحُ رَوْحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونُ فِي الأَرْضِ تَهَارُجَ الحُمُرِ - أي الحمير - وَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)) .

وبذلك يكون قد أنهيت الحديث عن يأجوج ومأجوج من المصادر اليقينية من كتاب الله والسنة الصحيحة ، وأنصح أحبابي أن لا يقفوا بعد ذلك وراء الأساطير والأوهام والإسرائيليات التي وردت في ذلك .

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا وإياكم العلم النافع وأن يفقهنا وإياكم في الدين وأن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شيء

قدير .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا .

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنبًا إلا غفرته ولا مريضًا إلى شفيته ولا دينًا إِلَّا قضيته ، ولا هما إِلَّا فَرَّجْته ، ولاميتًا إِلَّا رحمته ، ولا عاصيًا إِلَّا هديته ، ولا طائعًا إِلَّا سددته ، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إِلَّا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ، وتفرقنَا من بعده تفرقا معصوما ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيًّا أو محرومًا .

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم احمِ المسلمين الحفاة واكسو المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع .

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

أحبتي في الله ..

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو

نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ، ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ .

وأقم الصلاة ...

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشمس . الدابة
الدخان . الخسوف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء – ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ – ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا السابع مع السلسة الكريمة **في رحاب الدار الآخرة** وما زلنا بحول الله ومدده نتحدث عن العلامات الكبرى للساعة والتي ذكرها الحبيب المصطفى ﷺ في حديثه الصحيح الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ؓ قال : اطلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال المصطفى ﷺ : « **مَا تَذَاكَرُونَ** » قالوا : نذكر الساعة ، فقال ﷺ : « **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ : الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابن مَرْيَم ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ ، وَخَسُفٌ بِالمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ ، وَآخَرْ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** »[١] .

وسأتحدث اليوم إن شاء الله تعالى عن بقية العلامات الواردة في الحديث نظرًا لأن المادة العلمية الصحيحة في بقية هذه العلامات قليلة .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٠١) ، في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ، وأبو داود رقم (٤٣١١) ، في الملاحم ، باب أمارات الساعة ، والترمذي رقم (٢١٨٤) ، في الفتن ، باب ما جاء في الخسف .

طلوع الشمس من مغربها

أيها الأحبة الكرام :

إن الشمس منذ أن خلقها الله ﷻ تشرق من المشرق وتغرب في المغرب بصورة متكررة منتظمة لا تتخلف يومًا ولا تتأخر بصورة تطالع الأنظار والمدارك لتستنطق الفطرة السوية للإنسان بوحدانية الرحيم الرحمن ، قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٣٨ - ٤٠]

لا ريب أنها آية من الآيات التي تستنطق الفطرة السليمة النقية بوحدانية الله جَلَّ وَعَلَا ، علامة بارزة على قدرة الله .

ولذا نرى نبي من أنبياء الله - خليل الله إبراهيم - قد تحدى بهذه الآية طاغوتًا من طواغيت أهل الأرض ، وسجل الله جَلَّ وَعَلَا ذلك في كتابه الحكيم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

انظر أيها الحبيب كيف تحدى الخليل الطاغية النمرود بن كنعان ، إذ

يقول إبراهيم : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فيرد الجاهل الطاغية المجرم : ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ .

ولكن أين يذهب هذا الغر الجاهل أمام نور النبوة الباهر ، إذ قال له الخليل بذكاء النبوة ونورها الباهر : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .

فالشمس منذ خلقها الله تشرق من الشرق وتغرب في الغرب بصورة منتظمة متكررة لا تكاد تتخلف أو تتأخر في يوم من الأيام حتى إذا جاء الوعد الموعود استأذنت الشمس ربها أن تشرق كعادتها من المشرق فلا يأذن لها !!

ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومًا والشمس تغرب : « **أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟!** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال المصطفى ﷺ : « **إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً لله جَلَّ وَعَلَا فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَرْتَفِعُ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً لله** ﷻ **فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا - أَيْ المَشْرِقُ - فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَجْرِي ثُمَّ تَسْتَقِرُّ فِي مَكَانِهَا تَحْتَ العَرْشِ فَلَا تَزَالُ**

كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ، ارْتَفِعِي اصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ ، فَتُصْبِحُ الشَّمْسُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا »[1].

لا تتعجب فكل شئ في هذا الكون يسجد لله .

قال جَلَّ في علاه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج : ١٨]

فكل شيء في الكون يسجد لرب الأرض والسماوات إلا كفرة الجن والإنس .

انظر إلى الكون كله من عرشه إلى فرشه ، ومن سمائه إلى أرضه ؛ لتتعرف على وحدانية الله ، وعظمة الخالق جل في علاه .

انظر إلى السماء وارتفاعها ، والأرض واتساعها ، والجبال وأثقالها والأفلاك ودورانها ، والبحار وأمواجها .

انظر إلى كل متحرك وساكن ، والله إن الكل يقر بتوحيد الله ويعلن

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٨٠٢) ، في تفسير سورة يس ، وفي بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ، ومسلم رقم (١٥٩) ، في الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، والترمذي رقم (٣٢٢٥) ، في التفسير ، باب ومن سورة يس .

السجود لله ولا يغفل عن ذكر مولاه إلا من كفر من الجن والإنس ولا حول ولا قوة إلا بالله .

انْظُـرْ لِتَلْـكَ الشَّجَـرَهْ ذَاتِ الغُصُونِ النَّضِرَهْ
كَيْفَ نَمَتْ مِـنْ حَبَّـهْ وَكَيْفَ صَارَتْ شجرهْ

ابحث وقل :

مَـنْ ذَا الَّـذِي يُخْـرِجُ مِنْهَـا الثَّمَـرَةَ ؟! ذَاكَ هُـوَ اللهُ
الَّذِي أَنْعُمِهِ مُنْهَمِرَةٌ ذُو حِكْمَـةٍ بَالِغَـةٍ وَقُـدْرَةٍ مُقْتَـدِرَه
وَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي جَذْوَتُهَا مُسْتَعِرَة فِيهَا ضِيَاءٌ وَبِهَا حَرَارَةٌ مُنْتَشِرَه

ابحث وقل :

مَنْ ذَا الَّـذِي يُخْـرِجُ مِنْهَـا الشَّـرَرَةَ ؟! ذَاكَ هُـوَ اللهُ
الَّذِي أَنْعُمُـهُ مُنْهَمِرَةٌ ذُو حِكْمَـةٍ بَالِغَـةٍ وَقُـدْرَةٍ مُقْتَـدِرَه
الشَّمْسُ وَالبَـدْرُ مِـنْ آيَـاتِ قُـدْرَتِهِ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ فَيْضٌ مِنْ عَطَايَاهُ
الطَّـيْرُ سَبَّحَـهُ وَالوَحْـشُ مَجَّـدَهُ وَالمَـوْجُ كَبَّـرَهُ وَالحُـوتُ نَاجَاهُ
وَالنَّمْلُ تَحْتَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَدَّسَهُ وَالنَّحْلُ يَهْتِفُ لَهُ حَمْدًا فِي خَلَايَاهُ
وَالنَّاسُ يَعْصُونَـهُ جَهْـرًا فَيَسْتُرُهُـمْ وَالعَبْدُ يَنْسَى وَرَبِّـي لَيْسَ يَنْسَاهُ

اصبحي أيتها الشمس طالعة من المغرب ، فتسرع الشمس على الفور لتنفيذ أمر العزيز الحميد ، فتصبح طالعة من المغرب ، انظر إلى هذا العجب !!

وضحت هذا المعنى رواية ابن مردويه بسند حسن بالشواهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى أن الصادق المصدوق ﷺ قال : « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَيْلَةٌ تَعْدِلُ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ لَيَالِيكُمْ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ يَعْرِفُهَا الْمُتَنَفِّلُونَ ، يَقُومُ أَحَدُهُم فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ ثُمَّ يَنَامُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ ، ثُمَّ يَنَامُ فَيَفْزَعُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فَإِذَا هُمْ كَذَلِكَ فَإِذَا هُمْ يَرُونَ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا** »(١).

انظر ماذا قال المصطفى الكريم ﷺ فإذا كان كذلك يعرفها المتنفلون : أي يعرفها القائمون بالليل لله رب العالمين !

الله أكبر !!! .. ما الذي يترتب على هذه الآية العظيمة ؟!

الذي يترتب على ذلك أن المصطفى ﷺ قال في رواية أبي ذر التي ذكرتها آنفا قال : « **أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟!** » أي أتدرون متى تطلع الشمس من مغربها ؟! قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **ذَاكَ حِينَ** ﴿... لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ...﴾ [الأنعام : ١٥٨]

قال المصطفى ﷺ « **إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** »(٢).

---

(١) رواه ابن مردويه بسند حسن .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٠٦) ، في الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ومسلم رقم (١٥٧) ، في الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، وأبو داود رقم (٤٣١٢) ، في الملاحم ، باب أمارات الساعة .

ولكن هيهات هيهات !!.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ** »[1].

أيها الحبيب أذكر نفسي وأذكرك بالمبادرة بالتوبة والأوبة إلى الله ﷻ قبل أن يغلق الله باب التوبة علينا .

فإن المصطفى ﷺ يقول والحديث رواه أحمد بسند صحيح قال : « **لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ وَلَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَة حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكَفَى النَّاسُ العَمَلَ** »[2].

أيها اللاهي .. أيها الساهي .. أيها الغافل .. أيها المضيع للتوحيد .. أيها المضيع للصلاة .. أيها المضيع للزكاة .. أيها العاق لوالديه .. أيها المنصرف عن الله :

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١٥٨) ، في الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، والترمذي رقم (٣٠٧٤) ، في التفسير ، باب ومن سورة الأنعام .

(٢) صحيح : رواه أبو داود ، في البيعة ، باب ذكر الاختلاف ، وصححه الألباني ، في الإرواء (١٢٠٨) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٧٤٦٩) .

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا وَاذْكُر ذُنُوبَــكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ

لَــمْ يَنْسَــهُ المَلَكَــانِ حِيــنَ نَسِيتَهُ بَــلْ أَثْبَتَـــاهُ وَأَنْــتَ لَاهٍ تَلْعَــبُ

وَالرُّوحُ مِنْـكَ وَدِيعَــةٌ أُودَعْتَهَـا سَـتَرُدُّهَا بِالرَّغْـمِ مِنْـكَ وَتُسْلَبُ

وَغُـرورُ دُنْيَــاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَـا دَارٌ حَقِيقَتُهَــا مَتَـــاعٌ يُذْهَــبُ

اللَّيْـلُ فَاعْلَـمْ وَالنَّهَـارُ كِلَاهُمَــا أَنْفَاسُــنَا فِيهِمَا تُعَــدُّ وَتُحْسَــبُ

قال المصطفى ﷺ : كما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري : « **إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيء اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** »[1].

هنيئًا لمن طلعت الشمس عليه من مغربها وهو مستقيم على طاعة الله ، اللهم اجعلنا من أهل التوحيد والإيمان والاستقامة ووفقنا للعمل الصالح الذي يرضيك يا رب العالمين .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٦٠) ، في التوبة ، باب غيرة الله تعالى ، وهو في صحيح الجامع رقم (١٨٧١) .

الدابـة

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢]

دابة تتكلم !! دابة تنطق !! تكلم الناس كلامًا مفهومًا واضحًا ، بل وتقيم عليهم الحُجَّةَ وتذكرهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله وكانوا لا يصدقون بها .

قال المصطفى ﷺ والحـديث رواه مسلم من حـديث عبد الله بن عمر : « **أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى ، فَأَيَّتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا** »[1].

الدابة أمر عجب .. أمر مذهل .. لو تدبرته كاد قلبك أن ينخلع ، دابة تخرج تجوب الأرض كلها ، تفرق الدابة بين المؤمن والكافر ، وتعلم المؤمن بعلامة وتعلم الكافر بعلامة ، تسم الكافر على أنفه فيسود وجهه ، وتسم المؤمن فيضيء وجهه كأنه كوكب درى .. أمر عجب !!

ورد في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وصححه شيخنا الألباني أن.

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٤١) ، في الفتن ، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ، وأبو داود رقم (٤٣١٠) في الملاحم ، باب أمارات الساعة .

الحبيب النبي ﷺ قال : « **تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ** »[١] أي : تعلم الناس على الأنوف .

بل وخذ هذه الحديث العجيب الذي رواه أحمد في المسند والترمذي في السنن وللأمانة العلمية التي اتفقنا عليها وأصَّلناها من قبل أقول : إن الشيخ الألباني - حفظه الله - قد ضعف إسناد الحديث ومدار تضعيف الألباني على عليّ بن زيد بن جدعان قال الألباني فيه ضعف إلا أن العلامة أحمد شاكر قد صحح إسناد الحديث فقال على بن زيد بن جدعان مختلف فيه والراجح توثيقه ، وقال عن الحديث الإمام الترمذي حديث حسن قال ﷺ : « **تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَى مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ فَتَسِمُ أَنْفَ الكَافِرِ - أَيْ تُعَلِّمُ أَنْفَ الكَافِرِ - وَتَجْلُو وَجْهُ المُؤْمِنِ** » ويضيء وجه المؤمن كأنه كوكب درى ، « **حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الخِوَانِ الوَاحِدِ - أَي المَائِدَة - يَجْتَمِعُونَ عَلَى طَعَامِهِمْ فَيَقُولُ : هَذَا يَا مُؤْمِنُ ، وَيَقُولُ : هَذَا يَا كَافِرُ ، لأَنَّ الدَّابَّةَ بِيَّنَتْ وَأَوْضَحَتِ الحَقِيقَةَ وَمَيَّزَتِ المُؤْمِنَ مِنَ الكَافِرِ** »[٢].

غالى بعض المصنفين - أقولها بصراحة - في وصف الدابة وأعطوا لخيالهم العنان فوصفوا الدابة وصفًا دراميًا خياليا عجيبًا ، فمنهم من قال :

---

(١) رواه أحمد رقم (٢٢٢٠٩) ، وأبو داود ، وهو في صحيح الجامع رقم (٢٩٢٧) .

(٢) صحيح : رواه وأبو داود رقم (٣١٨٦) في التفسير ، باب ومن سورة النمل .

رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد وقوائمها قوائم بعير إلى آخر هذا الوصف الدرامي .

الدخان

والدخان هو آخر العلامات التي سيشهدها المؤمن على ظهر الأرض ، وبقية العلامات هذه لا يراها المؤمن ولا يشهد عذابها الموحدون ، بل هذه العلامات التي سأذكرها الآن لا تقوم إلا على الكفرة الفجرة من شرار الخلق .

الدخان علامة كبرى

قال عبد الله بن مسعود ﷺ إن هذا الدخان كان علامة من العلامات التي وقعت في الدنيا بدعاء النبي ﷺ على المشركين .

والدخان هنا قد وقع بالفعل ولكن الدخان الوارد في حديث حذيفة ابن أسيد الغفاري الذي هو علامة من علامات الساعة الكبرى ، يختلف تمام الاختلاف عن هذه العلامة التي رآها المشركون في مكة بدعاء الصادق المصدوق ﷺ قال تعالى في حق هذه العلامة : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الدخان : ١٠ - ١١]

إذا خرج الدخان لا يقبل الله التوبة كما ذكرت .

فإذا خرج الدخان يبعث الله ريحًا ألين من الحرير تقبض هذه الريح أرواح المؤمنين من على ظهر الأرض ، فلا يبقى على ظهر الأرض مؤمن .

يقول المصطفى ﷺ : « **فَلَا تَدَعْ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ وَيَبْقَى عَلَى الأَرْضِ شِرَارُ الخَلْقِ** »[1] الكفرة الفجرة ممن لا يؤمن بالله ﷻ .

كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ** »[2].

في رواية مسلم من حديث أنس أنه ﷺ قال : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالُ فِي الأَرْضِ اللهُ** » .

لا يقال في الأرض (الله) لأن الموحدين قد قبضوا فلا يبقى إلا الكفرة ، وهؤلاء لا يعرفون الله ولا يوحدون الله جَلَّ وَعَلَا وعلى هؤلاء تقوم الساعة ، بل تظهر بقية العلامات الكبرى التي هي عذاب في عذاب وبلاء في بلاء .

ما هي هذه العلامات ؟!!

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١٩٢٤) ، في الإمارة ، باب قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٤٩) ، في الفتن ، باب قرب الساعة .

الخسوف الثلاثة

الخسف الأول بالمشرق :

يقع الخسف بالمشرق والخسف كما هو معلوم انشقاق الأرض قال تعالى حكاية عن قارون : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ... ﴾ [القصص : ٨١]

فيقع خسف بالمشرق على شرار الخلق بعد أن قبض الله أرواح المؤمنين .

الخسف الثاني بالمغرب والخسف الثالث بجزيرة العرب :

وبعد هذه الخسوف تخرج العلامة الأخيرة من علامات الساعة الكبرى ألا وهي نار تخرج من قعر مدينة عدن - المعروفة الآن باليمن - فتطرد الناس جميعًا إلى محشرهم .

وفى رواية البخاري من حديث أنس أن عبد الله بن سلام ﷺ قال : لما نظرت إلى وجه النبي عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فآمن بالنبي ﷺ - والشاهد .. أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ عن أسئلة جيدة من بين هذه الأسئلة سأله عن أول أشراط الساعة فقال المصطفى ﷺ : « **نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ** »[1] .

وقد يلمح طالب العلم الفطن تعارضًا ظاهرًا بين النصين لكن لا

---

(١) صحيح : رواه البخاري ، في الهجرة في قصة إسلام عبد الله بن سلام .

تعارض فقول المصطفى ﷺ في رواية حذيفة : « **وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ** » أي أنها العلامة التي إن وقعت وقعت القيامة بعدها بالنفخ في الصور والبعث من القبور .

يقول المصطفى ﷺ والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَة عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُم النَّارُ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبِيتُ مَعَهَمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسُوا** »(١).

قال القرطبي الحشر هو الجمع وهو أربعة أنواع الحشر الأول والثاني في الدنيا والحشر الثالث والرابع في الآخرة .

أما الحشر الأول : فهو المذكور في قوله تعالى في سورة الحشر : ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ .... ﴾ [الحشر : ٢]

الحشر الثاني : هو الحشر الوارد في حديث حذيفة وآخر ذلك نار تخرج من

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٢٢) ، في الرقاق ، باب كيف الحشر ، ومسلم رقم (٢٨٦١) ، في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (٤/ ١١٥ ، ١١٦) في الجنائز ، باب البعث .

اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ، إذًا حشر النار للناس لا يكون إلا في الدنيا .

الحشر الثالث : حشر الناس من القبور وغيرها بعد البعث .

الحشر الرابع : حشر الناس إلى الجنة أو إلى النار نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل الجنان .

إذ الذي عليه جمهور المحققين من العلماء أن الحشر الوارد في حديث حذيفة الذي هو علامة من علامات القيامة الكبرى لا يكون إلا في الدنيا والدليل الصحيح الصريح على ذلك أن النبي ﷺ قد ذكر أن الحشر في الآخرة يحشر فيه المؤمنون والكافرون حفاة عراة غرلا كما في الصحيحين من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال : « **تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا** » قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟!

فقال المصطفى ﷺ : « **يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَد مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ** »[1].

وفى رواية أنس قال : « **يَا عَائِشَةَ لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَي آيَة لَا يَضُرُّك أَكَانَ عَلَيْكَ ثِيَابٌ أَمْ لَا** » فتلى النبي ﷺ ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٧]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٢٧) ، في الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (٢٨٥٩) ، في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (٤/ ١١٤) ، في الجنائز باب البعث .

تَذَكَّرْ وُقُوفُكَ يَوْمَ العَرْضِ عُـرْيَانَا   مُسْتَوحِشًا قَلِـق الأَحْشَاءِ حَـيْرَانَا
وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَـنَقٍ   عَلَى العُصَاةِ وَرَبِّ العَرْشِ غَضْبَانَا
اقْـرَأْ كِتَـابَكَ يَا عَبـدُ عَـلَى مَهَـلٍ   فَهَلْ تَرَى فِيـهِ حَـرْفًا غَـيْرَ مَـا كَانَا
فَلَمَّـا قَـرَأْتَ وَلَمْ تُنْكِـرْ قِـرَاءَته   وَأَقْرَرْتْ إِقْرَارَ مَنْ عَرِفَ الأَشْيَاءَ عِرْفَانَا
نَادَى الجَـلِيلُ خُـذُوهُ يَا مَـلَائِكَتِي   وَامْضُوا بِعَبْدٍ عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا
المُشْرِكُـونَ غَـدًا فِي النَّـارِ يَلْتَهِبُوا   وَالمُوَحِّـدُونَ بِدَارِ الخُـلْدِ سُـكَّانَا

وهكذا تنتهي علامات الساعة الكبرى التي ذكرها المصطفى ﷺ في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري الذي كنا معه طيلة اللقاءات الأربع الماضية لكن هناك علامة أخرى عجيبة غريبة قد تنزل الآن على القلوب فتهز القلوب هزًّا لم ترد في حديث حذيفة ، ترى ما هي هذه العلامة العجيبة الغريبة ؟!! إنها :

هدم الكعبة الشريفة حجرًا حجرًا

الكعبة بيت الله الذي تهوى إليه الأفئدة وتحن القلوب إليه الذي قال في حقه علام الغيوب : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة : ١٢٥]

مثابة للناس : أي لا يملون منه كلما نظروا إليه ، وإذا انصرفوا عنه تجدد الشوق إليه وازداد الحنين لزيارته ورؤيته .

إن من علامات الساعة الكبرى هدم البيت الحرام ونقضه حجرًا حجرًا .

قلت قبل ذلك : أن عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما ينزل إلى الأرض يقتل الدجال عليه من الله ما يستحقه ، ويدعو الله أن يهلك يأجوج ومأجوج فيستجيب الله دعاءه ، فيهلك يأجوج ومأجوج ويرسل المطر فنقى الأرض ، فأصبحت كالزُلقة أو الزَلقة أو الزُلفة أو الزَلفة أي كالمرآة في صفائها ونقائها ، خرجت البركة من الأرض تنزلت الرحمات وحلت البركات ، وعاش الناس في أمن وسلام في وجود نبي الله عيسى ، فيذهب نبي الله عيسى ليحج البيت الحرام .

إذًا معنى ذلك أن يبقى الحج حتى في عهد نبي الله عيسى ، فإذا ما قدر الله على عيسى الموت .

فيموت نبي الله عيسى في المدينة المنورة ويصلى عليه المسلمون من أمة محمد ويدفنون نبي الله عيسى مع الحبيب المصطفى في الحجرة المباركة ، وبعد ذلك تقع العلامات التي ذكرت الآن ولا يبقى إلا شرار الخلق ، تمحى آيات الله من المصحف ، لا يقول أحد كلمة لا إله إلا الله فلا يحجون البيت بل ولا يعرفون عن البيت شيئًا ، من بين هؤلاء الأشرار رجل من الحبشة ، هل تصدق أن الحبيب وصف شكله وكأنه ينظر إليه وهو يهدم

الكعبة ؟؟

يقول المصطفى ﷺ : « **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرِبَ الكَعْبَةَ ذُو السَّوِيقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ** »[1].

رجل يقال له ذو السويقتين من الحبشة ، بل وفي رواية البخاري من حديث ابن عباس قال المصطفى : « **كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ**[2] **يَنْقُضُ الكَعْبَةَ حَجَرًا حَجَرًا** »[3].

وبهذا تنتهي الحياة الدنيا بحلوها ومرها ، بحلالها وحرامها ، بخيرها وشرها ولا يبقى إلا الكفرة من شرار الناس وعليهم تقوم الساعة وذلك بعد أن يأمر الله جَلَّ وَعَلَا إسرافيل أن يلتقم الصور ، وأن ينفخ النفخة الأولى ألا وهي نفخة الفزع مصداقًا لقوله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[النمل : ٨٧]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٥٩٦) ، الحج ، باب هدم الكعبة ، ومسلم رقم (٢٩٠٩) ، في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، والنسائي (٥/ ٢١٦) ، في الحج ، باب بناء الكعبة .

(٢) أفحج : متسع ما بين ساقيه .

(٣) صحيح : رواه البخاري رقم (١٥٩٥) ، في الحج ، باب هدم الكعبة .

وأقف عند هذه المشهد لأواصل الحديث إن شاء الله تعالى عن بقية المراحل التي تأخذ القلوب والألباب ، والله أسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .

.... الدعـاء

الفهــــــــرس



الجزء الثامن

دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى[1].

« وَلَقَدْ جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلافٍ ، وَمَا فِيهِمْ إِلا مَنْ رَقَّ قَلْبُهُ ، أَوْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ ؟!

فَصِحْتُ بِلِسَانِ وَجْدِي : إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالعَذَابِ غَدًا فَلا تُعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي ، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لا لأَجْلِي ، لِئَلا يَقُولُوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ » .

---

(١) صيد الخاطر : ص (١٨٦) طبعة دار ابن رجب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ محمد حسان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

ثم أما بعد :

فالحياةُ تمضي مُسْرعة .. ومعظمُ أهلِها فى غفلةٍ عَمَّا هو آت !!

نعم.. أرحامٌ تَدْفَعُ وأرضٌ تَبْلعُ .. أُناسٌ يأتون وآخرون يرحلون !!

مَثَلهُمُ فى ذلك كَمثل أَمواج البحر المتتابعة .. كلما انكسرتْ على الشَّطِّ مَوجَةٌ تَبِعتْها مَوجةٌ أخرى .. أو كتيار النَّهر الجاري الذي لا يتوقف .. فالماءُ الذي تراه اللحظة .. غير الماء الذى رأيتَه قَبل لحظة !!

وحتمًا سيأتي اليوم الذي ينتهي فيه الوجودُ كُلُّه .. ويقوم الناسُ جميعًا بين يدي الله ﷻ.

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[إبراهيم : ٤٨]

فأحببتُ أن أذكِّر نفسي وأُمَّتي بهذه الحقيقة من خلال هذه السلسلة العلمية المهمة التي تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي الذي يحرك القلوب لا سيما ونحن نعيش الآن زمانًا طغت فيه الماديات والشهوات ، وانصرف كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات ، وذهب الخوف من القلوب فتراكمت الذنوب على

الذنوب !!

فطوبى لمسلمٍ عاقل حاسبَ اليومَ نفسه ووقف على حقيقةِ دار الغرور واستعد ليوم البعث والنشور .

والحديث عن الدار الآخرة ليس من باب الترف الفكري أو الثقافة الذهنية الباردة التي لا تتعامل إلا مع العقول فحسب !!

بل إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به ، ومما لا شك فيه أنه لو استقرت حقيقةُ الإيمان بهذا اليوم في قلب العبد وعَلِمَ أنه موقوف حتمًا بين يدي الله تعالى يومًا ليقول له : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء : ١٤] دفعه ذلك الإيمان والعلم إلى الاستقامة على منهج الله ورسوله ﷺ .

وقد حَرِصْتُ على أن تكون هذه السلسلة الكريمة التى تبدأ بالموت وتنتهي بالجنة - جعلنا الله من أهلها - حرصت أن تكون مختصرة ، سهلة العبارة ، مرتبة الأحداث ؛ ليعيش معها القارئ مرة أخرى عبر السطور كما عاش معها قبل ذلك مسموعة عبر شرائط الكاسيت .

وقد اكتفيت بما صحَّ من الأحاديث والآثار ففيه الكفاية والغنى .

فإن وفقت فمن الله وحده ، وما كان منها من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان ، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون عليه إلى الجنة ويلقى به في جهنم . ثم أعوذ بالله أن أذكر به وأنساه .

وأسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يتقبل منا جميعًا صالح الأعمال وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

بسم الله الرحمن الرحيم

النفخ في الصور

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الثامن مع السلسة الكريمة في رحاب الدار الآخرة ونحن الآن على موعد مع حدث هام يحدث حين قيام الساعة ألا وهو النفخ في الصور ، وإليك هذه الآيات الكريمة : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١٠٢ - ١١٠]

فبعد أن تكلمنا آنفا عن العلامات التي ستقع بين يدي الساعة بقي لنا أن نتكلم عن قيام الساعة والأحداث التي ستقع حينذاك ، فالساعة على الفور تقوم بعد حدوث هذه العلامات كلها بأمر من الله جَلَّ وَعَلَا

لإسرافيل بالنفخ في الصور لتبدأ القيامة بأحداثها المزلزلة المروعة .

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أيدينا سريعًا فسوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا الموضوع في العناصر التالية :

أولًا : **ما هو الصُّور ؟ومن هو صاحبه؟!**

ثانيًا : **نفخة الفزع .**

ثالثًا : **نفخة الصعق .**

فأعرني قلبك وسمعك أيها الحبيب ، وتدبر جيدًا ماذا يحدث عند قيام الساعة في هذا الحدث المفزع المروع ألا وهو النفخ في الصور .

بادئ ذي بدء أبدأ بسؤالٍ أراه على لسان كل واحد منكم .

أولاً : ما هو الصور ؟ ومن هو صاحبه ؟

ما هو الصُّور ؟!

اسمع الجواب من سيد المرسلين ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ، من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص - رضي الله عنهما - قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الصور ؟! فقال : « **قَرْنٌ**[1] **يُنْفَخُ فِيهِ وَصَاحِبُ هَذَا الْقَرْنِ هُوَ**

---

(١) القرن : هو البوق ولا يعلم مقدار عظم هذه البوق إلا الملك جَلَّ جَلَالُهُ .

إِسْرَافِيلُ[١]»[٢].

وفى الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي وهو كما قال ، من حديث أبي هريرة ﷺ يقول رسول الله ﷺ : « **مَا أَطْرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُ اللهُ وَوَكَّلَهُ بِذَلِكَ فَهُوَ يَنْتَظِرُ بِحِذَاءِ العَرْشِ**[٣] **مَا أَطْرَفَ**[٤] **يَنْتَظِرُ مَتَى يَأْمُرُ ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ** » .

يقول الحبيب المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني بشواهده من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **كَيْفَ أَنعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ ، وَحَنَا جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ فَيَنْفُخُ ؟** » فثقل ذلك على أصحاب النبي ﷺ وشق عليهم فقالوا : كيف نصنع ؟ فقال ﷺ : « **قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ**

---

(١) إسرافيل : ملك كريم من ملائكة الرحمن وكله الله بالنفخ في الصور منذ أن خلق الله الخلق وخلق الصور فدفعه إلى إسرافيل ووكله الملك بالنفخ فيه لذا فإن إسرافيل ينظر دائما إلى عرش الملك جَلَّ وَعَلَا لا يطرف بعينه منذ خلقه الله مستعد للأمر من الملك في أي لحظة من اللحظات .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٤٢) في السنة ، باب في ذكر البعث والصور ، والترمذي رقم (٢٤٣٢) في صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور ، وقال : حسن صحيح .

(٣) العرش : يقصد به عرش الملك جَلَّ جَلَالَهُ .

(٤) ما أطرف : لم تغمض عينه طرفة واحدة .

وَنِعْمَ الوَكِيل » وفي رواية : « **قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا** »[١] .

بل وقد حدد لنا المصطفى ﷺ اليوم الذي يأمر الله فيه إسرافيل بالنفخ في الصور ، ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **خَيرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمْعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ** » وفي رواية أخرى « **وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ** »[٢].

فيأمر الله جَلَّ وَعَلَا إسرافيل بالنفخ في يوم جمعة ، متى هو ؟ الله أعلم لأننا قبل ذلك أَصَّلْنَا أن القيامة لن تقوم إلا على شرار الخلق ؛ إذ أن رب العالمين قد يرسل ريحًا طيبة باردة لتقبض أرواح المؤمنين على ظهر الأرض حتى لو دخل المؤمن في كهف أو غار في جبل تدخل هذه الريح لتقبض روحه ، ولا يبقى في الأرض إلَّا شرار الخلق ، وعليهم تقوم الساعة .

ويأمر الله أن ينفخ النفخة الأولى نفخة الفزع وهذا هو عنصرنا الثاني .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٢٤٣٣) ، في صفة الجنة ، باب ما جاء في شأن الصور ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١٠٧٨ ، ١٠٧٩) ، وهو في صحيح الجامع (٤٥٩٢) .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٨٥٤) ، في الجمعة ، باب فضل يوم الجمعة ، والترمذي رقم (٤٨٨) ، في الصلاة ، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة ، والنسائي (٣/ ٨٩ ، ٩٠) ، في الجمعة ، باب ذكر فضل يوم الجمعة .

ثانيًا : نفخة الفزع

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٧]

اختلف أهل العلم في من استثنى الله جَلَّ جَلَاله

قال بعضهم : إنهم الأنبياء ، ومنهم من قال : أنهم الشهداء فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

ومنهم من قال : هم الملائكة ، ومنهم من قال : بل هم جبريل وإسرافيل ومكائيل وعزرائيل وحملة العرش فقط .

ومنهم من قال : هم حور العين في جنات رب العالمين .

ومنهم من قال : نبي الله موسى عليه السلام هو المستثنى في قوله تعالى : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

واحتجوا على ذلك بحديث صحيح رواه البخاري أنه ﷺ قال : « **أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفِيقُ بَعْدَ النَّفْخَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ** » .

لذا فأنا أقول بأن الجزم بمن استثنى الله في هذه الآية غير دقيق ، فإذا كان معلم البشرية كلها لم يجزم لنبي الله موسى ، إذا كان النبي سكت عن ذلك فلا ينبغي لأهل العلم قاطبة أن يجزموا لمن استثناهم الله في الآية

فعلم الله لا ينال إلا بالخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ .

ففزع من في السماوات ومن في الأرض ..!!

أي تنفك كل صلات الكون وروابطه ، تتزلزل الأرض كالقنديل المعلق في سقف المسجد وترتج بأهلها رجَّات عنيفة مزلزلة ، ما من أحد يسمع هذه الصيحة إلا وقد رفع لينا - أي رفع صفحة عنقه ، وأما من أُخِّر يستمع إلى هذه الصيحة التي قد أفزعت كل حي من أهل السماء ومن أهل الأرض .

تصور معي هذه المشاهد التي تخلع القلب ؛ لتقف على حجم وكم هذا الفزع الذي لا نسيح له البتة ، فالشمس قد ذهب ضياؤها ، والكواكب ما عادت تضيء ، تناثرت هنا وهناك وتمزقت بأمر الله .

البحار والأنهار ما عادت تحوي بطونها ماء ، فماؤها تحول نار أجاج ، الجبال من أرساها جعلها دكاء ، أصبحت الآن قطع متناثرة كالعهن المنفوش .

ولك أن تعيش هذه الأحداث بقلبك وعقلك وكيانك ؛ حتى تقف على الهول الذي سينتاب هذه الأرض التي تراها الآن ، تأمل هاتين الآيتين : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾

[الزلزلة : ١ - ٢]

تصور معي قول النبي ﷺ : « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْي**

العَيْنِ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَلْيَقْرَأْ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَلْيقرأْ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ »[1].

فلنقرأ معًا قول الله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١ - ١٤]

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ بعد هذه النفخة يحدث انقلاب هائل في الكون عامة ، فتكوير الشمس هو أن الشمس التي تمدنا الآن بالضوء والدفء والحرارة كل هذا ينسحب ، وتظلم الشمس التي يضرب بضوئها كل ضياء .

قال ابن عباس : أي جمعت ووضعت تحت العرش .

في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ نظر يومًا إلى الشمس

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٣٠) ، في التفسير ، باب ومن سورة ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، ورواه الإمام أحمد في المسند رقم (٤٨١٦ ، ٤٩٣٤ ، ٤٩٤١ ، ٥٨٥٥) ، والحاكم (٢/ ٥١٥) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٠٨١) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٣) .

فقال لأصحابه : « **أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ** » قالوا ، الله ورسوله أعلم ، قال : « **إِنَّهَا تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً لله جَلَّ وَعَلَا** »(1) .

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ أظلمت وتناثرت وذهب ضياؤها ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ الجبال العملاقة الراسية في الأرض حينذاك يدكها الملك جل جلاله في الأرض وتتحول إلى قطع صغيرة متناثرة كالعهن المنفوش أي كالصوف المنفوش .

سبحان الله!! تدبر جيدًا قول الملك : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه : ١٠٥ - ١١١]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٨٠٢) في تفسير سورة يس ، ومسلم رقم (١٥٩) في الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان ، والترمذي رقم (٣٢٢٥) في التفسير ، باب ومن سورة يس .

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ العشار : هي النوق وهي من أغلى ما يمتلكه العربي في الجزيرة العربية .

إذا سمع الناس وأهل الأرض جميعا نفخة الفزع ، فلا ينظر الرجل إلى هذه النوق ، ما عادت تمثل له شيء أنذاك لأنه حدث لهم ما يشغلهم عن زخارف الدنيا .

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ : السباع المفترسة إلى جوار الأليفة ما عاد الوديع يخشى المفترس !!

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ : سبحان الله ! حتى المياه التي كانت سببًا للحياة يحولها الله إلى حمم ، كتل نارية يعود الماء إلى أصله - الأكسجين والنيتروجين - فيتحول الماء إلى نار مشتعلة متأججة .

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ : زوجت أرواح المؤمنين بالحور العين في جنات رب العالمين ، أو قرنت الأرواح بالأجساد أو قرن الكافرون بالشياطين .

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ : وإذا سئل عن قتل الموءودة أي ذنب اقترفته هذه البريئة لتقتل بهذا الظلم والعدوان .

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ : تنشر الصحف للقراءة .

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ : أي طويت كطي السجل للكتب ، يطويها الملك بيمينه ، سبحان الله ! ولم لا وهو رفعها بلا عمد ..!!

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أي : تأججت واشتعلت نيرانها وجاءت تتلمظ وهى تقول هل من مزيد ؟! هل من مزيد ؟!

﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ : قربت للموحدين ، قربت للمتقين ، قربت للمؤمنين .

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ : علم كل واحد حقيقة أقواله وحقيقة أعماله ، سترى كل أعمالك .. سترى كل شيء قدمته من قول أو فعل ، قد سطر عليك ﴿ عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ . وسألحق ذلك بالتفصيل إن قدر لنا الله البقاء واللقاء .

تدبر جيدًا هذه الآيات ..

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾

[الانفطار : ١ - ٥]

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١ - ٥]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا

وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

[الحج : ١ - ٢]

تدبر وتصور جيدًا هذه المشاهد ؛ لتقف على حجم الهلع العظيم والفزع الذي يحدث يوم زلزال القيامة الكبير الذي لا شبيه له البتة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢ - ٥٠]

قف مع قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ أي : من فزع وهلع اليوم الموعود ، أفئدتهم خلت من القلوب ، أين القلوب ؟! خرجت من

الصدور ، إلى أين ؟! إلى الحناجر ... لماذا ؟! من الفزع !!

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر : ١٨] الله أكبر ... يخرج القلب من مكانه في الصدر إلى الحنجرة من شدة الهول والهلع والفزع .

أي فزع هذا ؟!! أي هلع هذا ؟!! قمة الهول !! قمة الفزع !! وهذا تصور قاصر ، لكن لو تدبرت المعاني أعطاك الله جَلَّ جَلَالَه قدر صفائك وإخلاصك وصدقك لتقف على حجم هذه المشاهد المروعة .

هذه النفخة تمضي فترة من الزمن ... هل تعلمها ؟ .. بالطبع لا .

فقد ثبت من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ** » قالوا : يا أبا هريرة أربعون يومًا ، قال : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون شهرًا ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ، قال : أبيت .

ما معنى أبيت ؟ قال أبيت أن أسأل عن ذلك رسول الله ﷺ[1] .

فَعِلْم هذه الأربعين عند رب العالمين ، وبعد الأربعين يأمر الله جَلَّ وَعَلَا إسرافيل أن ينفخ في الصور النفخة الثانية وهذا هو عنصرنا الثالث .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٨١٤) ، في تفسير سورة الزمر ، ومسلم رقم (٢٩٥٥) في الفتن ، باب ما بين النفختين ، والموطأ (١/ ٢٣٩) ، في الجنائز ، وأبو داود رقم (٤٧٤٣) ، في السنة ، والنسائي (٤/ ١١١) ، في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

ثالثا : نفخة الصعق

اختلف أهل العلم فمنهم من قال : ينفخ إسرافيل نفختين اثنتين ، الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : الصعق في آن واحد .

وتَبَنَّى هذا الرأي الحافظ ابن حجر والإمام القرطبي في التذكرة وقال : بأن الصعق ملازم للفزع الأكبر ، أي : فزعوا فزعًا ماتوا منه ، ولذا فالحافظ والإمام القرطبي قالا : نفختين اثنتين في آن واحد .

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن كثير ، والإمام ابن العربي إلى أن الله يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة الفزع الأكبر ، ونفخة الصعق ونفخة البعث ، وهذا هو الذي أميل إليه ؛ لأن صريح القرآن يقول ذلك ، فلقد فرق الله في صريح القرآن بين نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث ، إذ يقول : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٧]

وقال : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨]

ثم قال بعدها عن نفخة البعث ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[الزمر : ٦٨]

ولقد اختلف أهل العلم فيمن استثناهم الله ، منهم من قال هم :

الملائكة ، ومنهم من قال : هم جبريل وإسرافيل وميكائيل وحملة العرش فقط ، ومنهم من قال : هم الشهداء ، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، ومنهم من قال : هم الحور العين ، ومنهم من قال : إن نبي الله موسى عليه السلام هو المستثنى في قوله تعالى : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ واحتجوا على ذلك بحديث صحيح رواه البخاري أنه ﷺ قال : « **أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفِيقُ بَعْدَ النَّفْخَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنْ أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ** » .

ولذا فأنا أقول بأن الجزم بمن استثنى الله في هذه الآية غير دقيق ، إذا كان المصطفى لم يجزم لنبي الله موسى يقول : فلا أدري أكان موسى ممن أفاق قبلي أم كان ممن استثناهم الله جَلَّ وَعَلَا .

فإذا كان المصطفى لم يجزم لنبي الله موسى فلا ينبغي لأحد بعد المصطفى من أهل العلم قاطبة أن يجزم لمن استثناهم الله في الآية ، فعلم الله لا ينال إلا بالخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ صعق : أي : مات كل حي وبقي الحي الذي لا يموت .

ورد في حديث الصور الطويل الذي رواه البيهقي والطبراني والطبري وابن أبى حاتم وغيرهم ، وللأمانة العلمية التي اتفقنا عليها وأَصَّلناها من قبل فإن الحديث بطوله ضعيف ، ومدار ضعفه على إسماعيل بن رافع ،

وهو ضعيف كما قال علماء الجرح والتعديل في هذا الحديث : « **يَأْتِي مَلَكُ المَوْتِ للملك فيقول المَلِك لِمَلَك الموت يا ملك الموت من بقي ؟** – وهو أعلم جَلَّ جَلَالُهُ – **فيقول : بقي جبريل وإسرافيل وميكائيل وحملة العرش وبقيت أنا ، فيقول الملك ليمت جبريل** – لام الأمر – **ليمت إسرافيل ليمت حملة العرش ، ويبقى ملك الموت فيأتي للملك فيقول له الملك : من بقي يا ملك الموت ؟ فيقول : بقيت أنا ، فيقول الملك : أنت خلق من خلقي وخلقتك لما ترى فمت يا ملك الموت فيموت ويبقى الحق الذي لا يموت** » .

سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان الذي كتب الموت على جميع الخلائق وهو الحي الباقي الذي لا يموت .

ماتت الملائكة ... مات جبريل ... **مات إسرافيل ... مات ميكائيل ... مات ملك الموت ... مات حملة العرش .**

مات الملوك .. مات الزعماء .. مات الرؤساء .. مات الوزراء ... مات الأغنياء .. مات الفقراء .. مات الصالحون .. مات الطالحون ... مات ذوو الهمم والغايات النبيلة .. مات الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن .. الكل يموت ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن : ٢٦ – ٢٧]

ويبقى الملك فيطوى السماوات والأرض بيمينه ويهتف بصوته جل

جلاله ويقول أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يقول جل جلاله لمن الملك اليوم ؟! لمن الملك اليوم ؟! لمن الملك اليوم ؟! فلا يجيبه أحد فيجيب على ذاته لله الواحد القهار .

يقول جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٥-١٦]

أين الظالمون ؟! أين الطالحون ؟! أين الصالحون ؟! أين الفراعنة ؟! أين القياصرة ؟! أين الأكاسرة ؟! أين فرعون ؟! أين هامان ؟! أين قارون ؟!. أين من اغتروا بالكراسي الزائلة ؟! أين من فتنوا بالمناصب الفانية ؟! أين من اغتروا بالأموال والعمارات ؟! أين من اغتروا بالسيارات والدولارات ؟! أين الظالمون ؟!! أين التابعون لهم في الغي ؟

أَيْنَ مَنْ دَوَّخُوا الدُّنْيَا بِسَطْوَتِهِمْ ؟! وذِكْرُهُمْ فِي الوَرَى ظُلْمٌ وَطُغْيَانُ
هَلْ أَبقَى المَـوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ ؟! أَوْ هَلْ نَجَا مِنْهُ بِالسُّلْطَانِ إِنْسَانُ ؟
لَا وَالَّذِي خَلَقَ الأَكْوَانَ مِنْ عَـدَمٍ الكُـلُّ يَفْنَى فَـلَا إِنْسٌ وَلَا جَـانُ

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ، وقال : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨]

مهما عشت فأنت راحلٌ ، مهما أحببت فأنت مفارق ، مهما جمعت فأنت تارك .

فيا أخي الكريم : يا من أجلسك الله على الكرسي ، يا من هيأ الله لك المنصب .. ورب الكعبة - أبذلها بكل حب وإخلاص - إن الكرسي زائل وإن المنصب فان ، وإن الحي جَلَّ جَلَالُهُ هو الباقي ، واعلم بأنك راحل .. فإياك أن تغتر بمنصبك ، وإياك أن تفتن بكرسيك فلا تستغل الكرسي إِلَّا في مرضاة الله وطاعته ، واعلم بأن الكرسي إما أن يقربك إلى الله ثم الجنة بإذن الله ، وإما أن يبعدك عن الله ويقذفك في النار والعياذ بالله ، فاتخذ الكرسي وسيلة إلى جنة العزيز الغفار .

انظر أيها الحبيب نظرة التمحيص إلى من سبقك لو دام الكرسي لغيرك والله ما وصل إليك .

أَيَا عَبْدُ كَمْ يَرَاكَ اللهُ عَاصِيًا ... حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلِلْمَوْتِ نَاسِيَا

أَنَسِيتَ لِقَاءَ اللهِ وَاللحْدَ وَالثَّرَى ... وَيَوْمًا عَبُوسًا تَشِيبُ فِيهِ النَّوَاصِيَا

لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابَ التُّقَى ... تَجَرَدَ عُرْيَانًا وَلَوْ كَانَ كَاسِيَا

وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا ... لَكَانَ رَسُولُ اللهِ حَيًّا وَبَاقِيَا

وَلَكِنَّهَا تَفْنَى وَيَفْنَى نَعِيمُهَا ... وَتَبْقَى الذُّنُوبُ كَمَا هِيَ

وتدبر قول القائل :

يَا نَفْسُ قَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ ... وَأَظَلَّكِ الخَطْبُ الجَلِيلُ

فَتَأَهَّبِي يَا نَفْسُ لَا ... يَلْعَبُ بِكِ الأَمَلُ الطَّوِيلُ

فَلَتَنْزِلَنَّ بِمَنْزِلٍ ... يَنْسَى الخَلِيلُ بِهِ الخَلِيلُ

وَلَيَرْكَبَـنَّ عَلَيْـكِ فِيـــــهِ مِنَ الثَّرَى حِمْـلٌ ثَقِيـــــلُ
قُــرِنَ الفَنَــاءُ بِنَـا جَمِيعًــا فَلَا يَبْقَى العَزِيزُ وَلَا الذَّلِيلُ

إنها الحقيقة الكبرى التي تعلن على مدى الزمان والمكان في أذن كل سامع ، وعقل كل مفكر وأديب ، أنه لا بقاء إلا للحى الذي لا يموت ، إنها الحقيقة التي تصبغ البشرية كلها بصبغة العبودية ، والذل لقهار السماوات والأرض إنها الحقيقة التي تسربل بها طوعا وكرها الصالحون والطالحون ، وشرب كأسها الأنبياء والمرسلون إنها الحقيقة الكبرى في هذا الوجود بعد كلمة الإخلاص ، كلمة التوحيد ، كلمة **لا إله إلا الله** .

فيا أيها الأحبة الكرام :

إن الحياة على ظهر هذه الأرض موقوتة محدودة بأجل ثم تأتي نهايتها حتما ، فيموت الصالحون والطالحون ، يموت المجاهدون والقاعدون ، يموت ذوو الاهتمامات العالية والغايات النبيلة ، ويموت التافهون الحريصون على الدنيا بأي ثمن .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ - ٢٧]

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨]

أسال الله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا وإياكم العلم النافع وأن يفقهنا وإياكم في الدين وأن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شيء قدير .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا .

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنبًا إلا غفرته ولا مريضًا إلى شفيته ولا دينًا إِلَّا قضيته ، ولا هما إِلَّا فَرَّجْته ، ولاميتًا إِلَّا رحمته ، ولا عاصيًا إِلَّا هديته ، ولا طائعًا إِلَّا سددته ، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إِلَّا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ، وتفرقنَا من بعده تفرقا مغصوما ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيًّا أو محرومًا .

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نفحة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا التاسع مع رحلة **في رحاب الدار الآخرة** وها نحن الآن على موعد مع حديث مروع مهيب يحدث حين وقوع الساعة .

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨ - ٧٠]

فبعد أن تكلمنا آنفا عن الصور ، ونفخة الفزع ، والصعق بقى لنا أن نتكلم عن نفخة البعث ؟ وكما تعودنا أيها الأحبة الكرام حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا سوف ينتظم حديثي في هذا الموضوع الهام في العناصر التالية :

أولًا : نفخة البعث

ثانيًا : الأدلة على البعث من القرآن والسنة

ثالثًا : من مات على شيء بعث عليه

لقد انتهينا في اللقاء الماضي عند هذا المشهد الرهيب في وسط هذا الكون المذهل المهيب حينما ينطق صوت جليل قريب يسأل صاحب الصوت ويجيب فلا يومها من سائل غيره ولا مجيب .

ويقول بعد فناء كل الخلق قاطبة أين الملوك ؟! أين الجبارون ؟! أين المتكبرون ؟! ثم ينادي جَلَّ جَلَالُهُ بصوته سبحانه ويقول : لمن الملك اليوم ؟! فلا يجيب على الله أحد لأنه لا أحد يجيب على ذاته جَلَّ في علاه ويقول : لله الواحد القهار .

مات كل مخلوق ولم يبق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، كان آخرًا كما كان أولا : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣]

هو الأول فلا شيء قبله وهو الآخر فلا شيء بعده ، وهو الظاهر فلا شيء فوقه وهو الباطن فلا شيء دونه وهو السميع العليم .

أولاً : نفخة البعث

والله لا يعلمها إلا من وسع علمُه كلَّ شيء ؟! ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **بين النفختين أربعون** » قالوا : يا أبا هريرة أربعون يومًا قال أبا هريرة : أبيت ؟ قالوا : يا أبا هريرة أربعون شهرًا قال : أبيت ؟ قالوا : يا أبا هريرة أربعون سنة قال : أبيت أن أسأل رسول ﷺ عن ذلك فعلمها عند الله »[1].

بعد أربعين إذا أراد الله أن يحيي ويبعث خلقه أنزل من السماء ماءً فتنبت به الأجسام في القبور تحت باطن الأرض كما ينبت البقل .

ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « **كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى إِلَّا عَجْبُ الذَّنَبِ**[2]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٤٨١٤) في التفسير سورة الزمر باب قوله : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، ومسلم (٢٩٥٥) في الفتن باب ما بين النفختين ، والموطأ (١/ ٢٣٩) في الجنائز ، وأبو داود رقم (٤٧٤٣) في السنة ، باب في ذكر البعث والصور ، والنسائي (٤/ ١١١) في الجنائز .

(٢) عجب الذنب : عظمة دقيقة صغيرة لا تزيد عن حبة العدس توجد في آخر السلسلة الفقرية في كل إنسان .هذه العظمة لا تبلى أبدًا ، يبلى الجسد كله وتبقى هذه العظمة الدقيقة .

مِنْهُ خُلِقَ ابْنُ آدَمَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ »[1] فإذا ما أراد الله أن يبعث الخلائق أتى بهذه العظمة الدقيقة وأتى بجسد صاحبها .. ما تفرق منه في البحار .. وما تفرق منه في التراب .. وما ذهب منه إلى بطون الحيوانات والسباع .. يأتي به الله جَلَّ وَعَلَا ويركب الله جَلَّ وَعَلَا جسد صاحبها ، والله يعلم عظمة كل إنسان خلقه من لدن آدم إلى يوم القيامة فتكتمل الأجساد في القبور وحينئذ يأمر إسرافيل بعد ما يحييه أن يلتقم الصور[2] وينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح .. أرواح المؤمنين لها نور وأرواح المشركين لها ظلمة !! فتسري الأرواح إلى الأجساد التي اكتملت كما يسري السم في اللديغ[3] وحينئذ يأمر الله جَلَّ وَعَلَا الأرض أن تتزلزل وأن تتشقق ليخرج منها الناس من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة .

قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٥٥) في الفتن ، باب ما بين النفختين وهو نفس الحديث السابق إلا أن هذه الزيادة ليست في البخاري .

(٢) الصور : البوق (القرن) .

(٣) اللديغ : أي الذي لدغه ثعبان أو عقرب .

بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨ - ٧٠]

وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥١ - ٥٤]

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤١ - ٤٥]

واستمع معي إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ١ - ٨]

تعال معي أخي في الله لنتجول سريعًا مع معاني هذه الآيات :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ أي : إذا حدث زلزال الأرض العظيم الذي ليس له مثيل على الإطلاق ، فلفظت الأرض ما حوته من جثث الخليقة وقالت بلسان الحال : لقد أثقلتموني كثيرًا بذنوبكم ومعاصيكم فتحملت منكم الكثير ، من سفك دماء ، وسلب ونهب ، وطغيان ، وعربدة ، وسرقة ، وما إلى ذلك من تلكم المعاصي ؟

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ ما الذي حول أمنها إلى اضطراب ؟! ما الذي حول سكونها إلى زلزلة ؟! ما الذي حدث ؟! فترد الأرض عليهم وتقول : إنها أوامر الله ... سبحان الله الأرض تتكلم ! إنها إرادة الله !!

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ في هذا الوقت سوف تعرف الأحداث ، سوف تعرف الأخبار وذلك بأمر من الله رب السماوات والأرض .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ بالله عليك عش بقلبك ، وكيانك معي هذا المشهد الذي يخلع القلب ويزلزل الكيان . الأرض تتشقق وتتفتح القبور متناثرة هنا وهناك في شمال وجنوب وغرب

وشرق ، تتشقق تلكم القبور ويخرج من كل قبر عشرة أو مائة أو ألف يخرج من هنا وهنالك ، يخرج هذا وذاك ، شَخُصَ البصُر إلى اتجاه واحد لا يلتفت يمينًا ولا يسارًا إلى هذا الداعي - الملك الكريم - الذي جاء بأمر رب العالمين ليقود الناس جميعًا إلى أرض جديدة عفراء لم يطأها أحد من قبل بقدميه ألا وهي أرض المحشر .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١٠٨-١١١]

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ لا يلتفت أحد ولا يتخلف أحد ، أيتها العظام البالية أيتها العظام النخرة ، يا أكفانًا خاوية ويا قلوبا خاوية ويا عيونًا سائلة ويا أبدانًا فاسدة .

أيها الناس جميعًا في القبور حان وقت القيام لفصل القضاء بين يدي الملك الغفور .

ترى كيف يخرج الناس من قبورهم ؟!

يخرج الناس من القبور حفاة ، عراة ، غُرْلا . لا نعال في أقدامهم . لا

ثياب تغطي أبدانهم . لا شيء يسترهم .

غُرْلًا : جمع أَغْرَل ، والأغرلُ : هو الصبي الصغير المولـود قبل ختانه .

قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]

يقول النبي ﷺ « **يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا** » .

فتعجبت عائشة أم المؤمنين قالت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟!! فقال المصطفى ﷺ : « **يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ** »[1] .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٣ - ٣٧]

تصور هذا المشهد يا عبد الله لتقف على هول وفظاعة هذا اليوم .

تَذَكَّرْ وُقُوفَكَ يَوْمَ العَرْضِ عُرْيَانَا   مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأَحْشَاءِ حَيْرَانَا
وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ   عَلَى العُصَاةِ وَرَبُّ العَرْشِ غَضْبَانَا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٢٧) في الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (٤/ ١١٤) في الجنائز ، باب البعث .

اقْـرَأْ كِتَـابَكَ يَا عَبْدُ عَـلَى مَهَـلٍ فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَـرْفًا غَـيْرَ مَا كَانَا
فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَمْ تُنْكِرْ قِرَاءَتَهُ وَأَقْرَرْتَ إِقْـرَارَ مَنْ عَرِفَ الأَشْيَاءَ عِـرْفَانَا
نَادَى الجَلِيلُ خـُذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي وَامْضُو بِعَبْدٍ عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا
المُشْــرِكُونَ غَدًا فِي النَّارِ يَلْتَهِبُوا وَالمُؤْمِنُونَ بِدَارِ الخُلْــدِ سُكَّانَا

يا عبد الله . دثر نفسك في هذا اليوم برداء طيب كريم ألا وهو رداء العمل الصالح .. دثر جسدك في هذا اليوم برداء العمل الصالح .. رداء الطيبات الصالحات الباقيات عند رب الأرض والسماوات .

ذلك أن العمل الصالح هو القائد الوحيد إلى جنان العزيز الحميد .

ثانيًا : الأدلة على البعث من القرآن والسنة

ها هو أحد الجاحدين يأتي إلى النبي ﷺ بعظم فيفته بين يديه ويذره في الهواء ويقول للنبي في سخرية واستهزاء : يا محمد أتزعم أن ربك يبعث هذا بعد ما صار رميمًا ؟!! فقال له النبي ﷺ : « **نَعَمْ يُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ** » .

فنزل قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣]

يقول المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده بسند حسن من حديث بسر بن جحاش القرشي أن الحبيب النبي ﷺ بصق يومًا على كفه ووضع المصطفى أصبعه عليها ثم قال : قال الله تعالى : « **يَا ابنَ آدمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مَثَلِ هَذِهِ حَتَّى إِذَا سَويْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ ، وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيد فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتِ الرُّوحُ التَّرَاقِي قُلْتَ : أَتَصَدَّقُ ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ** »[1].

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٤٠]

بلى وعزته وجلاله إنه لقادر على أن يبعث الموتى .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : « **كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، أَمَّا**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٧٦٩) ، وعند ابن ماجة رقم (٢٧٠٧) .

تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ ، فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ »[1] .

قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [التغابن : ٧]

أي سيبعثهم الله وسوف يقرأوا في الصحائف التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة ولا تظلم مثقال ذرة من أعمالهم التي اقترفوها .

فرد الكفار المعاندون المكابرون وقالوا كما جاء في كتاب الله : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٤٩- ٥٢]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ جَمَعَ بَنِيهِ وَقَالَ يَا بَنِيَّ إِذَا أَنَا مِتُّ فَحَرِّقُونِي فَإِذَا

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٤٩٧٤) في تفسير سورة قل هو الله أحد والنسائي (٤/ ١١٢) في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي - وفى لفظ فاذروا نصفي في البر ونصفي في البحر - **فَلَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِي لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ** » وأخذ هذا الرجل العهود والمواثيق على أولاده أن يحرقوه وأن يسحقوه وأن ينثروه في الريح في البر والبحر فلما مات الرجل فعلوا به ذلك . يقول المصطفى ﷺ : « **فَأَمَرَ اللهُ البرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَقَالَ المَلِكُ جَلَّ جَلَالُهُ لِهَذَا الرَّجُلِ كُنْ ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ بَينَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ قَالَ : عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ يَارَبِّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ** »[1].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول قال الله : « **يَا ابْنَ آدمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٥٠٨) في التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَامَ اللهِ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٥٦) في التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، والموطأ (١/ ٢٤٠) في الجنائز ، باب جامع الجنائز ، والنسائي (٤/ ١١٣) وفى الجنائز باب أرواح المؤمنين .

خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » (١).

ولقد ضرب الله لنا أمثلة عملية في كتابه الكريم نزفها إلى كل من يجهل حقيقة البعث وينكر هذه الحقيقة التي لا ريب فيها .

قال سبحانه : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[البقرة : ٢٥٩-٢٦٠]

يقول أهل التفسير : مر العُزير على قرية بيت المقدس وقد دمر القرية بختنصر وأصبحت لا مظهر فيها لأسباب الحياة فوقف العزير أمام هذه

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٣٥٣٤) في الدعوات ، باب رقم (١٠٦) ، وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة برقم (١٢٧) وهو في صحيح الجامع رقم (٤٣٣٨) .

القرية متأملًا متدبرًا ثم قال : كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها ؟!!

كيف يبعث الله جَلَّ وَعَلَا هؤلاء الأموات ؟!! وكيف يعيد الحياة إلى هذه القرية الخاوية ؟!! فأماته الله مائة سنة ثم بعثه ، وخاطبه بواسطة الملك قال : يا عزير كم لبثت ؟!! فوجد العزير الشمس تميل إلى الغروب فظن أنها شمس اليوم الذي نام فيه فقال : لبثت يومًا أو بعض يوم قال : يا عزير لقد لبثت مائة سنة ، كيف ذلك ؟!!

انظر إلى وجهي المقارنة الثابت والمتحرك ، انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته .

فكر في هذا جيدًا لتعلم أن الملك على كل شيء قدير .. انظر إلى حمارك فإذا به قد بلي وتحول إلى عظام رميم فأمر الله جَلَّ وَعَلَا أن يحيى هذا الحمار أمام عينه وبين يديه ليجعله برهانًا دامغًا للناس جميعًا على أن الله على كل شيء قدير ، أمر الله تعالى الأرض أن تجمع العظام ، فجاءت العظام من هنا ومن هناك بعدما صارت رميم فالتأمت واكتملت وصار كل عظم إلى جوار العظم الذي يليه فتركبت العظام وأصبح الحمار هيكلًا عظميًّا فقط بين يدي العزير وعلى الفور أمر الله جَلَّ وَعَلَا أن تكسى العظام باللحم وبالتوالي أمر أن يكسى اللحم بالشعر ، وفى التو أمر الله الملك أن ينفخ الروح فنهق الحمار بإذن الله سبحانه الذي أحيا العظام وهى رميم !! هذه

هي طلاقة القدرة التي انفرد بها الواحد الفرد الصمد !!

فنظر العزير إلى هذه وقال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وإبراهيم الخليل عليه السلام قال : رب أرني كيف تحيي الموتى بعد هلاكها ؟! قال أولم تؤمن يا إبراهيم ؟! قال بلى يا رب ولكن ليطمئن قلبي قال : يا إبراهيم خذ أربعة من الطير اذبحهن وعلمهن واخلط العظم مع اللحم مع الريش ؟ وخذ كومًا من لحم وعظم وريش مخلوط وممزوج وضع كل جزء من الخليط هذا على رأس جبل .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وجعل إبراهيم رؤوس الطيور في يديه ثم وقف إبراهيم عليه السلام ونادى على هذه الطيور فجاءت تسعى إلى إبراهيم ولم يأتِ طيرانًا لينظر إبراهيم بعينه وليطمئن أنه هو بعينه الذي ذبحه وعلمه بيده حتى جاء كل طير إلى إبراهيم .

يقول الحافظ : فكان إبراهيم إذا قدم رأسًا لطائر ليست رأسه أبى فإذا قدم الرأس لجسدها التأم الرأس في الجسد بإذن الله .

﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قدرة الله لا تحدها حدود .. قدرة الله ليس لها نهاية .. قدرة الله ، العقل قاصر عن إدراك حدودها .

ولقد ذكر الله مثالًا ثالثًا سنختم به هذا العنصر الهام .

ذكر الله أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى ثلاث مائةٍ سنين

وازدادوا تسعة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ [الكهف : ٩ - ١٢]

الله أكبر ... أماتهم الله هذه السنوات ثم بعثهم ليجعلهم آية للناس إنه جَلَّ وَعَلَا على كل شيء قدير .

أيها الأخيار : إن من كَلَّف عقله ليصل إلى حدود قدرة الله كالذي كلف نملة أن تنقل جبلًا من موضعه إلى موضع آخر .

قُـلْ لِلطَّبِـيبِ تَخَطَّفَتْـهُ يَدُ الـرَّدَى   يَا شَافِـي الأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَ ؟!

قُلْ لِلمَرِيضِ نَجـَا وَعُوفِي بَعْـدَمَا   عَجزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَ ؟!

قُـلْ لِلصَحِيـحِ مَـاتَ لَا مِنْ عِـلةٍ   مَـنْ يَا صَحِيح بِالمَنَـايَا دَهَــاكَ ؟!

بَلْ سَائِلِ الأَعْمَى خَطَى وَسْطَ الزِّحَامِ   بِلا اصْطِدَامٍ مَنْ يَا أَعْمَى يَقُودُ خُطَاكَ؟!

بَلْ سَائِلِ البَصِيرِ كَانَ يَحْذَرُ حُفْرَةً   فَهَوَى بِهَا مِنْ ذَا الَّـذِي أَهْـوَاكَ ؟!

وَسَلِ الجَنِينَ يَعِيشُ مَعْزُولًا بِلَا رَاعٍ   وَلَا مَرْعَى مَنْ ذَا الَّذِي يَرْعَاكَ ؟!

وَإِذَا الوَلِيدُ بَكَى وَأَجْهَـشَ بِالبُكَاءِ   لَدَى الوِلَادَةِ مَنْ ذَا الَّذِي أَبْكَاكَ ؟!

وَإِذَا تَــرَى الثُّعْبَـانَ يَنْفُـثُ سُـمَّهُ   مَنْ يَا ثُعْبَـانُ بِالسُّمُومِ حَشَـاكَ ؟!

وَسَـلْهُ كَيْــفَ تَعِيـشُ يَا ثُعْبَـــانُ   أَوْ تَحْيَـا وَهَذَا السُّمُّ يَمْـلَأُ فَاكَ ؟!

وَاسْأَلْ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ   شَهْدًا وَقُلْ لِلشَّهْدِ مَنْ حَـلاكَ ؟!
بَلْ سَـائِلِ اللَّبَنَ المُصَفى كَانَ بَـيْنَ   فَرْثٍ وَدَمٍ مَــنْ ذَا الَّذِي صَفَّاكَ ؟!

أإله مع الله !! أإله مع الله !! أإله مع الله !! لا إله إلا الله ، ولا رب غيره ، ولا معبود بحق سواه .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة وكشف الله به الغمة ، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت به نبيًّا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته ، وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

أحبتي في الله :

ثالثا : من مات على شيء بعث عليه

أخي في الله مرة ثانية أعرني قلبك وسمعك فإن الموضوع من الأهمية والخطورة القصوى بمكان .

فلقد ورد في حديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »(1) .

يا عبد الله ستبعث على أي هيئة مت عليها فإن كنت من السعداء مت على طاعة ستبعث يوم القيامة عليها ، وإن كنت من الأشقياء مت على معصية ستبعث عليها يوم القيامة .

الله أكبر ...

هناك من يبعث والنور يشرق من وجهه ، ومن أعضائه ، وعن يمينه ، ومن بين يديه قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨]

ورد في الأثر الذي أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وروى الحاكم الأثر في المستدرك

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) في الجنة ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

وصححه على شرط الشيخين وتعقب الحاكم الذَّهبي وقال : بل هو صحيح على شرط البخاري ، أن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالجَبَلِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالنَّخْلَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالرَّجُلِ القَائِمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يُوقَدُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ تُحِيطُ الظُّلْمَةُ بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ » .

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣]

يُنَادِي أَهْلُ الظُّلُمَات أَهْلَ الأَنْوَارِ : يا أهل الأنوار انتظرونا ، لا تتركونا في هذا الظلام الحالك الدامس !! ألم نكن معكم ؟ ألم نُصلِّ معكم صلاة الجماعة؟ ألم نشهد معكم الغزوات ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد : ١٤]

« **وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْعَثُ فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَرْضِ المَحْشَرِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ** » من هذا ؟!

هذا من مات بلباس الإحرام في الحج والعمرة يبعث به ملبيًا يوم القيامة ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال :

بينما رجل واقف مع النبي ﷺ بعرفة ، إذ وقع من راحلته - قال أيوب : فأوقصته فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « **اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ وَلَا تُحَنِّطُوهُ ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ ، فَإِنَّه يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا** »[1] .

« **وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهُ دَمٌ ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّم ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْك** » .

مَنْ هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : « **هُمُ الشُّهَدَاءُ فِي سَبِيلِ الله** » .

يقول ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الله وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالعُرْفُ عُرْفُ المِسْكِ** »[2] .

أحبتي في الله :

نحب أن ننوه إلى أنه قد يظهر أمام الناس شخص قتل في غزوة أو معركة ويقال إنه شهيد وإنه ليس كذلك ! .. لماذا ؟!

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٢٦٥) في الجنائز ، باب الكفن في ثوبين ، ومسلم رقم (١٢٠٦) في الحج باب ماذا يفعل المحرم إذا مات ، وأبو داود رقم (٣٢٣٨ ، ٣٢٣٩) في الجنائز ، والنسائي (٥/ ١٩٥) في الحج ، باب غسل المحرم بالسدر إذا مات .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٨٠٣) في الجهاد ، باب من يجرح في سبيل الله ، ومسلم رقم (١٨٧٦) في الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله .

لأنه لا يعلم السر وأخفى إلا الله ، فلا تحكم لأحد بالشهادة الجازمة في الدنيا ، لذا لا يقال : الشهيد فلان ، ولكن قل نرجو اللـه أن يتقبله عنده في الشهداء ومن يعلم النيات غير الله !!

ومنهم من يبعث وبطنه منتفخة لا يقوى على القيام بل ولا يستطيع الجلوس يتخبط عن يمينه وعن شماله يتكفأ على وجهه ،من هؤلاء ؟!

هؤلاء هم أكلة الربا :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة : ٢٧٥]

انظروا معي إلى المشهد الآخر ...

رجل يسير في أرض المحشر ومن حوله مجموعة من الأطفال الصغار هذا يتعلق بيده وهذا يتعلق بقدمه !! وهذا يجره جرًّا وهذا يدفعه دفعًا !! مشهد رهيب .. مَنْ هذا ؟! مَنْ هؤلاء ؟!...

هذا هو آكل أموال اليتامى بالباطل وهؤلاء هم اليتامى !!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[النساء : ١٠]

ومنهم من يبعث من النساء وعليها جلباب من لعنة الله ودرع من النار

وقد وضعت يدها على رأسها وهى تسير على أرض المحشر وتقول : يا ويلاه... يا ويلاه .... أتدرون من هذه ؟!

قال رسول الله ﷺ إنها النائحة .. النائحة هي التي تسير خلف الجنازة تبكي وتصرخ وتلطم وجهها وتشق جيبها وتضع التراب على رأسها وتقول.. يا ويلاه !!... يا ويلاه !! ومنهم من يبعث وفى يده كأس الخمر .. ومنهم من يبعث وهو يحمل على كتفه ما سرقه في الدنيا .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١]

قال الحافظ ابن كثير : لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه .

فإن أردت أخي الحبيب أن تبعث على طاعة فأطع الله جَلَّ وَعَلَا في دنياك ، وإن زلت قدمك في معصية فاحدث بعد المعصية توبة ، فإذا ما جاءك ملك الموت وأنت على طاعة . قبضك وأنت على ذات الطاعة . وحشرت يوم القيامة في زمرة الطائعين تحت لواء سيد النبيين وقائد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ .

وأختم حديثي معكم عن هذا العنصر بهذين المشهدين اللذين يخلعان القلوب .

شاب أمريكي من أصل أسباني ، دخل على إخواننا المسلمين في إحدى

المساجد في نيويورك في مدينة « بروكلين » بعد صلاة الفجر وقال لهم أريد أن أدخل في الإسلام ، قالوا : من أنت ؟ قال دلوني ولا تسألوني فاغتسل ونطق بالشهادة ، وعلموه الصلاة فصلى بخشوع نادر احتقر رواد المسجد جميعًا أنفسهم أمام خشوع وسجود وبكاء هذا الشاب وتعجبوا لحاله .

وفى اليوم الثالث خلى به أخ مصري ذكى واستدرجه وقال : يا أخي بالله عليك ما حكايتك ؟ قال والله لقد نشأت نصرانيًا وقد تعلق قلبي بالمسيح عليه السلام ولكنني نظرت في أحوال الناس فرأيت الناس قد انصرفوا عن أخلاق المسيح تمامًا فبحثت عن الإسلام وقرأت عنه فشرح الله صدري للإسلام ، ولكنني في الليلة التي دخلت عليكم فيها نمت بعد تفكير عميق وتأملت في البحث عن الحق فجاءني المسيح عليه السلام في الرؤيا وأنا نائم وأشار لي بسبابته هكذا ، وقال لي : كن محمديًّا .

يقول : فخرجت أبحث عن مسجد فأرشدني الله إلى هذا المسجد فدخلت عليكم وبعد هذا الحديث القصير أَذَّنَ المؤذن لصلاة العشاء ودخل هذا الشاب الصلاة مع المصلين ، وسجد في الركعة الأولى ، وقام الإمام بعدها ولم يقم أخونا المبارك بل ظل ساجدًا لله فحركه من بجواره فسقط فوجدوا روحه قد فاضت إلى الله جَلَّ وَعَلَا . الله أكبر

وأستحلفك بالله يا أخي في الله أن تتأمل طويلًا في هذه الخاتمة .

وهذه أخت من مدينة السويس عادت مع زوجها بعد رحلة الحج في الباخرة سالم إكسبريس ، وصرخ الجميع فإن الباخرة تغرق ، وصرخ زوجها هيا اخرجي فقالت : والله لن أخرج حتى ألبس حجابي كله فقال : هذا وقت حجاب ! اخرجي ! فإننا سنهلك !! قالت : والله لن أخرج إلا وقد ارتديت حجابي بكامله فإن مت ألقى الله على طاعة . فلبثت ثيابها وخرجت مع زوجها . فلما تحقق الجميع من الغرق تعلقت به وقالت : أستحلفك بالله هل أنت راضٍ عنى ؟ فبكى . قالت : هل أنت راضٍ عنى ؟ فبكى . قالت : أريد أن أسمعها قال والله إني راضٍ عنك فبكت المرأة التقية الشابة في ريعان شبابها وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، وظلت تردد الشهادة حتى غرقت فبكى الزوج وهو ويقول : أرجو من الله أن يجمعنا بها في الآخرة في جنات النعيم .

وها هو رجل عاش أربعين سنة يؤذن للصلاة لا يبتغى إلا وجه الله ، وقبل الموت مرض مرضًا شديدًا فأقعده في الفراش ، وأفقده النطق فعجز عن الذهاب إلى المسجد ، فلما اشتد عليه المرض بكى وقال في نفسه : يا رب أأذن لك أربعين سنة وأنت تعلم أنى ما ابتغيت الأجر إلا منك ، وأحرم من الأذان في آخر لحظات حياتي . يقسم أبناؤه أنه لما حان وقت الأذان وقف على فراشه واتجه للقبلة ورفع الأذان في غرفته وما إن وصل

إلى آخر كلمات الأذان لا إله إلا الله خر ساقطًا على الفراش ، فأسرع إليه بنوه فوجدوا روحه قد فاضت إلى مولاها .

إنما الأعمال بالخواتيم .

وهذا شيخنا المبارك عبد الحميد كشك - رحمه الله - يقبض في يومٍ أحبه من كل قلبه في يوم الجمعة يغتسل ، ويلبس ثوبه الأبيض ، ويضع الطيب على بدنه وثوبه ويصلى ركعتي الوضوء ، وفي الركعة الثانية وهو راكع يخر ساقطًا فيسرع إليه أهله وأولاده ، فوجدوا أن روحه قد فاضت إلى الله جَلَّ في علاه . لقد أجرى الكريم عادته بكرمه . أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

... الدعـــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحشر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

كنا قد انتهينا في اللقاء الماضي عند البعث ، وتوقفنا عند هذه المشاهد التى تخلع القلوب ، فلقد وقفنا عند هذا المنظر المهيب الرهيب لخروج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا ، كل يبعث على الهيئة التي مات عليها ، فمن مات على طاعة بعث على طاعة ، ومن مات على معصية بعث على نفس المعصية التي مات عليها .

ذلك لقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم : « **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »[1].

ولقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه ..

وأول من يبعث ، وتنشق عنه الأرض يوم القيامة حبيب الرحمن محمد ﷺ ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال : « **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) ، في الجنة ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ »[1].

وإذا كان المصطفى ﷺ يوم القيامة أول من ينشق عنه القبر ، فإن أول من يُكسى يوم القيامة خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا وَأَوَّلُ النَّاسِ يُكْسى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام »[2].

وفي رواية البيهقي من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال : « **أَوَّلُ النَّاسِ يُكْسَى مِنَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **وَيُؤتَى بِي فأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا البَشَرُ** » .

ولقد تكلم علماؤنا عن حكمة تقديم إبراهيم على نبينا محمد ﷺ في الكسوة يوم القيامة .

ومن أجمل ما ذكره أهل العلم أن المشركين لما هموا بحرق إبراهيم

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (١١٧٨) ، في الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، أبو داود رقم (٤٧٦٣) ، في السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والترمذي رقم (٣٦١٥) ، في المناقب ، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥٢٤) ، في الرقاق ، باب كيف الحشر ؟ ، ومسلم رقم (٢٨٦٠) ، في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، الترمذي رقم (٢٤٢٥) ، في القيامة ، باب ما جاء في شأن الحشر ، والنسائي (٤/ ١١٤) ، في الجنائز ، باب البعث .

وأشعلوا نارًا متأججة وظلوا يجمعون لها الحطب شهورًا ، وأيامًا حتى ارتفع لهيبها في عنان السماء فكانت الطيور تسقط من ارتفاع لهب هذه النيران فلما هموا بإلقائه جردوه من ثيابه فلما صبر واحتسب وتوكل على الله جزاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك فوقاه حر النار في الدنيا والآخرة ، وكافأه يوم القيامة فكساه على رؤوس الأشهاد .

فأول الناس يبعث هو حبيب الرحمن ، وأول الناس يُكسى هو خليل الرحمن وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ترى ماذا يكون بعد البعث ؟! ... إنه الحشـر .

وهذا هو موضوع الحديث في هذا اليوم الكريم المبارك ، لذا أستحلفك بالله أخي الحبيب أن تعرني قلبك وسمعك فإن الموضوع من الخطورة ، والرهبة ، والهيبة بمكان .

وحتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا فسوف ينتظم حديثنا عن الموضوع في العناصر التالية :

أولًا : صفة أرض المحشر .

ثانيًا : كيف يحشر الناس ؟!

ثالثًا : هول الموقف .

رابعًا : في ظل عرشه .

أولا : صفة أرض المحشر

ترى كيف تكون هيئة أرض المحشر ؟!!

أتكون مثل أرض الحياة الدنيا ؟!

لا ريب أنها ستكون مختلفة تمامًا عن أرض الحياة الدنيا التي نعيش عليها . لم لا ؟! فإن الزمان غير الزمان .. فحتمًا يكون المكان غير المكان .. حيث قال رحمن الدنيا والآخرة ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨]

إذاً تتبدل أرض الدنيا وسماوات الدنيا .

فلقد وصف لنا المصطفى طبيعة الأرض التي سيحشر الناس عليها وصفًا دقيقًا بليغًا .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث سهل ابن سعد الساعدي ﷺ أنه ﷺ قال : « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأحدٍ** » .

وفى رواية إلى قوله : « **كَقُرْصَةِ النَّقِي** » ثم قال : قال سهل ، أو غيره : « **لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ** »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥٢١) في الرقاق ، باب يقبض الله الأرض ، ومسلم رقم (٢٧٩٠) في صفات المنافقين ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة .

أرض عفراء : أي بيضاء ، والعفرة : البياض .

وعند ابن فارس البياض الشديد الناصع البياض .قرصةُ نقى أو كقرصةٍ نقى ، أي كالدقيق النقي من الغش والنخال .

قال سهل : ليس فيها معلم لأحد ، المعلم ، هو العلامات التي يتعارف بها الناس على الشوارع ، والطرقات ، والمدن .

فهي أرض بيضاء مستوية كالفضة البيضاء لايوجد عليها أشجار ، أو أنهار ، أو أبنية .

هذه هي صفة أرض المحشر كما أخبرنا الصادق المصدوق .

ولكن كيف يحشر الناس على هذه الأرض ؟!

ثانيًا : كيف يحشر الناس على هذه الأرض !!

يخرج الناس من القبور حفاةً عراةً غُرْلًا كما قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم من حديث عائشة .

يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلًا قالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء ينظروا بعضهم إلى بعض قال : « **يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ**

أَنْ يَهُمَّهُمْ ذَلِكَ »[1].

نعم والله يخرجون من القبور بهذا العرى والذل والهوان .

قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [ق : ٤١-٤٢]

نعم والله إنه يسير على الله أن يحشرهم جميعًا من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا يتخلف أحد ولا يمتنع .... كيف ذلك ؟

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف :٤٧- ٤٨]

حشر الله الخلق جميعًا ولا يتخلف مَلِك ، ولا متكبر ، ولا حاكم ، ولا زعيم ، ولا طاغية ، فلم نغادر منهم أحدًا .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

[مريم : ٩٣- ٩٦]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٢٧) في الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائي (٤/ ١١٤) في الجنائز ، باب البعث .

هكذا كل يأتي الرحمن فلا يتخلف مخلوق فلقد أحصى اللـه الخلق من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة ، فهم ينطلقون جميعًا وراء هذا الداعي الكريم الذي جاء ليقود الخلق جميعًا إلى المحشر ، انطلقوا من خلفه ولا يلتفتون ، ولا يتخلفون صامتين مستسلمين خاشعين .. يعلوهم صمت رهيب يزلزل قلوبهم سكون غامر يغمر المكان كله بالعظمة والهيبة والإجلال .

قال سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾

[طه : ١٠٨ - ١١١]

الكلام يومئذ همس !! والسؤال يومئذ لصاحب الأمر ؟!!

وهل يستطيع مخلوق أن يتفلت أو يتخلف ؟!!

وهل يملك طاغية أن يتغيب ، أو يتأخر ، وقد وكل الله بكل إنسان ملكين يسوقانه سوقًا إلى أرض المحشر .

قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

[ق : ١٩ - ٢٢]

ها هو رسول الله ﷺ يجسد لنا معاني هذه الآيات - عن مشهد الحشر يخلع القلوب ويأخذ بالألباب - فيقول كما في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن يقول « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ ، صِنْفٌ مُشَاةٌ ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ ، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ** »[1] .

وفى صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس قال رجل : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟! فقال المصطفى ﷺ : « **أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رِجْلَيْنِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ** » .

قال قتادة : بلى وعزة ربنا[2] .

ونحن نقول بلى وعزة ربنا إنه لقادر أن يحشر الكافرين يوم القيامة على وجوههم .

أيها الحبيب : هل تصورت قبل أن ترى الحية أن دابة تمشي على بطنها؟!

إن الذي جعل الحية تمشى بدون أرجل سيحشر الكافر وهو يمشي على وجهه يوم القيامة ، إنه على كل شيء قدير .

أناس يمشون على الأقدام وأناس يركبون ، من هؤلاء الذين يركبون

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٣١٤١) في التفسير ، باب ومن سورة بنى إسرائيل . وصححه شيخنا الألباني في المشكاة (٥٥٤٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٧٦٠) في التفسير ، سورة الفرقـان ، ومسلم رقم (٢٨٠٦) في صفات المنافقين ، باب يحشر الكافر على وجهه .

في هذا اليوم العصيب ؟!

اسمع لربك جَلَّ وَعَلَا ... قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

[فصلت : ٣٠]

ويقدم الملائكة لأهل التقى ركائب من دواب الآخرة عليها سُرُج من ذهب فيركب المتقون ، وينطلقون بها في أرض المحشر حتى لا يمشون على أقدامهم في هذا اليوم العصيب .. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟! .

والتقوى هي أن يطاع اللـه فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

وسئل أبو هـريرة عن التقوى فقال : هل مشيت على طريق فيه شوك ؟ قال : نعم ، قال : فماذا صنعت إذا رأيت الشوك ؟ قال : اتقيته ، قال أبو هريرة : ذاك التقوى .

وقال ابن المعتز :

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التقَى
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ ... أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
وَلَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله . ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾

[مريم : ٨٥ - ٨٦]

فالتقي يحشر راكبًا ، والعَصِيّ يحشر واردًا ، أما المتكبرون الذين انتشوا وانتفخوا في الدنيا ولم يذلوا أنفسهم لله ، ولم يخفضوا جناح الذل لخلق الله بل تراه مغرورًا بكرسيه الذي جلس عليه ، وتراه مغرورًا بمنصبه وتراه متكبرًا بماله ، وتراه متكبرًا بسلطانه وجاهه .

فهذا والله الذي لا إله غيره سيحشر بمنظر وهيئة لو علمها لوضع أنفه في التراب ذلا لمولاه ، ولخفض جناح الذل لخلق الله .

يَا ابْـنَ التُّـرَابِ وَمَـأْكُـولُ الـتُّرَابِ غَدًا أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ

علام الكبرياء يا ابن آدم ؟ وأنت تحمل البصاق في فمك !! وتحمل العرق تحت إبطيك !! وتحمل البول في مثانتك !! وتحمل النجاسة في أمعائك !! وتمسح عن نفسك بيدك العذرة كل يوم مرة أو مرتين !!!

يا أيها الإنسان ما غرك !!

مر أحد السلف على رجلٍ متبخترٍ مختالٍ في مشيته فقال له هذا الرجل الصالح : يا ابن أخي هذه مشية يبغضها الله ورسوله .

فقال له المتكبر : ألا تعرف من أنا ؟!!. من أنت أيها المغرور ؟!

تصور معي مشهد حشر المتكبر يوم القيامة .

أخرج الترمذي عن رسول الله ﷺ « **يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَومَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرَ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ** »[(1)] .

يحشر المتكبرون يوم القيامة كذر تدوسه الأقدام والأرجل لأنه كان منتفخًا منتشيًا متكبرًا مغرورًا في الدنيا .. والجزاء من جنس العمل .

فكما انتفخ واستعلى في الحياة الدنيا يحشر يوم القيامة في غاية الذلة والمهانة تطؤه الأرجل والأقدام .

فإذا ما وصلت الخلائق كلها إلى أرض المحشر تنزلت الملائكة ضعف عدد من في الأرض .. تحيط الملائكة بأهل الأرض من كل جانب .

إن الموقف فيه من الأهوال والكروب ما يخلع القلوب وهذا هو عنصرنا الثالث .

ثالثا : هول الموقف

إذا ما وصل الناس إلى أرض المحشر ازداد الهم والكرب والغم ... ولم لا !! وقد وقفوا قيامًا طويلًا .. طويلًا !!

وها هي الشمس تدنو من الرؤوس . ففي صحيح مسلم من حديث

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٢٤٩٤) في صفة القيامة ، وصححه شيخنا الألباني في المشكاة وهو في صحيح الجامع برقم (٨٠٤٠) .

المقداد أنه ﷺ قال : « **تُدْنى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ مِقْدَارَ مِيلٍ** » قال الراوي : فوالله ما أدري ما يعني بالميل : أمسافة الأرض ، أو الميل الذي تكحل به العين ؟! قال : « **فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمْهُ العَرَقُ إِلجَامًا** » وأشار ﷺ بيده إلى فيه »[١] .

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦] قال المصطفى ﷺ : « **يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ** »[٢].

هل تصورت هذا المشهد ؟ حرارة تذيب الحديد والحجارة فوق الرؤوس ولك أن تتصور البشرية كلها تحشر في مكان واحد على أرض واحدة . زحام يخنق الأنفاس !!

وفى هذا المشهد والموقف الرهيب يزداد الهم والكرب بإتيان جهنم .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٢٨٦٤) في صفة الجنة ، باب صفة يوم القيامة ، والترمذي رقم (٢٤٢٣) في صفة القيامة ، باب رقم (٣) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٢٩٣٣) .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥٣١) في الرقاق ، باب قوله تعالى : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعثون .... ﴾ الآية ، ومسلم رقم (٢٨٦٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفة يوم القيامة .

إيه والله ... يؤتى بجهنم في أرض المحشر كما قال المصطفى ﷺ والحديث رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله : « **يُؤتِي بِالنَّارِ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، وَمَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** »[1].

فإذا أقبلت جهنم ، وأحاطت بالخلائق ، ورأت الخلق زفرت ، وزمجرت غضبًا منها لغضب الله جَلَّ وَعَلَا .. عند ذلك تجثو جميع الأمم على الركب من الخوف والذلة .

قال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨]

وليس ذلك فقط بل يحدث ما تشيب منه الرؤوس وتنخلع له القلوب !!

اسمع إلى هذا الحديث الذي رواه الترمذي بسند صحيح قال رسول الله ﷺ : « **يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ : إِنِّي وكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ ، لمنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِالمصَوِّرِينَ** »[2] .

ويسجل القرآن جزاء كل جبار عنيد فيقول ﷻ : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ

---

(١) صحيح : روه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥٧٧) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٥١٢) ، وهو في صحيح الجامع برقم (٨٠٥١) .

﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧]

في هذا المشهد في الحر الشديد، والزحام الرهيب !!

وفي هذا التدافع في هذا الموقف الذي ترتعد منه الفرائص وتشيب له الرؤوس، ويهتز له الوجدان فإن الأنبياء حينما يرون هول هذا الموقف لا يملكون إلا أن يقولوا: اللهم سلم .. سلم ... !!

هذه دعوتهم يومها، والكلام مقتصر عليهم دون غيرهم !!

يومها تذهل كل مرضعة عن رضيعها، وتضع كل ذات حمل حملها وينتاب الناس الهلع، والرعب حتى تظنهم سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

يومئذ يفر المرء من أبيه، وأمه، وأخيه، وصاحبته، وينسى الابن أبويه اللذان برهما في دنياه وألان لهما الجانب وأطاعهما في غير معصية لله !! يومها يفر الأخ من أخيه ولا تعد هناك روابط نسبية !!

ويومها تفر الزوجة من زوجها الذي أعطى لها كل عطفٍ وحنانٍ ورعايةٍ وصحبة جميلة حسنة !!

يومها ترمي الأم الحنون بطفلها في غير وعى فلا أمومة في هذا الموقف الرهيب المخيف، الكل يقول نفسي ... نفسي ... ! حتى الأنبياء !

الكل له شأن يلهيه ، استمع لقول مولاك ﷻ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٣-٣٧]

ولله در القائل :

مَثِّـــلْ لِنَفْسِـكَ أَيُّهَــا المَغْـــرُورُ ... يَــومَ القِيَـــامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُــورُ

إِذَا كُــوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وأُدْنِيَـت ... حَتَّــى عَــلَى رَأْسِ العِبَـادِ تَسِيرُ

وَإِذَا النُّجُــومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَــاثَرَتْ ... وَتَبَدَّلَـتْ بَعْـدَ الضِّيَــاءِ كُـــدُورُ

وَإِذَا الجِبَـــالُ تَقَلَّعَـتْ بِأُصُـولِهَـــا ... فَرَأَيْتَهَـــا مثْـل السَّحَابِ تَسِيــرُ

وَإِذَا العِشَــارُ تَعَطَّـلَتْ وَتَخَــرَّبَـتْ ... خِلْـــتَ الدِّيَـارِ فَمَـا بِهَـا مَعْمُــورُ

وَإِذَا الوحُوشُ لَدَى القِيَامَةِ أُحْشِرَتْ ... وَتَقُـــولُ لِلأفْـلاكِ أَيْـنَ نَسِـيرُ

وَإِذَا الجَلِيــلُ طَـوَى السَّمَاءَ بِيَمِينِـهِ ... طَــيَّ السِّجِـل كِتَـابَهُ المَنْشُـــورُ

وَإِذَا الصَّحَـائِفُ نُشِـرَتْ وَتَطَايَرَتْ ... وَتَهَتَّكَـــتْ لِلعَـالَمِـــينَ سُـــتُورُ

وإذا الجَنِيـنُ بِأُمِّــهِ مُتَعَلِّـــقٌ يَخْشَـى ... القِصَــــاصَ وَقَلْبُـــهُ مَذْعُـــورُ

هَـذَا بِــلَا ذَنْـبٍ يَخَــافُ جِنَـــايَةً ... كَيْفَ المُصِرُّ عَــلَى الذُّنُـوبِ دُهُــورُ

وَإِذَا الجَحِيـــمُ تَسَعَّـرَتْ نِــيرَانُهَــا ... وَلَهَـــا عَـلَى أَهْـلِ الذُّنُـوبِ زَفِــيرُ

وَإِذَا الجِنَـــانُ تَزَخْــرَفَتْ وَتَطَيبتْ ... لَفَـتىً عَــلَى طُـولِ البَـلاءِ صَبُــورُ

تذكر كل هذه المشاهد .. الزحام شديد يكاد يخنق الأنفاس والشمس يكاد تصهر الرؤوس والكل يتدافع .. السؤال همس .. والكلام تخافت

وجلال الحي القيوم عمر المكان بالهيبة .

في هذه اللحظات ينادى الحق جل جلاله على مجموعة من الخلق في أرض المحشر أن يتقدموا ليظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله .

من هؤلاء يا ترى ؟!! والإجابة على هذا السؤال تكون بعد جلسة الاستراحة . وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أحبتي في الله :

رابعًا : في ظل عرشه

إن مجرد الكلام عن أهوال هذا اليوم ترتعد له الفرائص فكيف إذا عايناه وعاصرناه وعايشناه على أرض الواقع لا أرض الخيال ؟!!

في هذا الموقف ينادي الحق جَلَّ جَلَاله على أناسٍ ليظلهم بظلِّهِ يوم لا ظل إلا ظله ، يا ترى من هؤلاء السعداء ؟!

في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة : قال المصطفى ﷺ :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »[1].

« إِمَامٌ عَادِلٌ » : أي حاكم عادل عاش ليقيم العدل في الأرض ، سعدت به رعيته ، وسعد هو برعيته ، وكان يتقى الله في هذه الأمانة ، يعلم يقينًا أن الحكم والمنصب أمانة سيسأل عنها بين يدي الله كما قال المصطفى ﷺ لأبى ذر : **« إِنَّ الوِلَايَةَ أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا »** . ترى ما جزاء هذا الحاكم؟! أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله .

«شَاب نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله »

أخي في الله : إذا نشأت في عبادة الله ، وانصرفت عن معصية الله وإن زلت قدمك في معصيته تبت إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، أظلك الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٢/ ١١٩) في الجماعة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، ومسلم رقم (١٠٣١) في الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة .

أيها الشاب الفتى .. أيها الشاب الذكي .. أيها الشاب الذي أسرفت على نفسك أرجو من الله ﷻ أن لا تتأخر لحظة عن التوبة وطاعة الله لأن الطاعة عِز ، الطاعة شرف .. فلا عز في الدنيا والآخرة إلا بطاعة الله .

ولماذا خص الشاب ؟!!

لأن الشاب تجري دماء الشهوة في عروقه ، لأنه - لا سيما في سن المراهقة وسن الفتوة - تعصف الشهوة بكيانه عصفًا ، ولكن بخوفه من الله ومراقبته لله يعصم نفسه ويحارب شهواته ويحارب نفسه الأمارة بالسوء .

لذا كافأ الله هذا الشاب الطائع ، التقي ، النقي ، الطاهر الذي نشأ منذ نعومة أظفاره يعبد الله ، ويطيع الله ويحفظ حقوق الله ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ويقيم حدوده ، فيظله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

« **وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ** » معنى ذلك أن قلبه في المسجد ، فإذا صَلَّى الفرض ، وخرج إلى الدنيا يسعى على رزقه من الحلال ، أو عاد إلى بيته وأولاده يخرج من المسجد ، وقلبه مشتاق أن يرجع إلى المسجد مرة أخرى فهو متعلق بالمسجد يهوى الجلوس في بيت الله بل يتمنى أن لو ييسر الله له الوقت ؛ ليقضي جُله في بيت الله جَلَّ وَعَلَا .

يا من تقضي وقتك أمام المسلسلات والمباريات والأفلام !! لماذا لا تحرص على أن تقضى هذا الوقت في بيت الله جَلَّ وَعَلَا ؟!

فإذا تعلق قلبك به أظلك الله في عرشه يوم لا ظل إلاَّ ظله .

« وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ » .

إنه الحب في الله « إِنَّ مِنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله ، وَأَعْطَى لله ، وَمَنَعَ لله ، فَقَد اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ » [١] وإن آصرة الحب في الله هي أغلى آصرة .. وأن رابطة الحب في الله هي أغلى رابطة .. ألا وإن « أَوْثَقَ عُرَى الإيمانِ ، الحُبُّ فِي الله وَالبُغْضُ فِي الله » يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي وهو في الصحيحين : « أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالي ؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » [٢] .

« وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ » أي : للزنا . تذكر الله جَلَّ وَعَلَا وراقبه وأعرض عن هذه الكبيرة خوفًا من الله جَلَّ وَعَلَا .

« وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » : خلى بنفسه ، وقام من الليل ، وجلس يصلي أو يذكر الله سبحانه وتعالى فلما امتلأ قلبه بهيبة الله وبعظمة

---

(١) صحيح : رواه أبو داود رقم (٤٦٨١) في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ، وهو في صحيح الجامع (٥٩٦٥) .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٦٦) في البر والصلة ، باب في فضل الحب في الله ، والموطأ (٢/ ٩٥٢) في الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في الله .

الله ، فاضت عيناه بالدموع خوفاً منه وهيبة له سبحانه .

قال رسول الله ﷺ : « **عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله** »(١).

وهناك غير هؤلاء السبعة من الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة .

ولقد جمع الحافظ ابن حجر في كتاب مستقل هؤلاء الذين يظلهم الله في ظله غير هؤلاء السبعة في كتاب قيم سماه - معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال - وبين أن الله سبحانه يظل غير هؤلاء السبعة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ففي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال :

« **مَنْ أَنْظَرَ** - أمهل - **مُعْسِرًا أَظَلَّهُ الله فِي ظِلِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ** »(٢).

أيها الحبيب الكريم : احرص على طاعة اللـه وعلى هذه الخصال من خصال الخير ليظلك الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

وحينئذ يقوم بقية الخلق في هذا الموقف قيامًا طويلًا طويلًا ، ويشتد الكرب عليهم حتى يتمنى بعضهم أن يحشر إلى النار ولا يقف في مثل هذا الموقف المهيب الرهيب ظانا أن النار لن تكون أشد عذابًا مما هو فيه من

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (١٦٣٩) في فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله وصححه شيخنا الألباني في المشكاة رقم (٣٨٢٩) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٤١١٢) .

(٢) صحيح : رواه الترمذي رقم (١٣٠٦) في البيوع ، باب في إنظار المعسر ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب (٩٠٠) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٦١٠٧) .

هم وكرب .

وهنا يبحث الخلق عمن يشفع لهم إلى الله جَلَّ وَعَلَا ليقضي الله تبارك وتعالى بين الخلائق لينتهي هذا الموقف المهيب الرهيب ، وهنا يقول كل نبي من الأنبياء نفسي .. نفسي .

ويتقدم الحبيب المصطفى ﷺ صاحب المقام المحمود وصاحب الحوض المورود ، وصاحب اللواء المعقود ، وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين يتقدم ليشفع للخلائق في أرض المحشر ليقضي الله جَلَّ وَعَلَا بينهم ونتوقف عند هذا المشهد الكريم عند مشهد شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف جميعًا لنعيش مع هذا الموقف . لنتعرف عليه لاحقًا إن قدر الله لنا البقاء واللقاء .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

.... الدعـــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الشفاعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء - ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الحادي عشر مع السلسلة الكريمة في رحاب الدار الآخرة وكنا قد وقفنا عند هذا المشهد المزلزل المروع : الناس جميعًا وهم في أرض المحشر ، وقد بلغ بهم ما بلغ من الهول والغم والكرب ، فالزحام حينذاك يخنق الأنفاس ، والشمس فوق الرؤوس بمقدار ميل ، والناس غرقى في عرقهم كل بحسب عمله وبحسب قربه من الملك القدير ، ويزيد المشهد الرهيب العصيف غمًّا فوق الغم وكربًا فوق الكرب بإتيان جهنم والعياذ بالله .

فقد سجل المولى في قرآنه قال تعالى : ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٣ - ٢٦]

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال : « **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** »[1] .

فإذا ما رأت الخلائق زفرت وزمجرت غضبًا منها لغضب الله .

فحينئذ تجثو جميع الأمم على الركب ..

ولقد سجل القرآن هذا المشهد حيث قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) ، في صفة الجنة .

وفى هذه اللحظة تطير قلوب المؤمنين شوقًا إلى الجنة ، وتطير قلوب المجرمين فزعًا ، وهلعًا ، وهربًا من النار ، ويعض صنف كثير من الناس في أرض المحشر على أنامله تحسرًا على ما قدم في هذه الحياة الدنيا - ولكن - هيهات .. هيهات !!

قال تعالى : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٦ - ٢٩]

في هذا الكرب ينطلق بعض الناس ويقول بعضهم لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ؟!! ألا ترون ما قد بلغنا ؟!! ألا تنظرون من يشفع لكم عند ربكم ليقضي بينكم ؟!!

فلا يتقدم للشفاعة يومئذ إلا صاحبها . سيد ولـد آدم محمد بن عبد الله ﷺ وحينها يقول كل نبي نفسي .. نفسي !! ويقول حبيبنا محمد ﷺأنا لها ، أنا لها .

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أيدينا سريعًا فسوف ينتظم حديثنا في هذا الموضوع في العناصر الآتية :-

أولًا : الشفاعة العظمى .

ثانيًا : من أسعد الناس بشفاعة المصطفى ﷺ .

فأعرني قلبك ، وسمعك أيها الحبيب ، والله أسأل أن يجعلني وإياكم

ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أولا : الشفاعة العظمى

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ** » ثم قال : « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ ؟!! يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ ، وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَالَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا تَرُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ ؟!! أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضَ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ ، أَلَا تَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلُهُ ، وَلَنْ يَغْضَب بَعْدَهُ مِثْلُهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصِيتُ ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ... اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكَورًا ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا ؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَب بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي ،**

نَفْسِي ، نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ... فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ الله ، وَخَلِيلُهُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ ، اشْفَع لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ . فَذَكَرَهَا ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَسُولُ الله ، فَضَّلَكَ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَب بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ، فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى ، أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلِمَته أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَب بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ، نَفْسِي ، نَفْسِي ، نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ » وفي رواية : « فَيَأْتُونِي - فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله ﷺ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعَ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ ، فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ :

يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي » [1] .

فتعالى مَعِي أَخِي الحبيب نعيش مع بعض فقرات الحديث سريعًا :

لقد بلغ من الناس ما بلغ بهم من : شمس تدنو فوق الرؤوس بمقدار الميل ، هم وكرب وغم مالا يطيقون ولا يتحملون .

فلما بلغ بهم الحال لهذا الحد العصيب الرهيب بلغ بهم المقال ، فقال بعض الناس لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ، ألا ترون ما قد بلغنا ؟ ألا تنظرون من يشفع لنا إلى ربنا ؟ . فيقولون بعضهم لبعض : أبوكم آدم . فيأتون آدم عليه السلام فيقول آدم عليه السلام : نفسي ، نفسي ، نفسي اذهبوا إلى غيري ..!! اللهم سلم سلم يا أرحم الراحمين . فيأتون نوحًا عليه السلام . ذلكم العملاق الذي ظل يدعو إلى الله ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ذلكم النبي الكريم الذي دعي قومه في السر والعلن في الليل والنهار فلم يستجيبوا إلا من رحم الله .

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٣٤٠) في الأنبياء ، ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم (٢٤٣٦) في صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة .

لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٥-٩]

ما ترك هذا النبي الكريم العملاق سبيلًا إلا وسلكه، ألف سنة إلا خمسين عامًا لم ينم، ولم يهدأ، ولم يقر له قرار، ومع ذلك يقول نبي الله نوح: نفسي، نفسي، نفسي... اذهبوا إلى غيري..

ولقد دعي نبي الله نوح دعوته، فلكل نبي دعوة مستجابة، كل نبي تعجل بهذه الدعوة في الدنيا إلا المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم « **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ، وَكُلُّ نَبِيٍّ قَدْ تَعَجَّلَ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[1].

نوح دعا على قومه كما سجل القرآن، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]

فيأتون إبراهيم ﷺ فيقول خليل الله: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ويذكر إبراهيم كذباته ثم يقول: نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري !!!

أتعرف ما هي كذبات إبراهيم ؟! كذباته !.. وهل كذب إبراهيم؟!

الجواب: من صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: لم

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري تعليقًا في الدعوات، باب لكل نبي دعوة، ورواه مسلم رقم (٢٠٠) في الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته.

يكذب إبراهيم قط إِلَّا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾

وواحدة في شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبار ، ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار ، فأتاه ، فقال : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها ، فأتى بها ، فقام إبراهيم إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها ، فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ، ففعلت فعاد ، فقُبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت ، فعاد ، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ، فقال : ادعي الله أن يطلق يدي ، فلك [الله] أن لا أضرك ففعلت ، وأطلقت يده ، ودعا الذي جاء بها ، فقال : إنك إنما جئتني بشيطان ، ولم تأتني بإنسان ، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر ، قال : فأقبلت تمشي ، فلما رآها إبراهيم انصرف ، فقال لها : مَهْيَمَ ، قالت : خيرًا ، كف الله يد الفاجر وأخدَمَ خادمًا ، فقال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بني ماء السماء [١].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٣٥٨) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ ، ومسلم رقم (٢٣٧١) في الفضائل ، باب من فضائل إبراهيم

هذه كذبات إبراهيم التي ذكرها ثم قال : اذهبوا إلى غيري ... اذهبوا إلى موسى ...!! إنه الكليم .. إنه المصطفى بالرسالة .. إنه المجتبى بالكلام إنه المصنوع على عين الله ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ .

اصطفاه الله برسالته على جميع الخلق واصطفاه بالكلام على جميع الخلق ومع ذلك يقول : نفسي .. نفسي .. نفسي !! اذهبوا إلى غيري .. اذهبوا إلى عيسى .

سبحان الله !! حتى الكليم يقول : اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى!! فيأتون عيسى ﷺ فيقول عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، اذهبوا إلى غيري نفسي ، نفسي ، نفسي ، ولم يذكر عيسى ﷺ ذنبًا من الذنوب اذهبوا إلى محمد بن عبد الله ﷺ .

يقول الحبيب : فيأتوني فأقول : أنا لها ، أنا لها . يقول : فأقوم فأخر ساجدًا لربي تحت العرش فينادي عليه الملك جَلَّ جَلَاله ويقول : يا محمد ارفع رأسك وسل تُعْطَ واشفع تشفع فيقول الحبيب ﷺ : أمتي أمتي .. يا رب أمتي .

سبحان الله !! انظر كم حب الرسول لأمته !! إنه الحليم الأواه

الخليل ، وأبو داود رقم (٢٢١٢) في الطلاق باب في الرجل يقول لامرأته : يا أختي ، والترمذي رقم (٣١٦٥) في التفسير باب ومن سورة الأنبياء .

صاحب القلب الكبير ، صاحب القلب الرحيم الذي قال الله في حقه ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] قرأ يومًا قول الله في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[ابراهيم : ٣٦]

وقرأ قول الله في عيسى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨]

فبكى فأنزل الله إليه جبريل عليه السلام وقال : يا جبريل سل محمد ما الذي يبكيك ؟ وهو أعلم ، فنزل جبريل وقال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : أمتي .. أمتي يا جبريل ، فصعد جبريل إلى الملك الجليل . وقال : يبكي على أمته ، والله أعلم ، فقال لجبريل : انزل إلى محمد وقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك فيقول : يا رب أمتي .. يا رب أمتي .. يا رب أمتي .

وفي حديث الصور الطويل الذي رواه الطبري والطبراني والبيهقي وأبو يعلى الموصلي وأورده السيوطي واستشهد به ابن أبي العز الحنفي ، وللأمانة العلمية التي عاهدنا الله عليها فإن الحديث بطوله ضعيف ، ففيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف ؟ كما قال أهل الجرح والتعديل وفيه محمد ابن زياد وهو مجهول فيه ما يتفق مع سياق حديث أبي هريرة الذي ذكرته آنفًا .

يقول المصطفى ﷺ : فأخر ساجدًا تحت العرش فيقال لي : ما شأنك

وهو أعلم فيقول المصطفى ﷺ : يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقضِ بينهم ، فيقول الله جَلَّ وَعَلَا قد شفعتك .. أنا آتيكم لأقضي بينكم .

يقول المصطفى ﷺ : فأرجع لأقف مع الناس في أرض المحشر ، وتنتظر البشرية كلها مجيء الملك جَلَّ جلاله مجيئًا يليق بكماله وجلاله ، فكل ما ورد ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] فصفة النزول ، وصفة المجيء ، وصفة الإتيان ، وصفة الغضب ، صفات لله جَلَّ جلاله نثبتها كما جاءت من غير تحريف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥]

قال علماؤنا : استوى كما أخبر ، وعلى الوجه الذي أراد ، وبالمعنى الذي قال ، استواءً منزهًا عن الحلول والانتقال .

فَلَا العَرْشُ يَحْمِلُهُ وَلَا الكُرْسِيُّ يُسْنِدُهُ
بَلِ العَرْشُ وَحَمَلَتُهُ وَالكُرْسِيُّ وَعَظَمَتُهُ
الكُلُّ مَحْمُولٌ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ
مَقْهُورٌ بِجَلَالِ قَبْضَتِهِ

فالاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

سأل رجل إسحاق بن راهويه وقال : يا إسحاق كيف تؤمنون بإله يتنزل كل ليلة من عرشه إلى السماء الدنيا ؟!

فقال : يا هذا إن كنت لا تؤمن به فإننا نؤمن بإله يتنزل كل ليلة من عرشه إلى السماء الدنيا ، ولا يخلو منه عرشه .

من كان منا يتصور أن النمل يتكلم ، وما عرف ذلك وفهمه إلا يوم أن قرأ في القرآن الكريم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ ﴾ [النمل - ١٨]

من كان منا يتصور أن هناك شيء لا يمشي على رجليه وإنما يمشي على بطنه حتى رأيت الحية تمشي على بطنها وما شاكلها وهكذا .

من زعم أنه يعرف كيفية ذات الله جَلَّ وَعَلَا فهو واهم لأنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾ [طه : ١١٠]

جَلَّ جلاله .. لا ند له ، ولا كفء له ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا مثيل له ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١]

والسؤال : من الذي يشفع للبشرية كلها لفصل القضاء ؟!!

لم يشفع للبشرية كلها لفصل القضاء إلا المصطفى ﷺ .

أيها الموحدون : والله لا يعرف قدر رسول الله إلا الله .

إن قدر رسول الله ﷺ عند الله لعظيم ! وإن كرامة النبي ﷺ عند الله لكبيرة !

فهو المصطفى وهو المجتبى ، فلقد اصطفى الله من البشرية الأنبياء

واصطفى من الأنبياء الرسل ، واصطفى من الرسل أولي العزم ، واصطفى من أولى العزم الخمسة : إبراهيم ، ومحمد ، واصطفى محمد ففضله على جميع خلقه . شرح له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وزكاه في كل شيء :

زكاه في عقله فقال سبحانه : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم : ٢]

زكاه في صدقه فقال سبحانه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم : ٣]

زكاه في صدره فقال سبحانه : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح : ١]

زكاه في فؤاده فقال سبحانه : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم : ١١]

زكاه في ذكره فقال سبحانه : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح : ٤]

زكاه في طهره فقال سبحانه : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح : ٢]

زكاه في علمه فقال سبحانه : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم : ٥]

زكاه في حلمه فقال سبحانه : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨]

زكاه كله فقال سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤]

بأبي هو وأمي ﷺ ... هو رجل الساعة ، نبي الملحمة ، صاحب المقام المحمود - الذي يغبطه عليه كل نبي في أرض المحشر - الذي وعد الله به نبينا في قوله : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء - ٧٩]

فهذا هو المقام المحمود كما في حديث مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ

قال : « **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّل مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ** »[1].

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة كذلك أنه ﷺ قال : « **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَي بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ** »[2].

وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « **فُضِّلْتُ عَلَي الأَنْبِيَاءِ بِسِت : أُعْطِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ** - فهو البليغ الفصيح - **وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ** - وفى لفظ البخاري مسيرة شهر - **وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمَ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ** »[3].

هذه مكانة النبي محمد ﷺ ، بل لقد أنزل الله ليربي وليعلم الصحابة كيف يتأدبون ويعظمون رسول الله ﷺ ، وكيف يوقرون رسول الله ﷺ وكيف يتأدبون حتى في النداء على رسول الله ﷺ .. ولكن الآن ما الذي

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٢٧٨) في الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، وأبو داود رقم (٤٧٦٣) في السنة ، والترمذي رقم (٣٦١٥) في المناقب .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٣٥٣٥) في المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ ، ومسلم رقم (٢٢٨٦) في الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٢٩٧٧) في الجهاد ، باب قول النبي ﷺ : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، ومسلم رقم (٥٢٣) في المساجد في فاتحته ، والترمذي رقم (١٥٥٣) في السير ، والنسائي (٦/ ٣،٤) في الجهاد .

حدث للأمة ؟!!

فإن الأمة لم تعرف قدر نبيها إلا من رحم الله ، ولم تعظم رسولها بل وقد أساءت الأدب مع رسول الله ﷺ . فهجرت الأمة شريعته ، وَنَحَّت الأمة سنته ، ولم تعد الأمة تجيد إلا أن تتغنى برسول الله ﷺ في ليلة مولد ، في ليلة هجرة ، في ليلة نصف من شعبان !!

فالأمة الآن ما عادت تجيد إلا الرقص والغناء ، إنها عشقت الهزل وتركت الجد والرجولة ، أمة تدعي الحب لرسول الله وتتغنى برسولها في المناسبات والأعياد الوطنية في الوقت الذي نحت فيه شريعته وهجرت فيه سنته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أحبتي في الله :

الشمس فوق الرؤوس ، الزحام وحده يخنق الأنفاس ، البشرية كلها في أرض المحشر من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة ، في هذا الموقف الرهيب المهيب .

المصطفى ﷺ واقف على حوضه ، والحوض ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل ، وأطيب ريحًا من المسك ، عدد كيزانه بعدد نجوم السماء ، من شرب منه بيد الحبيب شربة لا يظمأ بعدها أبدًا[1] حتى يتمتع

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٧٩) في الرقاق ، باب حوض النبي ، ومسلم رقم (٢٢٩٢) في الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ .

بالنظر إلى وجه الملك في جنات النعيم .

اللهم اسقنا منه شربة هنيئةً مريئةً لا نظمأ بعدها أبدا يا أرحم الراحمين .

روى البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي يقول النبي ﷺ : « **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَمَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَى الحَوْضِ قَوْمٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ** » وفي لفظ في الصحيح « **ثُمَّ يَخْتَلِجُونَ دُونِي** » **فَأَقُولُ : إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي . إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي . فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي** »[1].

ومعنى ذلك أن اتباع نهج المصطفى ﷺ هو سبيل الفوز والنجاة .

انظر إلى الموحدين الذين امتثلوا أمر النبي ﷺ ، ونهيه ، وتعلم كيف كانوا حتى في آخر لحظات لهم في هذه الدنيا .

فهذا معاذ بن جبل على فراش الموت نائم ، يدخل عليه الليل ويشتد به الألم فينظر لأصحابه ويقول : هل أصبح النهار ؟! فيقولون : لا لم يصبح بعد ، فيبكي معاذ بن جبل ويقول : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار .

معاذ بن جبل يخشى أن يكون من أهل النار !!!

وهذا هو فاروق الأمة الأواب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٥٧٦) في الرقاق ، باب في الحوض ، ومسلم رقم (٢٣٠٤) في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ .

أجرى الله الحق على لسانه وقلبه ، يدخل عليه ابن عباس بعدما طُعِن ليذكره وليثني عليه الخير كله فيقول عمر : إن المغرور من غررتموه ، والله لو أن لي ملأ الأرض ذهبًا لافتديت به اليوم من عذاب الله قبل أن أراه .

ثم قال عمر : وددت أن أخرج من الدنيا كفافًا لا لي ولا عليّ . سبحان الله !!

وهذه هي عائشة تسأل عن قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣٢]

فتقول عائشة : يا بني أما السابق بالخيرات فهؤلاء الذين ماتوا مع رسول الله ﷺ وشهد لهم رسول الله بالجنة ، وأما المقتصد فهؤلاء الذين اتبعوا أثر رسول الله ﷺ حتى ماتوا على ذلك وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلك .

الله أكبر !! جعلت عائشة نفسها معنا . جعلت عائشة نفسها من الظالمين لأنفسهم !!!

وهذا هو سفيان الثوري - إمام الدنيا في الحديث - ينام على فراش الموت فيدخل عليه حماد بن سلمة فيقول : أبشر يا أبا عبد الله إنك مقبل على ما كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين .

فبكى سفيان وقال : أسألك بالله يا حماد أتظن أن مثلى ينجو من

النار ؟!! انظر كيف كانوا ؟! وماذا قالوا ؟ انظر إلينا كيف أصبحنا ؟! وماذا نقول ؟!

شتان .. شتان ، نحن جميعًا نقول من منا لا يدخل الجنة ؟!! من منا لا يشفع له رسول الله ﷺ ؟!!

ها هو الحديث في البخاري يبين فيه الحبيب النبي ﷺ أنه سيحال بينه وبين أقوام حرَّفوا وبدَّلوا وانحرفوا عن سنته ﷺ .

أسأل الله العظيم أن يغفر لنا ويرحمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى أصحابه ، وأحبابه ، وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

ثانيًا : من أسعد الناس بشفاعة المصطفى ﷺ يوم القيامة

هذا هو عنصرنا الأخير في هذا اليوم الكريم المبارك .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٣١]

ليقف كل مسلم صادق مع نفسه سائلًا : هل امتثلت أمر الرسول ﷺ ؟

هل اجتنبت نهيه ؟! هل ارتبط اللسان بالجنان والجوارح ؟!

هل التزمت بهدى النبي ﷺ في شتى الأمور بحب واتباع وإخلاص !!

مَـن يَدَّعِ حُـبَّ النَّبي وَلَـمْ يُفِدْ مَنْ هَدْيِهِ فَسَفَاهَةٌ وَهُرَاءُ

فَالحُبُّ أَوَّلُ شَرْطِهِ وَفُرُوضِهِ إِنْ كَانَ صَادِقًا طَاعَـةٌ وَوَفَاءُ

أخي في الله : من أسعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة ؟

والجواب مباشرة من صحيح البخاري : قال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة يا رسول الله ؟ فقال المصطفى ﷺ « **لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا السُّؤَالِ أَحَدٌ قَبْلَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ** »[1].

وفى رواية ابن حبان « **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِه يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ، وَيُصَدِّقُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ** ».

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا** »[2] .

إذًا حتى يشفع لك رسول الله ﷺ يوم القيامة يجب توفر شرطًا هاما جدا

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٩٩) في العلم ، باب الحرص على الحديث .

(٢) سبق تخريجه .

هذا الشرط أن تحقق التوحيد . أن تقول كلمة التوحيد خالصة من قلبك .

فمن الناس الآن من يردد هذه الكلمة بلسانه ولا يدري ما يقول ، ومن الناس من لم يخلص العبادة لله جَلَّ وَعَلَا ، بل راح يصرف العبادة لغير الله .

فهو لا يعرف لكلمة التوحيد معنى ، ولا يقف لها على مضمون ، ولا يعرف لها مقتضى .

ومن الناس من يردد بلسانه لا إله إلا الله وقد انطلق حرا طليقًا ليختار لنفسه من المناهج الأرضية والقوانين الوضعية الفاجرة ما يوافق هواه .

ومن الناس من ينطق بالكلمة ولا يتبع منهج الحبيب محمد ﷺ !!

ومن الناس من يردد كلمة لا إله إلا الله وهو لم يحقق الولاء والبراء !!

ومن الناس من يردد بلسانه كلمة لا إله إلا الله وقد ترك الصلاة وضيع الزكاة وضيع الحج مع قدرته واستطاعته ، وأكل الربا ، وشرب الخمر ، وأكل أموال اليتامى ، يسمع الأمر فيهز كتفه في سخرية و كأن الأمر لا يعنيه ، يسمع المواعظ فيهزأ وكأن الأمر لا يعنيه!!

فلابد من إخلاص التوحيد ، كلمة التوحيد ليست مجرد كلمة يرددها الإنسان بلسانه وفقط ، بل إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان .

ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قُبِلَ منه . ومن قال خيرًا

وعمل شرا لم يُقْبَل منه .

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارُ حَق أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ** »[1] .

وفى رواية عتبان بن مالك : « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ** » .

والله لن يسعد بشفاعة المصطفى ﷺ إلا من أخلص التوحيد للعزيز الحميد واتبع المصطفى ﷺ وأخلص له الاتباع .

ففي الحديث الذي رواه مسلم والترمذي واللفظ للترمذي من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى في الحديث القدسي : « **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكَ بِي**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٤٣٥) في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْعَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٤٠) في الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[١].

إنه التوحيد .. فأسعد الناس بشفاعة الحبيب النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه ، فكلمة التوحيد قد قيدت بشروط ثقال عند قبولها من الملك المتعال .

فهي شجرة طيبة جذورها **الحب والإخلاص** وساقها **اليقين والقبول** وأوراقها **الانقياد** ومن غير الماء والضوء لا تعيش ، **فالعلم** لها ضوء **والصدق** لها ماء .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

.... الدعـــــاء

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٣٥٣٤) في الدعوات ، باب رقم (١٠٦) ، وحسنه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٢٧) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٤٣٣٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجيء الرب جل جلاله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾
[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

هذا هـو لقاؤنا الثاني عشر من لقـاءات هذه السلسلة الكريمة المبـاركة في رحاب الدار الآخرة ، وكنا قد توقفنا في اللقاء السابق مع البشرية كلها ، وهي في أرض المحشر وقد أصابها من الكرب ، والهم ، والغم مالا يستطيع بليغ على وجه الأرض أن يجسده ، الشمس فوق الرؤوس تكاد تذيب الجماجم بل والعظام ، والزحام وحده يكاد يخنق الأنفاس ، فالبشرية كلها منذ أن خلق الله آدم إلى آخر رجل قامت علية الساعة تقف في موقف واحد في أرض واحدة .

العرق يكاد يغرق الناس كلٌّ بحسب عمله في عرقه ، والأهوال تزداد شدة عندما يُؤْتَى بجهنم لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، يُؤْتَى بها إلى أرض المحشر ، فإذا ما رأت جهنم الخلائق زفرت وزمجرت غضبًا منها لغضب ربها جَلَّ وَعَلَا ، حينئذ تجثو جميع الأمم على الركب من هول الموقف ، بل ولا يتكلم يومها إلا الأنبياء ودعوتهم يومئذ اللهم سلم سلم !! اللهم سلم سلم !!

ويزداد الكرب والهم على الخلق فيقول بعضهم لبعض : ألا ترون ما نحن فيه ، ألا ترون ما قد بلغنا ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ، ويذهبون إلى صفوة الله من خلقه إلى الأنبياء والمرسلين فيقول كل نبي : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ،

ثم يقول كل نبي : نفسي ، نفسي ، نفسي !! إلا المصطفى ﷺ محمد بن عبد الله إنه التجارة الرابحة .. إنه صفوة الله من خلقه .. ، وأكرم الخلق على الله .

يقول الحبيب : فيأتوني فيقولون : يا رسول الله ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ! ألا ترى ما قد بلغنا ؟ ! ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ !

فأقوم وأقول : أنا لها ، أنا لها ، ويخر ساجدًا تحت عرش الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ ويثنى على الله سبحانه وتعالى بمحامد لم يفتح الله بها على أحد من قبله فينادي عليه ربه ويقول : يا محمد ارفع رأسك وسل تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فيقول المصطفى ﷺ : يا رب .. أمتي . أمتي . أمتي .

وفي حديث الصور الطويل الذي خرجناه في اللقاء الماضي مع حديث الشفاعة الذي ذكرت الآن ، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه المصطفى ما شأنك ؟ وهو أعلم ، فيقول الحبيب ﷺ : يا رب قد وعدتني الشفاعة . فشفعني في خلقك ، فأقضي بينهم ، فيقول الله جَلَّ جَلَالُهُ : قد شفعتك ، أنا أتيكم لأقضي بينكم . فيرجع الحبيب المصطفى ﷺ ليقف مع الناس في أرض المحشر لينظروا جميعًا مجيء الرب جَلَّ جَلَالُهُ لفصل القضاء بين العباد

وهذا هو لقاؤنا مع حضراتكم في هذا اليوم المبارك ، وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في العناصر التالية .

أولًا : مجيء الرب جَلَّ جَلَالُهُ .

ثانيًا : أول من يكلمهم الله يوم القيامة .

ثالثًا : العرض على الله جَلَّ وَعَلَا وأخذ الكتب .

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذه الكلمات تكاد تخلع القلوب ورب الكعبة .

أولاً : مجيء الرب جل جلاله

أحبتي في الله :

هل منكم من أحد قد حضر يومًا محكمة من محاكم الدنيا ؟ !

يوم يأتي بالمتهمين ليقفوا وراء هذا القفص الحديدي وفجأة وقد امتلأت قاعة المحكمة بأهل المتهمين وبالمحامين ، يدخل القضاة ليجلسوا على منصة القضاء ويصرخ الحاجب « **محكمة** » فَتَصْمُت الأنفاس ، وتتقطع وتكاد القلوب أن تقفز من الصدور ، ويبدأ المحامون في المرافعات ، والمجادلات والمعازير وتسمع هيئة القضاء ، ويردون ، ويترافعون ، ويتناقشون ثم يسدل الستار على هيئة القضاء ليتناقش القضاة في إبرام الحكم وفى النطق به ، وفي المرة الثانية يدخل القضاة ليصدروا الحكم في هذه القضية .

أسألك بالله انظر إلى وجوه الناس في قاعة المحكمة .

العيون تبكى .. والقلوب تكاد تقفز من الصدور .. والأنفاس متقطعة الكلام همس .. والسؤال تخافت .. الكل ينظر بأي شيء سيحكم ؟!! وما الذي سينطق به القاضي ؟! وهو العبد الحقير الفقير إلى الله الملك القدير .

تصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلب بل تكاد القلوب أن تقفز إلى الحناجر لتقف على حجم الهول والخلق جميعًا في أرض المحشر ومن بينهم **الأنبياء يقفون وينظرون إلى السماء وهم ينظرون مجيء الملك العدل جَلَّ جَلَالُهُ .**

يقول الحق جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه : ١٠٨ - ١١١]

تنشق السماء وينزل أهل السماء الأولى من الملائكة بضعف من في الأرض من الإنس والجن .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾

[الفرقان : ٢٥]

يقول ابن عباس : ينزل أهل السماء الأولى من الملائكة بضعف من في

الأرض من الجن والإنس فتحيط الملائكة بالخلائق في أرض المحشر ، فإذا ما نظرت الخلائق إلى الملائكة قالوا : أفيكم ربنا ؟! فتقول الملائكة : لا وهو آت .

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠]

ويقول الحق سبحانه : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر : ٢٢ - ٢٦]

اللهم سلِّمْ سلِّمْ .. اللهم سلِّمْ سلِّمْ يا أرحم الراحمين .

يأتي الحق جَلَّ وَعَلَا إتيانًا يليق بكماله وجلاله .

لا تعطل صفة المجيء ولا تكيف صفة المجيء ، ولا تشبه صفة المجيء ، ولا تشبه الله بأحد من خلقه ، فكل ما دار ببالك ، فالله بخلاف ذلك .

جَلَّ ربنا عن الشبيه والنظير وعن المثيل ، لا ند له ، ولا كفء له ، ولا شبيه له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [سورة الإخلاص]

قال جَلَّ جَلَالَه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥]

استوى كما أخبر وعلى الوجه الذي أراد وبالمعنى الذي قال . استواءً منزهًا عن الحلول والانتقال .

فَلَا العَرْشُ يَحْمِلُهُ وَلَا الكُرْسِيُّ يُسْنِدُهُ
بَلْ العَرْشُ وَحَمَلَتُهُ وَالكُرْسِيُّ وَعَظَمَتُهُ
الكُلُّ مَحْمُولٌ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ
مَقْهُورٌ بِجَلَالِ قَبْضَتِهِ

.. سبحانه وتعالى . فالاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

قال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

[الشورى : ١١]

قال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : - ١١٠]

قال جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل : ٧٤]

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠]

ثم يتنزل أهل السماء الثانية من الملائكة بضعف من في الأرض من ملائكة السماء الأولى والجن والإنس فيحيط أهل السماء الثانية بأهل الأرض من الملائكة والإنس والجن .

وهكذا أهل السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة على قدر ذلك من التضعيف .

ثم يتنزل حملة عرش الملك جَلَّ وَعَلَا وهم يحملون العرش يسبحون

الله سبحانه ويقولون : سبحان ذي الملك والملكوت .. سبحان ذي العزة والجبروت .. سبحان من كتب الموت على الخلائق ولا يموت . سبوح قدوس .. قدوس .. قدوس .. رب الملائكة والروح .

اسمع لربك جَلَّ وَعَلَا وهو يقول : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

[الحاقة : ١٣ - ١٨]

ويضع الحق جَلَّ جَلَالُهُ كرسيه حيث شاء من أرضه ويقول : يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت إليكم منذ خلقتكم ، أسمع قولكم ، وأرى أعمالكم ، فأنصتوا اليوم إليّ ، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تُقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ثم يقول الحق جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٠ - ٦٥]

أتدرون من هم أول من يكلمهم الله في هذا الموقف العصيب ؟ !!

هذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء .

ثانيًا : أول من يكلمهم الله جَلَّ وَعَلَا

أول من يكلمه الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة في هذا الموقف العصيب هو آدم ﷺ ينادى عليه الحق سبحانه كما ثبت في الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدري ﷺ أن المصطفى ﷺ قال : « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : يَا آدَمُ فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ ! وَسَعْدَيْكَ ! وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ! فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ! أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ فَيَقُولُ آدَمُ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتَسْعَة وَتِسْعِينَ ، قَالَ : فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ** ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ » فاشتد ذلك على أصحاب الحبيب محمد ﷺ فقالوا : يا رسول الله ! أينا ذلك الرجل فقال المصطفى ﷺ : « **أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعِمَائَةٍ وَتَسْعَةٍ وَتِسْعِينَ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ** » ثم قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعُ أَهْلِ الجَنَّةِ** » فحمدنا الله وكبرنا ثم قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ** » فحمدنا الله وكبرنا ثم قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ**

فِي ذِرَاعِ الحِمَارِ »[١].

قال الله سبحانه وتعالى مخاطبًا أمة المصطفى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . اللهم لك الحمد يا من خلقتنا مَوحدين وجعلتنا من أمة سيد النبيين .

ثم بعد ذلك ينادي رب العزة تبارك وتعالى : يا نوح .. يقول : لبيك وسعديك ، فيقول الله سبحانه هل بلغت قومك ؟ ! فيقول نوح : نعم يا رب والله أعلم ، فيقول الحق جَلَّ جَلَالُهُ : يا قوم نوح هل بلغكم نوح ؟! فيقولون : لا ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد ، فيقول من يشهد لك يا نوح ؟!! فيقول نوح : محمد وأمته !

« **فَتُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ أُمَّتَهُ ثُمَّ أُدْعَى فَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ** »[٢] وفى لفظ ابن ماجة بسند صححه شيخنا الألباني ، يقول المصطفى ﷺ : فيقول الله لأمتي : ما الذي أخبركم أن نوح قد بلغ قومه ؟!

فتقول الأمة الميمونة لربها جَلَّ وَعَلَا : جاءنا نبينا محمد ﷺ فأخبرنا أن الرسل جميعًا قد بلَّغوا قومهم فصدقناه .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٣٠) في الرقاق باب قوله ﷻ ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٢٢) في الإيمان ، باب قوله (يقول الله لآدم : أخرج ..) واللفظ له .

(٢) صحيح : رواه البخاري رقم (٤٤٨٧) في التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ، والترمذي رقم (٢٩٦٥) في التفسير ، باب ومن سورة البقرة .

يقول المصطفى ﷺ فذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة - ١٤٣]

ثم يدعى عيسى ﷺ ويقال له يا عيسى : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ١١٦]

لماذا خص الله عيسى من بين سائر الرسل بهذا السؤال ؟!!

لأنه ما من رسول بعث في قومه إلا وقد آمن به من آمن من قومه ، وكفر من كفر ، إلا قوم عيسى فمنهم من قال : إن عيسى هو الله !! ومنهم من قال أن عيسى هو ابن الله !! ومنهم من جعل عيسى وأمه إلهين من دون الله !!

فهل هناك إله يأكل ؟! إله يشرب ؟! إله يتزوج ؟! إله يقضي حاجته؟!! ولله در ابن القيم يقول :

يَا عُبَّادَ المَسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ ... نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ
إِذَا مَاتَ الإِلَهُ بِصُنْعِ قَوْمٍ ... أَمَاتُوهُ فَهَلْ هَذَا إِلَهُ ؟!
وَيَا عَجَبًا لِقَبْرٍ ضَمَّ رَبًّا ... وَأَعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قَدْ حَوَاهُ
أَقَامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُورٍ ... لَدَى الظُّلُمَاتِ مِنْ حيضٍ غَزَاهُ
وَشَقَّ الفَرْجَ مَوْلُودًا صَغِيرًا ... ضَعِيفًا فَاتِحًا لِلثَّدْيِ فَاهُ
وَيَأْكُلُ ثُمَّ يَشْرَبُ ثُمَّ يَأْتِي ... بِلاَزِمِ ذَاكَ فَهَلْ هَذَا إِلَهُ ؟!
تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَارَى ... سَيُسْأَلُوا كُلُّهُمْ عَمَا افْتَرَاهُ

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : ١١٦ - ١١٧]

ثم يقول عيسى ﷺ لربه الرحمن : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨]

فيرد الله جَلَّ وَعَلَا على عبده المصطفى ونبيه عيسى ﷺ يقول : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩]

ثم يُدعى جميع الرسل ، قال تعالى : ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١٠٩]

واسمع لله جَلَّ وَعَلَا وهو يقول : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]

يجمع الله سبحانه وتعالى الرسل بجلال العبودية بل وجلال العبودية في جواب الرسل على الله جَلَّ جَلَالُهُ وهم يقولون : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

أيها الأخيار : يسأل الرسل والملائكة بل والأنبياء بل والشهداء ؟ فهل نُترك بعد هؤلاء ؟!!

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨ - ٧٠]

ويبدأ العرض على الله جَلَّ وَعَلَا وكيف يبدأ الحساب ؟

هذا ما سوف نتعرف عليه بإيجاز بعد جلسة الاستراحة

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى أصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين ، أما بعد .

ثالثًا : العرض على الله جَلَّ وَعَلَا وأخذ الكتب

أيها الأحبة الكرام :

بعد ذلك يبدأ الحساب وسنقف مع الحساب وقفات ، فالحساب يبدأ بالعرض على الله جَلَّ جَلَالُهُ بالوقوف بين يدي الحق الملك العدل سبحانه فأنت في أرضَ المحشر ستستمع إلى نداء الملائكة : أين فلان بن فلان ؟ هذا هو اسمي .. ماذا تريدون يا ملائكة الله ؟!

أقبل للعرض على الله جَلَّ وَعَلَا !!

وقد وكلت الملائكة بأخذك ، وسوقك في أرض المحشر على رؤوس الأشهاد ، والخلائق كلها تنظر إليك ، فيقرع النداء قلبك ويصفر وجهك وترتعد فرائصك وتضطرب جوارحك وترى نفسك بين يدي الحق جل جلاله ليكلمك ليس بينك وبينه ترجمان كما في الصحيحين من حديث عدى بن حاتم أنه ﷺ قال : « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ** - أي عن يمينه - **فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ** - أي في هذه الحياة الدنيا - **وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ** - أي عن شماله - **فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** »[1] أي ولو بنصف تمره تتصدقون بها إلى الله جَلَّ وَعَلَا .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٥١٢) في التوحيد ، باب كلام الرب ﷻ ، ومسلم رقم =

يقرع النداء القلب ويأمر الله تبارك وتعالى بالصحف وبالكتب فيأخذ كل إنسان صحيفته .

تلك الصحيفة التي لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها . فكم من معصية قد كنت نسيتها .. ذكرك الله إياها . وكم من مصيبة قد كنت أخفيتها .. أظهرها الله لك وأبداها .. فيا حسرة القلب ساعتها على ما فرطنا في دنيانا من طاعة مولانا .

اسمع لربك جَلَّ وَعَلَا ، وهو يقول : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[الكهف : ٤٧ - ٤٩]

أيها المسلم :

تَذَكَّرْ وُقُوفَكَ يَوْمَ العَرْضِ عُرْيَانَا ... مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأَحْشَاء حَيْرَانَا

وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ ... عَلَى العُصَاةِ وَرَبُّ العَرْشِ غَضْبَانَا

اقْـرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْــدُ عَلَى مَهَلٍ ... فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا

= (١٠١٦) في الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفه القيامة .

فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَــمْ تُنْكِرْ قِرَاءَتَهُ ... إِقْرَارَ مَنْ عَرفَ الأَشْيَاءَ عِرْفَانَا
نَادَى الجَلِيلُ خُذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي ... وَامْضُوا بِعَبْدٍ عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا
المُشْرِكُونَ غَـدًا فِي النَّارِ يَلْتَهِبُوا ... وَالمُـؤْمِنُونَ بِـدَارِ الخُلْـدِ سُكَّانَا

أقف عند هذا القدر مع - العرض على الله جَلَّ وَعَلَا - لنواصل الحديث إن قدر الله لنا البقاء واللقاء لنتعرف على :

كيفية العرض ؟ ، كيفية الحساب ؟! كيف يحاسب الله المؤمن يوم القيامة ؟! وكيف يقرأ المؤمن كتابه ؟! وهل تظهر الحسنات أولًا أم تظهر السيئات ؟! وما الذي يقوله الله للمؤمن ؟! وكيف يحاسب الله الكافر يوم القيامة ؟! وكيف يقرأ الكافر صحيفته وكتابه ؟!

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

..... الدعـــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الحساب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الثالث عشر من لقاءات هذه السلسلة الكريمة المباركة في رحاب الدار الآخرة، وكنا قد توقفنا في اللقاء السابق مع هذا المشهد المهيب الكريم حين يأتي الملك الحق جَلَا جَلَالُهُ إلى أرض المحشر إتيانًا يليق بكماله وجلاله مصداقًا لقوله سبحانه ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾

[البقرة : ٢١٠]

وهنا يبدأ الحساب للعباد ، وهذا هو لقاؤنا اليوم مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك وحتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعا فسوف ينتظم حديثنا في العناصر التالية :-

أولًا : لا ظلم اليوم .

ثانيًا : العرض على الله وأخذ الكتب .

ثالثًا : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

فأعيروني القلوب والأسماع . والله أسال أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه حليم كريم رحيم .

أولا : لا ظلم اليـوم

أيها الأحباب الكرام : والله لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، فهم عبيده في ملكه ، فالمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء ، ولكنه برحمته سبحانه وتعالى وكرمه وحنانه ولطفه بعبيده قد حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] .

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٣١] .

وقال أيضًا في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر عن الحبيب النبي ﷺ عن رب العزة قال تعالى : « **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا** »[1].

فالله جَلَّ وَعَلَا عدل ، لطيف ، حليم ، كريم لا يظلم أحدًا من خلقه ،

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامة .

ولا يظلم أحدًا من عباده ، ولذا فإن الله جَلَّ وَعَلَا يحاسب العباد يوم القيامة وفقًا للقواعد التالية : -

القاعدة الأولى : العدل التام الذي لا يشوبه أي ظلم .

قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

[الأنبياء : ٤٧]

اعلم أنك لن تعرض على محكمة كمحاكم الدنيا ففي محاكم الدنيا قد يجيد الخصومُ التزويرَ والتحريفَ ولكن اعلم بأن الذي سيتولى محاكمتك يوم القيامة هو الله الذي قال : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ١٩ - ٢٠] .

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٧ - ٤٩]

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] .

فالمقصود : أن عمل ابن آدم كله محفوظ ومسطور في كتاب عند الله جَلَّ وَعَلَا لا يضل ربي ولا ينسى ، واعلم علم اليقين أن ما نسيه الإنسان لا ينساه الرحمن .

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ
وَالرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يُذْهَبُ
اللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهِمَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠]

القاعدة الثانية : أن لا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أخرى

قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

[الإسراء : ١٣ - ١٥]

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم : ٣٦-٤١]

فلا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى ، بل سيمر الولد يوم القيامة على والده فيقول له والده : أي بني أنا أبوك ! اعطني حسنةً من حسناتك فلقد كنت لك نِعْمَ الأب فيقول الابن لأبيه : نفسي ! ويقول الابن لأمه: نفسي .

وكيف لا ؟!! وقد قال كل نبي من الأنبياء نفسي ، نفسي ، نفسي . إِلَّا الحبيب المحبوب محمد ﷺ .

القاعدة الثالثة : إعذار الله لخلقه

إن الله سبحانه يعلم عمل العباد من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة ، ومع ذلك من عظيم عدله وفضله وكرمه ، أن يعرض على العباد أعمالهم يوم القيامة حتى لا يكون لأحد عذر بين يديه .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠]

وقال سبحانه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٤]

وقال سبحانه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار : ٥]

القاعدة الرابعة : إقامة الشهود على العباد يوم القيامة

وإن أعظم شهيد على العباد يوم القيامة هو الملك الذي يعلم السر وأخفى وعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٣٣]

ثم تأتى الرسل وتشهد على جميع الأمم ثم تأتي أمة الحبيب لتشهد على جميع الأمم ، يشهد كل رسول على أمته وتأتي أمة المحبوب ﷺ لتشهد على جميع الأمم ثم يأتي خير الأولين والأخرين ليشهد على الجميع .

الله أكبر!! الله أكبر !!

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]

وقال الملك لحبيبه المصطفى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١]

وفى صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : يَا نُوحُ ، فَيَقُولُ نَوحٌ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ اللهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟!! فَيَقُولُ نَوحٌ : نَعَمْ يَا رَبِّ فَيُدْعَى قَوْمُ نُوحٍ وَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُم نُوحٌ : فَيَقُولُونَ : لَا مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ . فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : مَنْ يَشْهَد لَكَ يَا نُوحُ ؟! فَيَقُولُ نُوحٌ : يَشْهَدُ**

لِي مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، يَقُولُ الْمُصْطَفَى ﷺ : فَتُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ لَهُ ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ فَكَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] [البقرة : ١٤٣]

ثم تشهد الملائكة ، قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١]

ثم تشهد الأرض بما عمل على ظهرها من طاعات وسيئات ففي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي من حديث أبى هريرة أنه ﷺ « قَرَأَ يَوْمًا قَوْلَ اللهِ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ » [الزلزلة : ٤] قال المصطفى ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : « أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ الأَرْضُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا فَتَقُولُ : يَا رَبِّ لَقَدْ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فَهَذَا أَخْبَارُهَا »[2].

فيجادل العبد اللئيم ربه الكريم ويقول يا رب أنا أرفض هذه الشهادة وأرفض هؤلاء الشهود ولا أقبل شاهدًا إِلَّا من نفسي .

كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أنس ﷺ قال :

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٤٤٨٧) في التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. والترمذي رقم (٢٩٦٥) في التفسير ، باب ومن سورة البقرة .

(٢) صحيح : رواه الترمذي رقم (٣٣٥٠) في التفسير ، باب ومن سورة إذا زلزلت .

كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟** » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ يَقُولُ : بَلَى ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي لَا أُجِيزُ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي شَاهِدًا إِلَّا مِنِّي ، فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا ، بِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ شُهُودًا ، قَالَ : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ ، وَيَقُولُ لِأَرْكَانِهِ : انْطِقِي بِأَعْمَالِهِ ، ثُمَّ يُخْلِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ ، فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحقًا ، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** »[1].

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت : ١٩-٢٤]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٦٩) في الزهد .

القاعدة الخامسة : مضاعفة الحسنات لأهل الإيمان

مضاعفة الحسنات لأهل التوحيد والإيمان ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١]

فالله سبحانه وتعالى يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها .

قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠]

ويقول المصطفى ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، وحسن الحديث شيخنا الألباني من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى في الحديث القدسي « **الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالها أَوْ أَزِيدُ وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ أَوْ أَغْفِرُهَا** »[١] .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ ﴿ ألم ﴾ حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ** »[٢] .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٦٨٧) كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء وابن ماجة رقم (٣٨٢١) في الأدب وهو في المسند رقم (٢١٢١٢) واللفظ له .

(٢) صحيح : رواه الترمذي رقم (٢٩١٢) في ثواب القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر وصححه شيخنا الألباني في المشكاة (٢١٣٧) وهو في صحيح الجامع برقم (٦٤٦٩) .

تدبر معي أيها الحبيب الكريم بل قد يضاعف الله الحسنة إلى أكثر من سبعمائة ضعف فذلك قول الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١]

وهناك من الأعمال ما لا يعلم ثوابها إلا الله .

قال تعالى في الحديث القدسي المخرج في الصحيحين : قال ﷺ : قال الله تعالى : ((**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**))[1] .

ولك أن تتصور الجزاء من الواسع الكريم جَلَّ جَلَالُهُ على الصبر .

قال الله فيه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠]

القاعدة السادسة والأخيرة : تبديل السيئات حسنات

إن الله تبارك وتعالى بمنه وكرمه على عباده المؤمنين يبدل سيئاتهم حسنات قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١٨٩٤) في الصوم ، باب فضل الصوم ، ومسلم رقم (١١٥١) في الصيام ، باب حفظ اللسان ، وباب فضل الصيام ، والموطأ (١/ ٣١٠) في الصيام ، وأبو داود رقم (٢٣٦٣) في الصوم ، والترمذي رقم (٧٦٤) في الصوم ، والنسائي (٤/ ١٦٢ ، ١٦٥) في الصوم .

وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠]

وفى الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي ذر ﷺ أنه قال حدثنا الصادق المصدوق ﷺ فقال : « **إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةِ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا ، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ : اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارِ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ** » .

وفي هذه الحالة الرهيبة من الرعب والفزع يقال له : « **إِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً فَيَقُولُ العَبْدُ : رَبِّي قَدْ عَمِلْتَ أَشْيَاءً لَا أَرَاهَا هَا هُنَا** » قَالَ أبو ذر فلقد رأيت النبي ضحك حتى بدت نواجزه ﷺ [١] .

هذا فضل الله جَلَّ وَعَلَا على عباده المؤمنين .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١٩٠) في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم (٢٥٩٩) في صفة الجنة ، باب رقم (١٠) .

أحبتي في الله :

هذه هي القواعد التي يحاسِبُ اللهُ بها العبدَ يوم القيامة .

ثانيًا : العرض على الله وأخذ الكتب

فقد سجل الله في قرآنه العظيم ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢١ - ٢٩]

وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه ﷺ قال : « **مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبْ** » قالت عائشة يا رسول الله أو ليس الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٧ - ٨]

فقال المصطفى ﷺ : « **إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ**

إِلَّا هَلَكَ »[١] . فمن نوقش الحساب عذب .

سينادى عليك كما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم أنه ﷺ قال : « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ** - أي عن يمينه - **فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ** - أي في هذه الحياة الدنيا - **وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ** - أي عن شماله - **فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** »[٢] .

تنادي الملائكة أين فلان بن فلان ؟!! من؟!! هذا هو اسمي .

فإذا تَيَقَّنْتَ أنك أنت المطلوب،قرع النداء قلبك فاصفر لونك وتغير وجهك وطار قلبك ، وقد وُكّلَت الملائكة بأخذك أمام الخلق أجمعين ، على رؤوس الأشهاد ، ويرفع الخلائق جميعًا أبصارهم إليك وأنت في طريقك للوقوف بين يدي الملك تتخطى الصفوف يا عبد الله .

وأسألك بالله أن تتصور هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٠٣) في العلم ،باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه ، ومسلم رقم (٢٨٧٦) في الجنة باب إثبات الحساب ، وأبو داود رقم (٣٠٩٣) فى الجنائز، باب عيادة النساء ، والترمذي رقم (٢٤٢٨) في صفة القيامة ، باب من نوقش الحساب عذب .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٥١٢) في التوحيد ، باب كلام الرب ﷻ ومسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة .

تتخطى صفوف الملائكة ، صفوف الجن وصفوف الإنس ، في أرض المحشر لترى نفسك واقفا بين يدي الحق جل جلاله ليكلمك الله لتعطى صحيفتك !!

هذه الصحيفة التي لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها ، فكم من معصية قد كنت نسيتها ؟! ذكرك الله إياها ، وكم من معصية قد كنت أخفيتها ؟! أظهرها الله لك وأبداها!!!

فيا حسرة قلبك وقتها على ما فرطت في دنياك من طاعة مولاك ، فإن كان العبد من أهل السعادة ممن ﷺ في الدنيا والآخرة ـ اللـهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين ـ أعطاه الله كتابه بيمينه وأظهر له في ظاهر الكتاب الحسنات ، وفي باطنه السيئات فيأمر العبد أن يبدأ فيقرأ السيئات فيصفر لونه ويتغير وجه وترتعد فرائصه .

فإذا ما أنهى قراءة السيئات وجد في آخر الكتاب ، هذه سيئاتك قد غفرتها لك ، فيتهلل وجهه ويسعد سعادة لا يشقى بل لن يشقى بعدها أبدًا ويواصل القراءة حتى إذا ما وصل إلى آخر الكتاب قرأ الحسنات فازداد وجهه إشراقًا وازداد فرحًا وسرورًا وقال له الملك جَلَّ جَلَالُهُ : انطلق إلى أصحابك وإخوانك ـ أي من أهل التوحيد والإيمان - فبشرهم أن لهم مثل ما رأيت فينطلق وكتابه بيمينه والنور يشرق من وجهه ومن

أعضائه يقول لأصحابه وخلاّنه ألا تعرفونني ؟! فيقولون : من أنت لقد غمرتك كرامة الله؟!! فيقول : أنا فلان بن فلان انظروا هذا كتابي بيميني « اقرءوا كتابيه » اقرءوا هذا الكتاب معي ، شاركوني الفرحة والسعادة ، انظروا هذا توحيدي وهذه صلاتي ، وهذه زكاتي ، وهذه صدقتي ، وهذا حجى ، وهذا قيامي الليل ، وهذا إحساني ، وهذا بري بوالدي ، وهذا إحساني للأهل والجيران ، وهذا أمري بالمعروف ، وهذا نهيي عن المنكر ، وهذا بعدي عن الغيبة والنميمة ، وهذا بعدي عن ظلم العباد ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١٩-٢٤]

أما إذا كان من أهل الشقاوة - أعاذنا الله وإياكم من ذلك - ممن غضب الله عليهم في الدنيا والآخرة ، ينادي عليه أين فلان بن فلان؟!! وسبحان الله ! من لا تختلف عليه الأصوات ولا تشتبه عليه اللغات ولا تشتبه عليه الأسماء والصفات .

أين فلان بن فلان ؟! مَنْ .. هذا هو اسمي ماذا تريدون يا ملائكة اللـه؟!

هلم إلى العرض على الله جَلَّ وَعَلَا فيتخطى الصفوف ليرى نفسه بين يدي الله فيعطى كتابه بشماله أو من وراء ظهره .

فيقرأ فيسود وجهه ثم يُكسى من سرابيل القطران ويقال له انطلق إلى من هم على شاكلتك فبشرهم أن لهم مثل ما رأيت ، فينطلق في أرض المحشر وقد اسود وجهه وعلاه الخزي ، والذل والعار ، وكتابه بشماله أو من وراء ظهره فينطلق فيقول لخلانه ومن هم على شاكلته، ألا تعرفونني ؟! فيقولون : لا إلا أننا نرى ما بك من الخزي والذل فمن أنت ؟!!

فيقول : أنا فلان بن فلان وهذا كتابي بشمالي ولكل واحد منكم مثل هذا ، فلقد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا .

يصرخ بأعلى صوته ويقول : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة : ٢٥ - ٣٧]

ولله در القائل :

تَذَكَّرْ وُقُوفَكَ يَوْمَ العَرْضِ عُرْيَانَا ... مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الأَحْشَاء حَيْرَانَا

وَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ ... عَلَى العُصَاةِ وَرَبُّ العَرْشِ غَضْبَانَا

اقْـرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْـدُ عَلَى مَهَلٍ ... فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا

فَلَمَّا قَرَأْتَ وَلَـمْ تُنْكِرْ قَرَاءَتَهُ ... إِقْرَارَ مَنْ عَرِفَ الأَشْيَاءَ عِرْفَانَا

نَادَى الجَلِيلُ خُذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي ... وَامْضُوا بِعَبْدٍ عَصَى لِلنَّارِ عَطْشَانَا

المُشْرِكُونَ غَـدًا فِي النَّارِ يَلْتَهِبُوا ... وَالمُـؤْمِنُونَ بِـدَارِ الخُلْـدِ سُكَّانَا

وأخيرًا : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . وأرجئ الحديث إلى ما بعد جلسة الاستراحة .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه . اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه وكل من اقتفى أثره إلى يوم الدين ... **أما بعد :**

ثالثا : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

أيها الأحبة الكرام : هذه صورة مصغرة على قدر جهلي أقدمها لحضراتكم عن الحساب ، ولك أن تعيش بقلبك وكيانك كله هذا المشهد الذي يكاد يخلع القلوب ، فإنه لا يتأثر بموعظة ولا يستجيب لآية أو حديث إلا من كان له قلب .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

أيها الأخ الكريم حاسب نفسك قبل أن تحاسب بين يدي مولاك يوم لا ينفع الندم ولا التحسر .

روى الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : « أيها الناس حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يوم لا تخفى منكم خافية فإنما يخف الحساب يوم القيامة عمن حاسب نفسه في الدنيا » فحاسب نفسك واعلم بأن النفس أمارة بالسوء ولقد فصلت ذلك في خطبة كاملة لقد وصف الله النفس في القرآن بثلاث صفات ألا وهى المطمئنة واللَّوامة والأمَّارة بالسوء .

المطمئنة : هي التي اطمأنت إلى الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا . هي التي اطمأنت إلى وعد الله ووعيده . هي التي اطمأنت إلى

ذكر الله وعبوديته . هي التي تشتاق دومًا للقاء الله سبحانه .

اللوامة : هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر . تلوم صاحبها على الخير فتقول : لماذا لم تكثر منه ؟! وتلوم صاحبها على الشر فتقول : لماذا وقعت فيه ؟! لماذا تسوف التوبة ؟! لماذا تتأخر عن الصلاة في بيوت الله ؟! إلى متى وأنت على هذا الضلال والبدع ؟!

تلوم صاحبها على الخير والشر معًا .

أما النفس الأمارة بالسوء : فهي التي تريد أن تخرجك من طريق الهداية إلى الغواية ، من طريق النعيم إلى طريق الجحيم ، من طريق السُّنة إلى طريق البدعة . من طريق الحلال إلى طريق الحرام .

حيث قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف : ٥٣]

فهذه النفس إن لم تشغلها بطاعة الله شغلتك بالمعصية ، وإن لم تلجمها بلجام التقوى شغلتك بالباطل ، فالنفس كالطفل إن فطمت الطفل عن ثدي أمه انفطم ، كذلك النفس إن فطمتها عن معصية الله وألجمتها بلجام الطاعة والتقوى انقادت .

فإن زلت نفسك لبشريتك ولضعفك فلست ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا فسرعان ما يدفعك إيمانك وعلمك بنفسك الأمارة إلى التوبة والأوبة

والعودة إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ ، وأنت على كل حال من الأحوال على طريق طاعة الكبير المتعال ، وسيد الرجال محمد ﷺ .

فحاسب نفسك الآن أيها الحبيب قبل أي عمل وبعد أي عمل صغر أم كبر

قبل العمل : اسأل النفس : لماذا أذهب ؟ لماذا سأتكلم ؟ لماذا أصمت ؟ لماذا أحب ؟ لماذا أبغض ؟ لماذا أدخل ؟ لماذا أخرج ؟

وبعد العمل : هل كان العمل خالصًا لوجه الله ؟! هل كان العمل موافقًا لهدى المصطفى ﷺ ؟ العمل لابد أن يتحقق فيه شرطان . الشرط الأول : الإخلاص والشرط الثاني أن يكون العمل على هدى النبي محمد ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية طيَّب الله ثراه : إن دين الله الذي هو الإسلام مبنى على أصلين . الأول : أن تعبد الله وحده لا شريك له ، والأصل الثاني : أن يعبد بما شرعه على لسان رسوله وهذان الأصلان الكبيران هما حقيقة قولنا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ .

أيها المسلم : إن كنت تريد حسابًا يسيرًا فحاسب نفسك محاسبة الشريك الشحيح ، فقد قال ميمون بن مهران : « لا يبلغ العبد درجة التقوى إِلَّا إذا حاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح » .

إياك إياك أن تغتر بطاعة ، إياك إياك أن تغتر بعلم ، كن دائمًا على وَجَل فإن العبرة بالخواتيم .

فاسمع إلى من أضاءوا الدنيا بعلمهم وزهدهم وورعهم . هذه الصديقة بنت الصديق . عائشة الطاهرة المبرأة من السماء ، يسألها أحد المسلمين عن قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

[فاطر : ٣٢]

ما معناها يا أماه ؟ قالت الصديقة : يا بني أما السابق بالخيرات فقوم سبقوا مع رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة ، وأما المقتصد فقوم صاروا على دربه وماتوا على ذلك ، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك .

يا سبحان الله . عائشة تقول ذلك !! ونحن نقول ومن منا لا يدخل الجنة وإن لم ندخلها نحن فمن يدخلها !!

عائشة لا تغتر بنسبها ولا بزواجها من النبي ﷺ وهي التي بشرها النبي ﷺ بالجنة ، فهي تعرف حق المعرفة للنفس قدرها وخطرها .

وها هو فاروق الأمة الذي حاكى أخلاق النبوة في إمارته . عمر الفاروق ينام على فراش الموت بعدما طعن فيدخل عليه ابن عباس فيثني عليه الخير كله . فيقول عمر : والله إن المغرور من غررتموه وددت أن أخرج اليوم من الدنيا كفافًا لا ليّ ولا عليّ ، والله لو أن لي ملأ الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه .

وهذا هو معاذ بن جبل حبيب المصطفى ﷺ الذي قال له رسول الله ﷺ والله إني أحبك يا معاذ !! لقد نام على فراش الموت بعد ما أصيب بطاعون الشام فقال لأصحابه : انظروا هل أصبح الصباح ؟ هل أصبح الصباح ؟ ثم بكى معاذ وقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار .

وهذا هو سفيان الثوري إمام الورع والحديث ينام على فراش الموت فيدخل عليه حماد بن سلمة فيقول له أبشر يا أبا عبد الله ، إنك مُقْبِلٌ على من كنت ترجوه ، وهو أرحم الراحمين .

فبكى سفيان وقال : أسألك بالله يا حماد أتظن أن مثلي ينجو من النار؟!

فيا أيها المسلم لا تغتر بعلم ، ولا تغتر بعمل ، وكن دائمًا على وجلٍ . كما كان رسول الله ﷺ وهو النبي الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فحاسب نفسك قبل أي عمل وبعد أي عمل ، وحاسب نفسك على كل معصية ، وحاسب نفسك على كل تقصير ، وحاسب نفسك على كل تفريط .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : يا أبا حازم مالنا نحب الدنيا ونكره الآخرة ؟ فقال أبو حازم : لأنكم عَمَّرتُم دنياكم وَخَرَّبتُم أُخراكم وأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب .

فقال سليمان : فما لنا عند الله يا أبا حازم ؟

قال أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله لتعلم مالك عند الله .

فقال سليمان : وأين أجد ذلك في كتاب الله ؟

قال أبو حازم : عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٣ - ١٤]

قال سليمان أين رحمة الله؟

فقال أبو حازم : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[الأعراف : ٥٦]

قال:فكيف القدوم على الله غدًا ؟ قال أبو حازم : أما العبد المحسن فكالغائب يرجع إلى أهله ، وأما المسيئ فكالعبد الآبق يرجع إلى مولاه .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

... الدعـــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحساب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾
[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

هذا هو لقاؤنا الرابع عشر من لقاءات هذه السلسلة الكريمة المباركة ، في رحاب الدار الآخرة ، وكنا قد توقفنا في اللقاء السابق مع مشهد الحساب الرهيب المهيب ، فلقد تركنا العباد في أرض المحشر وقفوا صفوفًا ، ينتظر كل واحد منهم أن ينادى عليه للعرض على الرب جَلَّ في علاه ، ليحاسب الله عباده وفقًا لقواعد العدل التي ذكرناها وهي :

ألا تزر وازرةٌ وِزرَ أُخرى .

العدل التام الذي لا يشوبه شائبة ظلم .

إعذار الله جَلَّ وَعَلَا لخلقه .

إقامة الشهود .

مضاعفة الحسنات .

تبديل السيئات إلى حسنات .

وبعدها يبدأ الحساب ، فيا ترى من هي أول أمة سيحاسبها الله ؟ .. ومن هم أول من يقضى بينهم يوم القيامة ؟. وما هو أول ما يحاسب عليه العبد ؟.

والجواب على هذه الأسئلة هو ذات الموضوع الذي نحن بصدده ، فأعيروني القلوب والأسماع والله أسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه حليم كريم رحيم .

أولا : من هي أول أمة سيحاسبها الله جَلَّ علاه ؟

أيها الأحبة الكرام إن ذل القيام بين يدي الله في أرض المحشر لعظيم فالشمس فوق الرؤوس بمقدار ميل ... تكاد الرؤوس أن تنصهر من حرارتها... والبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة في صعيد واحد .. يكاد الزحام وحده يخنق الأنفاس ، والأعظم من ذلك هول ورهبة جهنم التي قد أُتِيَ بها في أرض المحشر لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، إذا رأت جهنم الخلائق ظفرت وزمجرت غضبًا منها لغضب الله جَلَّ وَعَلَا فعند ذلك ... تجثو جميع الأمم على الركب زعرًا وفزعًا منها .

قال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨]

في هذه اللحظات الرهيبة المهيبة التي تخلع القلوب من الصدور ينادى الله جل جلاله على أمة الحبيب المحبوب محمد ﷺ من بين سبعين أمة كلها واقفة في أرض المحشر في ذل وانكسار للملك الجبار .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة بسند صحيح من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : ((**نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ الأُمَمِ حِسَـابًا يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ : أَيْنَ الأُمة الأُمِّيَّةُ نَبِيُّهَا ؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ وَالأَوَّلُون**))(١) .

أمة النبي محمد ﷺ أُمّةٌ مرحومة ينادي عليها الله أول الأمم ليرحمها من ذل القيام بين يديه من هذا الموقف الرهيب في أرض المحشر بل وليكرمها على جميع الأمم .

ففي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي ورواه الإمام الترمذي وقال حديث حسن ، أن النبي ﷺ قال : ((**أَنْتُمْ مُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله جَلَّ وَعَلَا**))(٢) .

فأمة النبي ﷺ هي أشرف وأطهر وأكرم أمة على الله سبحانه ، ولم لا؟ ولم لا ؟! والرجل وحده في أمة النبي محمد ﷺ قد يزن أمة بأسرها .

وفى الحديث عن الحبيب النبي ﷺ والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده

---

(١) صحيح : صححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٢٣٧٤) وهو في صحيح الجامع حديث رقم (٦٧٤٩) .

(٢) صحيح : رواه أحمد في المسند رقم (١٩٩٠٨،١٩٠٠) وقال محققه إسناده صحيح ، ورواه الترمذي رقم (٣٠٠١) في تفسير آل عمران وحسنه ، وابن ماجة رقم (٤٢٨٨) في الزهد ، والدرامي (٢٧٦٠) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

والطبراني في الصغير والأوسط ، وقال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ورجال أحمد رجال الصحيح من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : إن الله ﷻ يقول : « **يَا عِيسَى إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّة إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا اللهَ وَشَكَرُوا ، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا ، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ هَذَا لَهُمْ وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ . فَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : أَعْطَيْتُهُمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي** »[1] .

فأمة النبي ﷺ تتجلى كرامتها يوم القيامة بين يدي الرب العلي حينما ينادي عليها من بين سبعين أمة فلتتقدم .. لماذا ؟!! لتشهد على جميع الأمم لتشهد للأنبياء والمرسلين .

وفى صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ : يَا نُوحُ ، فَيَقُولُ نوحٌ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيَقُولُ اللهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟!! فَيَقُولُ نوحٌ : نَعَمْ يَا رَبِّ فَيُدْعَى قَوْمُ نُوحٍ وَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُم نُوحٌ : فَيَقُولُونَ : لَا مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ . فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : مَنْ يَشْهَد لَكَ يَا نُوحُ ؟! فَيَقُولُ نُوحٌ : يَشْهَدُ لِي مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، يَقُولُ المُصْطَفَى** ﷺ : **فَتُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ لَهُ ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ فَكَذَلِكَ قَوْلُ**

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٧٤١٦) وقال الهيثمي (١٠/ ٦٧) رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سوار وأبي حلبس يزيد بن ميسرة وهما ثقتان .

الله تَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾)) (١) .

إن أمة الحبيب ﷺ أمة مكرمة فمن أثنت عليه خيرا نجا ووجبت له الجنة ومن أثنت عليه الأمة شرًّا هلك ووجبت له النار .

ففي صحيح مسلم وسنن أبي داود من حديث أنس أن النبي ﷺ مَرَّ بجنازة فَأُثني عليها خيرًا فقال النبي ﷺ : ((**وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ**)) . ومر بجنازة ، فَأُثني عليها شرًّا فقال النبي ﷺ : ((**وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ**)) ، فقال عمر : فدى لك أبي وأمي مُرَّ بجنازة فأُثني عليها خيرًا ، فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ومُرَّ بجنازة أخرى فأُثني عليها شرًّا ، فقلت : وجبت وجبت وجبت ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةَ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، فَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ**)) (٢).

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٨/ ١٣٠) في التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ والترمذي رقم (٢٩٦٥) في التفسير ، باب ومن سورة البقرة ، والطبري رقم (٢١٦٥) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٣/ ١٨١) في الجنائز ، باب ثناء الناس على الميت - ومسلم رقم (٩٤٩) في الجنائز ، باب فيمن يثنى عليه خيرًا وشرًّا من الموتى واللفظ له - والترمذي رقم (١٠٥٨) في الجنائز ، باب ما جاء في الثناء على الميت ، والنسائي (٤/ ٤٩ ، ٥٠) في الجنائز ، باب الثناء .

فوالله لقد وعد الله النبي ﷺ أن يعطيه لأمته حتى يرضى ، ألا إن وعد الله صدق .

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ « **قَرَأَ يَوْمًا قَوْلَ اللهِ فِي إِبْرَاهِيمَ** : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] وَتَلا قول الله في عيسى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] . ثم رفع النبي يديه إلى السماء وبكى ، فقال الله جَلَّ وَعَلَا لجبريل عليه السلام : « **يَا جِبْرِيلُ سَلْ مُحَمَّدًا مَا الَّذِي يُبْكِيهِ** » وَهُوَ أَعْلَمُ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ لِلمصطفى ﷺ .. « **مَا الَّذِي يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : أُمَّتِي يَا جِبْرِيلُ** » فَصَعَدَ إِلَى اللهِ وَأَخْبَرَ الحَقَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ . فقال الله لجبريل : « **انْزِلْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَقُلْ لَهُ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ** »[1].

فأمة النبي أمة ميمونة .. أمة مبروكة .. أمة محمودة

وَمِمَّـا زَادَنِـي فَخْـرًا وَتِيهـا ... وَكِـدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّـرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْمَـدَ لِـي نَبِيَّا

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٣٠١) في الإيمان .

ثانيًا : من هم أول من يقضى الله بينهم يوم القيامة ؟

والجواب من رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ ، فَأُتِي بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِي فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ فَأُتِي بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفِقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتَ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِي فِي النَّارِ »(١) .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١٩٠٥) في الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار - والترمذي رقم (٣٣٨٣) في الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسمعة ، والنسائي (٦/ ٢٣-٢٤) في الجهاد ، باب من قاتل ليقال : فلان جرئ .

أول من يُقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد ، رجل سقط شهيدًا في ميدان القتال ، في ساحة البطولة والوغى ، في ميدان تصمت فيه الألسنة الطويلة ، وتخطب فيه الرماح والسيوف على منابر الرقاب ، يقع شهيدًا في ميدان القتال ، هو من أمة النبي ﷺ ولكنه ما أراد وجه الله ولكنه أراد الثناء من العباد !! فكانت النتيجة ! بل قاتلت ليقال جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن : عالم ملأ المساجد علمًا وسوَّد صفحات الجرائد والمجلات !! عالم تعلم العلم وعلّم الأنام ولكن أراد الشهرة ، أراد النجومية ، أراد المكانة ، أراد الكرسي الزائل والمنصب الفاني ، أراد الوجاهة !!! ما ابتغى بعلمه وجه الرحمن !! فكانت النتيجة : بل تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

الله أكبر !! عالم تُسعَّر به النار ! قارئ تسعر به النار . ولم لا ؟! وهو قد فقد شرط هام مهم من شروط قبول العمل ، وهو الإخلاص .

وأما الثالث ممن تسعر به النار أيضًا : رجل أتاه الله أصناف المال ، مَنَّ الله عليه بالأموال فأعطاه وأجزل له العطاء ، ولكن تصدق ليقال جواد ليقال المحسن الكبير !! ليقال المنفق الكبير !! السخي البازل ، وقد قيل ثم أمر به فكانت النتيجة أن سحب على وجهه حتى ألقي في النار .

سحبوا جميعًا فكبوا في جهنم ، لأنهم مراؤون بأعمالهم .

اعلم أن الرياء لغة مشتق من الرؤية ، والرياء شرعًا مشتق من معناه اللغوى ، فمعنى الرياء اصطلاحًا أن يبطنَ العبدُ خلاف ما يظهر .

حَدُّ الرياء : هو إرادة العباد بطاعة رب العباد جَلَّ وَعَلَا .

يا من تعملون ابتغاء مرضاة الله ، اسجدوا لله شكرًا على هذه النعمة وسلوه التثبيت ، ويا من تعملون العمل لا تبتغون به مرضاة الله ولا تريدون به إِلَّا السمعة والشهرة والمكانة بين الناس ، فاعلموا علم اليقين أن عملكم غير مقبول لأن الله لا يقبل إِلَّا العمل الخالص الصواب .

فقد قال المولى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة - ٥]

وقال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف : ١١٠]

وفى الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الأَغْنِيَاء عَنِ الشِّرْكِ** » وفى لفظ ابن ماجة « **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** »(١). وفى لفظ « **فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ** » .

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٨٥) في الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله .

فالرياء هو الشرك الخفي ، الرياء هو الشرك الأصغر ، الرياء هو الذي يحبط الأعمال ويدمرها ولذلك روى الإمام أحمد في مسنده بسند حسنه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث أبي سعيد الخدري قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : ((**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ؟**)) فقلنا : بلى يا رسول الله ! قال : ((**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ وَأَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**))[1] .

وفى الحديث الذي رواه أحمد وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أنه ﷺ قال : ((**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ**)) قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : ((**الرِّيَاءُ . يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَهَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**))[2] .

فالرياء أيها الأحباب خطر عظيم جسيم يدمر الأعمال ويحبطها ، أسال الله العلي العظيم أن يستر علينا وعليكم في الدنيا والآخرة ، ويرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل ، والسر والعلن ، وأن يجعل سرنا أنقى

---

(١) حسنه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب رقم (٢٧) وقال رواه ابن ماجة والبيهقي .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢٣٥٢١) وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب حديث رقم (٢٩) وقال رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبى الدنيا والبيهقي في (الزهد) وغيره .

من علمنا وأن يغفر ذنوبنا ، ويصحح نوايانا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ولذا أحب أن نعرج سويًّا على أهم الأدوية لعلاج هذا الداء العضال ألا وهو الشرك الخفي (الرياء) فإن الأمر من الأهمية بمكان .

الدواء الأول : الاستعانة بالله ﷻ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل في السر والعلن في الليل والنهار ، ولنا في خليل الله إبراهيم الأسوة الحسنة - إمام الموحدين وقدوة المحققين - يتضرع إلى الله رب العالمين أن يجنبه وبنيه الشرك فيقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥]

فلا بد أن تسأل الله وتستعين به على إخلاص العمل له وحده ، واعلم يقينًا أنه وحده القادر على أن يمنحك الإخلاص ، لأن الإخلاص لا يضعه الله إِلَّا في قلب من يحب من عباده . وعليك أن تعرف عاقبة الرياء في الدنيا والآخرة .

إن المرء المرائي يأتي يوم القيامة فتنشر له صحيفته على مد بصره ، ولكن يومها لا يجد له عند الله جزاء ..

اللهم سلم سلم !! لقد باء بالخسران الكبير ، ولم لا ؟! وهو منافق ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار مع فرعون وهامان وقارون .

لقد أظهر عملًا وقولًا وسمتًا وسلوكًا غير ما يبطنه والله تعالى يعلم حقيقته ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ

ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[البقرة : ٢٨٤]

وقال تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٥٤]

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧]

فإن كان الرياء في أصل الدين أن يبطن الكفر ، ويظهر الإيمان فهذا هو أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار ، فقد قال الله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦]

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١]

أما إذا كان استقر في قلبه أصل الدين وأصل الإيمان وهو يرائي الناس بالأعمال فقط فهذا هو الشرك الأصغر ويخشى على هذا أن يختم له بسوء الخاتمة والعياذ بالله . فالمرائي لا جزاء له في الآخرة .

يا من تعملون العمل لإرضاء الناس . اعلموا أنه ما من أحد يرضى عنه كل الناس ، ولم يستطعْ مخلوق البتة أن يُرضي كلَّ الناس بل قد لا يستطيع

الأب في مملكته الصغيرة أن يرضي كل أبنائه ، وقد لا يستطيع الشيخُ في مجلس علم أن يُرضي كلَّ طلابه ، هذه قاعدة من جهلها فهو جاهل .

أخي الحبيب اجعل قلبك معلقًا بالله ، وابتغِ بقولك وعملك وجه الله ، فلو اجتمع أهل الأرض بالثناء عليك فلن يقربك ثناؤهم زلفى من الله إن كنت بعيدًا عن الله .

ولو اجتمع أهل الأرض بالذم فيك فلن يبعدك ذمهم عن الله إن كنت قريبًا من الله ، فما الذي ينفعك من مدح الأنام وأنت مذموم عند رب الأنام ؟! وما الذي يضرك من ذم الأنام وثنائهم بالشر وأنت مقرب ممدوح من رب الأنام .

فلا ترضِ الناس بسخط الله عليك ، بل أطع الله فيهم واتق الله فيهم فإن النبي ﷺ قال : « **مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ النَّاسَ وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَّلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ** »[1] .

فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[مريم : ٩٦]

ودًّا : أي محبة في قلوب عباده المؤمنين المخلصين .

فإذا رأيت رجلًا يبغض مؤمنًا صالحًا فاعلم بأن قلبه قلب خبيث

---

(١) قال الشيخ مصطفى العدوى : أخرجه عبد بن حميد في المنتخب رقم (١٥٢٢) وإسناده صحيح .

مريض ، والعياذ بالله فإن المنافق لا يحب مؤمنًا على ظهر الأرض لأنه لا يحب إِلَّا منْ على شاكلته ومعدنه .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « **النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا ، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** »(١).

قال الخطابي رحمه الله : فالخَيِّرُ يحن إلى الأخيار والشرير يحن إلى الأشرار .

وأحب أن أنوه وأحذر من أمر خطير جدًّا وهو : أن الله يعاقب المرائي في الدنيا بضد قصده ونيته والعاقبة بضد قصد النية ثابت شرعًا وقدرًا .

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ** »(٢).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : قال الخطابي : من عمل عملًا من أعمال الخير ، والطاعة يبتغي أن يراه الناس وأن يسمعوه ، عاقبه الله بضد قصده ونيته ففضحه الله جَلَّ وَعَلَا وأظهر باطنه .

اللهم استرنا ولا تفضحنا .. اللهم استرنا ولا تفضحنا .. الله استرنا

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٦٣٨) في البر والصلة ، باب الأرواح جنود مجندة ، وأبو داود رقم (٤٨٣٤) في الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٦٤٩٩) في الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، ومسلم رقم (٢٩٨٧) في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله .

ولا تفضحنا .

أما إن زلت قدمه بمعصية فبكى وارتعد قلبه وخاف من الله جَلَّ وَعَلَا، فهذا هو المؤمن التقي ونرجو الله أن يختم لنا وله بخاتمة التوحيد والإيمان .

فإن الله قد ذكر المتقين في قرآنه وذكر من صفاتهم أنهم قد يقعون في الفاحشة قال تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٥]

وأحب أن أنوه على أمر آخر : إن عمل العبد عملًا يبتغي به وجه الله وتضرع فيه إلى الله أن يرزقه فيه الإخلاص ثم أثنى الناس عليه خيرًا وجعل الله له الثناء الحسن على ألسنة الصادقين من عباده ، وجعل الله له المكانة الطيبة في قلوب المخلصين من عباده وأوليائه فاستبشر خيرًا .

ففي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ قلت يا رسول الله : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس فقال ﷺ : « **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ** »[1].

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٦٤٢) في البر والصلة ، باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره .

واسمع لهذا الحديث الرقراق الرقيق الذي رواه البزار وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال : « **مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ فَإِنْ كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا وُضِعَ فِي الأَرْضِ ، وَإِنْ كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا وُضِعَ فِي الأَرْضِ** »(١).

أي : إنه إن كان صيته في السماء حسنًا كان كذلك في الأرض والعكس ولم لا ؟!! وقد قال النبي كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة : « **أَنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا يَا جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي أَهْلَ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ** »(٢).

أسأل الله أن يسترنا بستره الجميل ويرحمنا إنه على كل شيء قدير .

أيها الأحبة الكرام : هؤلاء هم أول من يُقضَى بينهم يوم القيامة ، فما هو

---

(١) **صحيح** : صححه شيخنا الألباني في الصحيحة (٢٢٧٥) وهو في صحيح الجامع رقم (٥٧٣٢) .

(٢) رواه البخاري رقم (٧٤٨٥) في التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، ومسلم رقم (٢٦٣٧) في البر والصلة ، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده ، والموطأ (٢/ ٩٥٣) في الشعر ، والترمذي رقم (٣١٦٠) في التفسير ، باب ومن سورة مريم .

أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة ؟!! وهذا ما سوف نتعرف عليه بعد جلسة الاستراحة .

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أما بعد :

ثالثا : ما هو أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة

والجواب في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وغيرهم وصحح الحديث شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ** »[1].

---

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٤١٣) في الصلاة ، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، والنسائي (١/ ٢٣٢) في الصلاة ، باب المحاسبة على الصلاة ، ورواه أيضًا أحمد في المسند ، والحاكم في المستدرك .

والله إن القلب ليبكى وإن العين لتدمع وإنا لما حل بأمة الإسلام لمحزونون ، فوالله إن في هذه الأمة من لا يدخل بيت الله جَلَّ وَعَلَا إِلَّا في كل جمعة فقط !! ومن لا يدخل بيت الله إِلَّا في العيدين فقط !!

ومن لا يدخل بيت الله إِلَّا مرة واحدة لا من أجل أن يُصلِّي ، ولكن من أجل أن يُصلَّى عليه !!

الصلاة .. الصلاة .. الصلاة .. آخر وصية لرسول الله ﷺ .

الصلاة ضيعتها الأمة إلا من رحم الله . معظم المصلين إلا من رحم الله يضيعون الصلاة بعدم الاطمئنان فيها ، ولقد روى البخاري من حديث حذيفة بن اليمان أنه رأى رجلًا يصلى لا يُتِمُّ ركوعه ولا سجوده فلما قضى صلاته قال له حذيفة : ما صليت ولو مُتَّ مُتَّ على غير سنة محمد[1].

فهذا صلى ولكن لم يحسن الركوع والسجود والقيام . فما بالك بمن ضيع الصلاة ؟!! فما ظنك بمن ترك الصلاة ؟!!

قال جَلَّ في علاه : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩]

فما هو الغي ؟ قال ابن عباس وعائشة : الغي نهر في جهنم بعيد قعره

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٨٠٨) في الأذان ، باب إذا لم يتم السجود .

خبيث طعمه .

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ .[المدثر : ٣٢-٥٥]

يا من ضيعت الصلاة !! لماذا أعرضت عن الله ورسوله ؟!

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

... الدعـــاء

الفهـــــــرس



الجزء التاسع

دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى[1].

((وَلَقَدْ جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلافٍ ، وَمَا فِيهِمْ إِلا مَنْ رَقَّ قَلْبُهُ ، أَوْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ ؟!

فَصِحْتُ بِلِسَانِ وَجْدِي : إِلَهِي وَسَيِّدِي إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالعَذَابِ غَدًا فَلا تعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي ، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لا لأَجْلِي ، لِئَلا يَقُولُوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ)) .

---

(١) صيد الخاطر : ص (١٨٦) طبعة دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال عن أربع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

نحن اليوم بتوفيق الله جَلَّ وَعَلَا على موعد مع اللقاء الخامس عشر من لقاءات هذه السلسلة المنهجية المباركة في رحاب الدار الآخرة .

أخي الحبيب : تذكر معي أننا قد توقفنا في اللقاءين الماضيين على التوالي مع قواعد العدل التي يحاسب الله جَلَّ وَعَلَا عباده بها يوم القيامة ، ثم تعرفنا على أول أمة يحاسبها الله جَلَّ وَعَلَا ، وعلى أول من يقضي الله بينهم يوم القيامة ، وعلى أول ما سيحاسب وما يسأل عنه العبد بين يدي الرب جَلَّ وَعَلَا ، ونحن اليوم بإذن الله تعالى لازلنا مع الناس في ساحة الحساب بين يدي الله سبحانه وتعالى ، فإن الله ﷻ يسأل العبد بعد الصلاة عن أربع :

عن عمره فيما أفناه ؟! وعن علمه ماذا عمل فيه ؟! وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟! وعن جسمه فيما أبلاه ؟! هذه الأربع هي موضوع لقائنا مع حضراتكم في هذا اليوم الكريم المبارك .

أحبتي الكرام : أعيروني القلوب والأسماع فإن الموضوع من الأهمية بمكان والله أسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .

ولا شك أن الله ﷻ سيسأل العبد في ساحة الحساب عن كل ما قدم في هذه الحياة .

قال الله سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ - ٩٣]

فكم من معصية قد كنت نسيتها ، ذكرك الله إياها ، وكم من مصيبة قد كنت أخفيتها ، أظهرها الله لك وأبداها.

ولكن النبي ﷺ قد ذكر أن الله سبحانه سيسأل العبد بعد الصلاة عن أربع كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والطبراني في معجمه الصغير ، والخطيب في التاريخ ، وصححه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة وصحيح الجامع من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال : « **لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟**

وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ؟ »[(١)].

أولا : السؤال عن العمر

أحبتي في الله :

العمر هو البضاعة ، ورأس المال فمن ضاعت بضاعته ، وانتهى رأس ماله دون أن يحقق الربح فهو من الخاسرين .

هل حسبت أن هذا العمر ، وهذه الأيام ، وهذه الشهور وهذه السنوات ، التي هي عمرك ، والتي تمضى منك ، وأنت لا تشعر ، هل حسبت أن الله لن يسألك عنها ؟!!

قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾

[المؤمنون : ١١٥ - ١١٦]

وقال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٤٠]

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٩) ، في صفة القيامة ، باب رقم (١) ، وقال : حسن صحيح ، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٦) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٧٢٩٩) .

أليس ذلك بقادر على أن يبعثهم للوقوف بين يديه للسؤال عما قدموه وعما فعلوه .. للسؤال عن القليل ، والكثير ، صغير أو كبير ، حقير أو عظيم !!

أيها المسلم الأيام تمر والأشهر تجري وراءها تسحب معها السنين ، وتجرُّ خلفها الأعمار ، وتطوي حياة جيل بعد جيل وبعدها سيقف الجميع بين يدي الملك الجليل .

العمر يولى ستسأل عن كل ساعة ، عن كل يوم ، عن كل أسبوع ، عن كل سنة ، عن عمرك كله فيما أفنيته .

قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة فإن مضى يوم مضى بعضك وإن مضى بعضك مضى كلك .

ولذا كان الحسن - رحمه الله - يقول : ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وينادي بلسان الحال ويقول : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة..

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول : والله ما ندمت على شيء كندمي على يوم طلعت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

العمر هو البضاعة الحقيقة ، ووالله ما منحنا هذه البضاعة الكريمة للهو واللعب والملذات والشهوات ، والله ما للهو خلقنا بل خلقنا لغاية كريمة ولغاية عظيمة .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

هذه هي الغاية التي خلق الله لها الخلق ، والله ما خلقنا الله لنضيع الأعمار أمام المسلسلات ، وأمام المباريات ، وأمام الأفلام ، وأمام هذا العبث واللهو الذي تحول في حياة هذه الأمة المسكينة إلى جد .

ومن أجمل ما قيل في قول الله تعالى في حق نبي الله يحيى ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : ١٢]

قال جمهور المفسرين أي أتاه الله الحكمة وهو طفل صغير فذهب إليه يوما بعض أترابه من زملائه قبل أن يوحي الله إليه بالنبوة فقالوا : يا يحيى هيا بنا لنلعب ! فقال يحيى : والله ما للعب خلقنا والله ما للهو والعبث خلقنا .

والله ما خلقنا لنضيع الأعمار ، فإن جُلَّ الأمة الآن يقضي جُلَّ الليل أمام التلفاز ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا من يمضي عمرك وأنت لا تدري .. اعلم بأنك ستسأل عن هذه الساعات .. ستسأل عن هذا العمر !!

وتذكر يا من يمضى عمرك وأنت في غفلة أن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة ، ومهما عظمت فهي حقيرة ، وأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر ، وأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر .

تذكر وصية الحبيب ﷺ لعبد الله بن عمر كما في صحيح البخاري أنه ﷺ

أخذ بمنكبه وقال : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ »[1] .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء .

قيل لإبراهيم بن أدهم طيب الله ثراه ، يا إبراهيم : كيف وجدت الزهد في الدنيا ؟! فقال إبراهيم : بثلاثة أشياء ، قيل : وما هي ؟! قال إبراهيم : رأيت القبر موحشًا وليس معي مؤنس ، ورأيت الطريق طويلًا وليس معي زاد ، ورأيت جبار السماوات والأرض قاضيًا وليس معي من يدافع عنى .

أيها الأحبة الكرام : الدنيا كلها إلى زوال ، والعمر كله إلى فناء ، ويوم أن نام السلطان الفاتح محمد بن ملك شاه على فراش الموت ، وكان من السلاطين الأثرياء الأغنياء قال : اعرضوا عَلَيَّ كل ما أملك من الجواري والغلمان ، والنساء ، والأموال ، والجواهر بل ، وليخرج الجند جميعًا ، فخرج الجيش عن بَكْرَة أبيه ، فنظر السلطان إلى هذا الملك العظيم وبكى وقال : والله لو قَبِلَ منى ملك الموت كل هذا لافتديت به !!

ثم نظر إلى جنوده وقال : أما هؤلاء والله لا يستطيعون أن يزيدوا في عمري ساعة ثم أجهش بالبكاء وقال : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ - ٢٩]

---

(١) رواه البخاري رقم (١١/ ١٩٢) ، في الرقاق ، باب قول النبي ﷺ « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيب » ، والترمذي رقم (٢٣٣٤) ، في الزهد ، باب ما جاء في قصر الأمل .

وهذا أخوه هارون الرشيد الذي كان يخاطب السحابة في كبد السماء ، ويقول لها : أيتها السحابة في أي مكان شئت أمطري فسوف يحمل إليَّ خراجك إن شاء الله تعالى .

لما نام على فراش الموت بكى هارون وقال لإخوانه : أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه !!

فحملوه إلى قبره ، فنظر هارون إلى قبره وبكى ورفع رأسه إلى السماء : وقال يا مَنْ لا يزول مُلكه ارحم من زال ملكه .

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ

لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

وَالرُّوحُ مِنْكَ وَدِيعَةٌ أَوْدَعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ

وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ

اللَّيْلَ فَاعْلَمْ وَالنَّهَار كلاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وتُحْسَبُ

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٥ - ١١٦]

أخي الكريم :

لن تتحرك قدمك يوم القيامة حتى تسأل عن عمرك .

انتبه يا من تغافلت عن هذه البضاعة ورأس المال الحقيقي الذي تملكه ألا وهو عمرك ، واعلم يقينا أن كل يوم يمر عليك يبعدك عن الدنيا يوما

ويقربك من الآخرة يومًا .

قال لقمان الحكيم لولده : أي بُنَيّ إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها .

ولقى الفضيل بن عياض رجلًا فقال الفضيل : كم عمرك ؟!

قال الرجل : ستون سنة ، قال الفضيل : إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله يوشك أن تصل .

فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون .

قال الفضيل : هل عرفت معناها ، قال : نعم عرفت أني لله عبد وأنى إلى الله راجع .

قال الفضيل : يا أخي من عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع ، عرف أنه موقوف بين يديه ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول ، ومن عرف أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا .

فبكى الرجل وقال : يا فضيل وما الحيلة ؟! قال الفضيل : يسيرة ، قال : ما هي يرحمك الله ، قال : أن تتقى الله فيما بقى من عمرك يغفر الله لك ما قد مضى ، وما قد بقى من عمرك .

ثانيًا : عن علمه ماذا عمل به ؟!

اعلم يقينا أنك ستسأل عن كل كلمة استمعت إليها في خطبة جمعة ، أو محاضرة أو قرأتها في كتاب ، ستسأل عن علمك الذي تعلمت ، ماذا عملت به ؟؟ تُرى منذ متى ونحن نسمع عن الله ؟! تُرى منذ متى ونحن نسمع عن رسول الله ؟! ومع ذلك سترى البون شاسعًا بين القول والعمل ، سترى فجوة خطيرة بين القول ، والعمل ، وهذه الفجوة سبب من أسباب النفاق ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ - ٣]

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤]

أسأل الله أن يرزقنا الصدق ، والإخلاص في القول والعمل .

أيها الأحبة الكرام : العلم أغلى ما يطلب في هذه الحياة بلا شك ، ولا نزاع فلا سبيل إلى معرفة الله ، ولا سبيل إلى الوصول إلى رضوان الله في الدنيا والآخرة إلا بالعلم الشرعي ، العلم يبذل له المال ، العلم يبذل له العمر ، العلم يبذل له الوقت كله ، فإن أغلى ما يضحي له هو العلم ، ولم يأمر الله نبيه بطلب الزيادة من شيء إِلَّا من العلم ، كما قال تعالى آمرًا نبيه المصطفى ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا ﴾ [طه : ١١٤]

ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨]

ثم قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾
[المجادلة : ١١]

ثم قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨]

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا** - قال ابن حجر في الفتح : أي محوًا من الصدور - **يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا** - وفى لفظ - **رُؤَسَاءَ جُهَّالًا** - **فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** »[1] .

وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** »[2].

وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلى : « **لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (١/ ١٧٤) ، في العلم ، باب كيف يقبض العلم ، ومسلم رقم (٢٦٧٣) ، في العلم ، باب رفع العلم وقبضه ، والترمذي رقم (٢٦٥٤) ، في العلم ، باب ما جاء في ذهاب العلم .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣١١٦) ، الجهاد ، باب قول الله تعالى : ﴿ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ، ومسلم رقم (١٠٣٧) ، في الإمارة ، باب فضل الرمي .

وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النعَمِ »(١).

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم وحسنه شيخنا الألباني بشواهده من حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِينَارًا أَوْ دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »**(٢).

من آتاه الله العلم آتاه الحظ الوافر ، وآتاه الخير كله ، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ، ومن لم يحب ، ولكن الله لا يعطي الدين إِلَّا لمن يحب ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، قال ﷺ كما في صحيح مسلم وغيره : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُه إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٧٠١) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب على بن أبى طالب ﷺ ، ومسلم رقم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبى طالب .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٦٤١ ، ٣٦٤٢) ، في العلم ، باب الحث على طلب العلم ، والترمذي رقم (٢٦٨٣ ، ٢٦٨٤) ، في العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، وهو في صحيح الجامع حديث رقم (٦٢٩٧) .

بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[1].

هذا العلم إن لم يحرك قلبك وجوارحك للعمل ، ولخشية الله وتقواه فلا خير فيه ، ولا بركة له .

ما ثمرة العلم إن لم يورثك العمل ؟! ما ثمرة العلم إن لم يقر بنا من الله سبحانه وتعالى ؟!

ما ثمرة هذه المحاضرات والخطب والكلمات التي تخلع القلوب إن لم تعبد القلوب لرب الأرض والسماوات ؟!

إن لم يورثنا هذا العلم خشية الله .. إذا لم يورثنا هذا العلم تقوى القلوب .

إن لم يورثنا هذا العلم حُب السنة وبُغض البدعة فما ثمرة هذا العلم ؟!

يقول الإمام الشاطبي في كتابه القيم الموافقات :

إن كل علم لا يفيد عملا ليس في الشرع ما يدل على استحسانه .

قال تعالى : ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤]

وفى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ قال : « يُؤْتَى

(١) رواه مسلم رقم (١٦٣١) ، في الوصية في باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) ، في الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ، والترمذي رقم (١٣٧٦) في الأحكام ، باب في الوقف ، والنسائي (٦/ ٢٥١) ، في الوصايا ، باب فضل الصدقة عن الميت .

بِالرَّجُلِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ - أي : أمعاؤه - ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ فَيَقُولُ : بَلَى كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المُنكَرِ وَآتِيهِ »[1] .

لذا كان الحبيب المصطفى ﷺ يستعيذ من علم لا ينفع كما في صحيح مسلم وسنن الترمذى من حديث زيد بن الأرقم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه « ... اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا »[2].

وقال أبو الدرداء ﷺ : إنني أخاف أن يقال لي يوم القيامة : أعلمت أم جهلت ؟ فأقول : علمت فلا تبقى آية آمرة أو زاجرة إِلَّا جاءتني تسألني فريضتها فتقول الآمرة : هل ائتمرت ؟ وتقول الزاجرة : هل ازدجرت ؟.

ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكن العلم الحقيقي هو الذي يورثك خشية الله هو الذي يورثك العمل .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦/ ٢٣٨) ، في بدء الخلق ، باب صفة النار ، ومسلم رقم (٢٩٨٩) ، في الزهد ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٢٢) ، في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ، ورواه الترمذي رقم (٣٤٧٨) ، في الدعوات ، باب رقم (٦٩) ، والنسائي (٨/ ٢٥٥) ، في الإستعاذة ، باب الاستعاذة من قلب لا يخشع .

وكان علي بن أبي طالب يقول: يا حملة العلم اعملوا به فإن العالم مَنْ عَلِمَ ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيأتي أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم يقعدون حلقاء يباهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه إن تركه، وجلس إلى غيره، أولئك لا ترفع أعمالهم تلك إلى الله ﷻ.

إن الله لا يقبل من الأعمال إلّا ما كان خالصًا صوابًا، لذا قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا، اللهم ارزقنا الصدق والإخلاص في القول والعلم، وقال ابن السماك: كم من مُذَكِّر لله وهو ناس لله !! وكم من مُخَوِّف من الله وهو جرئ على الله !! وكم من مُقَرِّب إلى الله وهو بعيد عن الله !! وكم من تالي لكتاب الله وهو منسلخ عن آيات الله !!

فأنت ترى كمًّا هائلًا من المحاضرات، والدروس، وترى كمًّا هائلًا من المراجع، والمجلدات، والكتب، ومع ذلك ترى بونًا شاسعًا وفرقًا كبيرًا بين هذا المنهج النظري وبين هذا الواقع العملي.

إن هذه الفجوة تبذر بذور النفاق في القلوب كما قال علام الغيوب: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣]

لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمله ماذا عمل به ؟!

ثالثا : عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟!

المال نعمة من أعظم النعم ، المال زينة الحياة الدنيا مع الأولاد .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف : ٤٦]

ولاحظ أن الله قدم في هذه الآية المال على الأولاد ، المال زينة ونعمة عظيمة ، ولكن لا يعرف قدر هذه النعمة إلا من عرف الغاية من المال ، فما أكرمها من نعمة إن حركتها أيدي الصالحين ، والشرفاء .

المال نعمة لا يعرف قدرها إِلَّا صالح تقي عرف الغاية من المال ، وعرف الوظيفة الحقيقية للمال ، وعرف أن المال ظل زائل وعارية مسترجعة . المال نعمة من الله مَنَّ بها عليك ، وزينة زَيَّنَكَ الله بها .

ولكن انتبه سوف تُسأل عن هذا المال كله من أين اكتسبت ؟! وفيمَ أنفقت ؟! سؤالان يملآن القلب بالخوف والوجل ويجعلان العبد يسأل نفسه ألف مرة قبل أن يحصل على هذا المال .

يا من تتاجر في الحرام ، في المخدرات لتحرق قلوب فلذة أكبادنا ولا هم لك إلا أن تجمع المال ، حاسب نفسك الآن وقف مع نفسك موقف صدق ، من الآن طَهِّر مالك كله قبل أن تُسأل بين يدي الله الذي يعلم السر وأخفى ، عن كل ما جمعت من مال ؟ من أين لك هذا المال ؟ وفيمَ أنفقته ؟؟

فالمال نعمة إذا حركته أيدي الصالحين والشرفاء ، المال منحة لمؤمن تقي

عرف الغاية منه ، وعرف الوظيفة لهذا المال ، لذا يقول سيد الرجال ﷺ كما في الصحيحين : « **لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُو يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَار** »(١).

وتدبر معي أخي الكريم قول الحبيب والحديث رواه أحمد والترمذي وصححه شيخنا الألباني من حديث أبى كبشة الأنماري عنه ﷺ قال : « **ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَمَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ بَابَ فَقْرٍ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ لله يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ ، فَهُو بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٩/ ٦٥) ، في فضائل القرآن ، باب اغتباط أصحاب القرآن ، ومسلم رقم (٨١٥) ، في صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، والترمذي رقم (١٩٣٧) ، في البر والصلة ، باب ما جاء في الحسد .

فُلَانٍ ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ »[١].

إن المال لا يصبح نعمة إلَّا إذا كان في يد صالحة تعرف الغاية منه ، والمال الذي سنتركه ليس مالًا لنا وإنما هو مال ورثتنا كما في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ قال ﷺ : « **أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ** » قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلَّا وماله أحب إليه من ماله وارثه ، قال : « **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَرَثَتِهِ مَا أَخَّرَ** »[٢].

لذا يقول المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : « **يَقُولُ العَبْدُ : مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أَعْطَى فَأَقْنَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ، فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ** »[٣].

ولذا ورد في سنن الترمذي أن عائشة - رضي الله عنها - ذبحت شاة وتصدقت بها كلها إلَّا الذراع فقال النبي ﷺ : « **مَا بَقِي مِنَ الشَّاةِ يَا عَائِشَةُ ؟** » قالت : ما بقى منها شيء إلَّا الذراع ، فقال المصطفى ﷺ : « **بَقِي**

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨٨) ، في البر والصلة ، ورواه الترمذي واللفظ له رقم (٢٣٢٦) ، في الزهد ، باب جاء أن مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، ورواه أيضًا الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٣٠ ، ٢٣١) ، وابن ماجة ، في الزهد رقم (٤٢٢٨) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٤٢) ، في الرقاق ، باب ما قدم من ماله فهو له ، ورواه الإمام أحمد في المسند رقم (٣٦٢٦) .

(٣) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٩٥٩) ، في الزهد ، باب الزهد .

كُلَّهَا إِلَّا الذِّرَاعَ »[1].

إن الذي تصدقت به هو الذي سيبقى لك في ميزان أعمالك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

واسمع لحبيبك المصطفى ﷺ وهو يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ قَالَ تَعَالَى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون : ٥١]

وقال تعالى للمؤمنين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، ثم ذكر « **الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ** - وفي رواية - **وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ - وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ** »[2].

أنى يستجاب لمن أكل الحرام ، أنى يستجاب لمن شرب الحرام أنى

(١) صحيح : رواه الترمذي رقم (٢٤٧٢) ، في صفة القيامة ، باب رقم (٣٤) ، وقال : هذا حديث صحيح .

(٢) صحيح : رواه مسلم رقم (١٠١٥) ، في الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، والترمذي رقم (٢٩٩٢) ، في التفسير ، باب ومن سورة البقرة .

يستجاب لمن غذي أولاده بالحرام ، إننا نرى الآن تهاونًا مروعًا في الأكل الطيب الحلال فنرى الرجل لا هم له إلا جمع المال ، من أي سبيل كان حتى لو كان حرام حتى لو كان من الربا حتى لو كان من أموال الناس بالباطل المهم أن يكتنز المال ، ومع ذلك فوالله لن يخرج من الدنيا بدرهم أو دولار .

النَّفْسُ تَجْـزَعُ أَنْ تَكُـونَ فَقِـيرَةً وَالفَقْـرُ خَـيْرٌ مَـنْ غِنـى يُطْغِيهَـا

وَغِنَى النُّفُوسِ هُوَ الكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ فَجَمِيعُ مَـا فِي الأَرْضِ لَا يَكْفِيهَـا

هِـي القَنَاعَـةُ فَالْزَمْهَـا تَكُنْ مَلِكًا لَـوْ لَمْ تَكُـنْ لَكَ إِلَّا رَاحَـةُ البَـدَنِ

وَانْظُـر لِمَـنْ مَلَكَ الدُّنْيَـا بِأَجْمَعِهَـا هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الطِّيبِ وَالكَفَنِ

لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟

رابعًا : السؤال عن الجسم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾

[الإسراء : ٣٦]

سيسأل الفؤاد والقلب عما وعاه من اعتقاد ، هل امتلأ القلب بحب الله وبحب رسول الله والمؤمنين وامتلأ في الوقت ذاته ببغض الشرك والمشركين والباطل والمبطلين ؟! سيسأل السمع عن كل ما سمع سيسأل البصر عن كل ما رأى ، فهل يا ترى لا يسأل العبد بين يدي الرب سبحانه

إلَّا عن هذه الجوارح فحسب ..؟ كلا بل سيسأل الإنسان عن جسمه كله .

سيشهد هذا الجسم كله بما قدم وبما صنع وبما فعل سيشهد السمع والبصر والفؤاء ستشهد الرجل واليد والجوارح عامة قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

[يس : ٦٥]

وقال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت : ١٩ - ٢١]

سيشهد عليك بدنك كله ، وسوف تسأل عن هذا البدن وعن هذا الجسم فيما أبليته ، هل أبليت جسمك في عمل الدنيا والآخرة أم في عمل الدنيا فحسب ؟

فلا حرج أن يُبلي الإنسان جسمه في عمل الدنيا وفي عمل الآخرة ، والخطأ والحرج أن يُبلي جسمه كله وحياته كلها في عمل الدنيا ليضيع بذلك حق الله وعمل الآخرة ، يا أخي في الله تاجر وعَمِّر وابنِ واجمع المال من الحلال لكن لا تنس حق الكبير المتعال ، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا ، فلا حرج أن تجمع بين الأمرين .

قال المصطفى ﷺ « **اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي** »(١).

فلا تجعل عمرك جله للدنيا وتنسى الآخرة ، ستتمنى يوم القيامة الرجعة والعودة إلى الدنيا لا لتعمل للدنيا مرة أخرى بل لتعمل للآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[المؤمنون : ٩٧ - ١٠٠]

كلا .. فاعمل الآن للدنيا وللآخرة قبل أن تتمنى الرجعة والعودة فيقال لك : ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٠]

لا يسمعها الله ولا يجيبها الله ، واعلم يقينًا أنه والله لو أفنيت جسمك كله ليلًا ونهارًا من أجل الدنيا ونسيت عمل الآخرة والله لن تحصل من الدنيا إلَّا ما قدره الرزاق لك ، تدبر هذا الحديث الجميل الذي رواه الترمذي وغيره وصحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال : « **مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِي**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٧٢٠) في الذكر ، باب التعوذ من شر ما عمل ، وهو في صحيح الجامع رقم (١٢٦٣) .

رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ »[1].

أخي الحبيب سل نفسك الآن فيما أبليت جسمك في عمل الدنيا والآخرة أم في عمل الدنيا ؟

هل أبليت جسمك في طاعة الله ورسوله أم في معصية الله ورسوله؟

سل نفسك الآن فيما مضى من عمرك هل سَخَّرت جسمك في طاعة الله ورسوله أم سخرته في معصية الله ورسوله ؟

هل أعطاك الله نعمة هذا الجسم لتعصي الله بها أم لتطيع الله بها ؟

واعلم يقينًا أن المعصية سبب لكل شقاء وضنك وبلاء في الدنيا والآخرة والطاعة سبب لكل فلاح وفوز وخير في الدنيا والآخرة .

قال ابن عباس : إن للطاعة نورًا في الوجه ونورًا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للمعصية سواد في الوجه وظلمة في القلب وضيق في الرزق وضعف في البدن وبغضًا في القلوب .

وذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم - طيب الله ثراه - فقال له : يا إبراهيم : كيف أترك معصية الله جَلَّ وَعَلَا ؟! فقال له إبراهيم : تذكر

---

(١) صححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٩) وقال أخرجه الترمذي (٢/ ٧٦) .

خمسًا فإن عملت بها لن تقع في معصية الله وإن زلت قدمك سرعان ما ستتوب إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، قال : هاتيها يا إبراهيم . قال إبراهيم : أما الأولى إن أردت أن تعصي الله جَلَّ وَعَلَا فلا تأكل من رزق الله .

قال : كيف ذلك والأرزاق كلها بيد الله؟

قال : فهل يجدر بك أن تعصي الله وأنت تأكل من رزقه ؟!.

قال يرحمك الله يا إبراهيم : هات الثانية .

قال إبراهيم : أما الثانية إن أردت أن تعصي الله جَلَّ وَعَلَا فابحث عن مكان ليس في مُلْك الله واعصِ الله عليه .

قال : كيف ذلك والملك ملكه والأرض ملكه والسماء ملكه ؟!

قال : ألا تستحي أن تعصي الملك في ملكه .

قال:يرحمك الله هات الثالثة .

قال : أما الثالثة إن أردت أن تعصي الله جَلَّ وَعَلَا فابحث عن مكان لا يراك الله فيه ؟!.

قال : وكيف ذلك والله يسمع ويرى ؟!

قال:ألا تستحي أن تعصي الله وأنت على يقين أنَّ الله يراك .

قال : يرحمك الله هات الرابعة .

قال : إذا جاءك ملك الموت فقل له أجلني ساعة حتى أتوب إلى الله وأدخل في طاعته .

قال : كيف ذلك يا إبراهيم ؟! والله جَلَّ وَعَلَا يقول : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤]

قال : فهل يجدر بك وأنت تعلم ذلك أن تسوف التوبة وعمل الطاعات

قال : يرحمك الله هات الخامسة .

قال : أما الخامسة إذا جاءتك زبانية جهنم لتأخذك إلى جهنم فإياك أن تذهب معهم ، فبكى الرجل وعاهد الله ﷻ على الطاعة .

أيها المسلم : فكر في هذه الخمس جيدا قبل أن تعصي الله ، واعلم يقينًا أنك بشر ، فإن زلت قدمك في معصية الله جدد الأوبة والتوبة إلى الله واعلم جيدًا أن الله يحب التوابين والمتطهرين ، وما من ليلة إلَّا والملك ينزل إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بكماله وجلاله كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وينادي الحق سبحانه وتعالى ويقول : « **أَنَا المَلِكُ ، أَنَا المَلِكُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَاغْفِر لَهُ ، فَلَا يَزَالُ كَذِلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الفَجْرُ** »[1].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١١٤٥) في التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ومسلم رقم (٧٥٨) في صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، والموطأ (١/ ٢١٤) في القرآن ، والترمذي رقم (٣٤٩٣) في الدعوات ، وأبو داود رقم (١٣١٥) في الصلاة .

فهيا أخي الحبيب عُد إلى الله ، وتب إلى الله ، واستعد للجواب عن هذه الأسئلة الأربعة ، واعلم علم اليقين أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيمَ أفناه ؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه ؟!

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

.... الدعـــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

القصاص

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

نحن اليوم بتوفيق الله جَلَّ وَعَلَا على موعد مع اللقاء السادس عشر من لقاءات هذه السلسلة العلمية الكريمة .

تذكر معي أخي في الله أننا كنا قد توقفنا بمشيئة الله جَلَّ وَعَلَا في اللقاءات الثلاثة الماضية مع مشهد الحساب ، وتعرفنا على أهم قواعد العدل التي يحاسب الله بها عباده يوم القيامة ، وتعرفنا على أول أمة ستقف بين يدي الله للحساب ، وتعرفنا على أول من يقضي الله بينهم ، وتعرفنا على أول ما يحاسب علية العبد بين يدي الله ، فإذا فرغ الله جَلَّ وَعَلَا من حساب العباد فيما يتعلق بحقوقه أذن لدواوين المظالم أن تنصب للقصاص وأداء الحقوق ، وهذا هو موضعنا اليوم مع حضراتكم بإذن الله تعالى .

وكما تعودنا حتى لا ينسحب بساط الوقت من بين أيدينا سريعًا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية :-

أولًا : القصاص بين البهائم .

ثانيًا : القصاص بين العباد .

ثالثًا : حرمة الدماء .

رابعًا : القصاص بين المؤمنين .

أخي في الله أعرني قلبك وسمعك وجوارحك جيدا فإن الموضوع جد خطير ، والله أسال أن يجعلني وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

أولا : القصاص بين البهائم

في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » وفي رواية : « **لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ**(•) **مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ** »[1] .

تدبر أيها المسلم وإياك أن تغفل .

وفى مسند أحمد بسند صحيح من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ رأى

• الجلحاء : التي ليس لها قرون .

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨٢) في البر ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٢٢) في صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص .

شاتين تنتطحان فقال المصطفى ﷺ لأبي ذر « **هَلْ تَدْرِي فِيمَا تَنْتَطِحَانِ ؟** »
قال : لا قال المصطفى ﷺ : « **وَلَكِنَّ اللهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ القِيَامَةِ** »[1].

أيها المسلمون : إن القول بحشر البهائم والدواب والقصاص لبعضها من بعض يوم القيامة هو الحق الذي ندين لله به .

وهذا هو ما ذهب إليه جمهور أهل السنة ، فلا ينبغي البتة أن ترد الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب بدعوى أن العقل لا يستوعب القصاص بين الدواب .

قال الإمام النووي رحمه الله : إذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره مانع من عقل أو شرع وجب أن تحمله على ظاهره ، فلا ينبغي على الإطلاق تأول هذه الأحاديث ليرد هذا الحكم آلا وهو حكم القصاص بين البهائم والدواب ، فإن قيل الشاة غير مكلفة لا عقل لها فكيف يقتص منها يوم القيامة ؟.

الجواب نقول قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧]

وقال تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣]

---

(١) رواه أحمد في المسند ، رقم (٢١٣٣٠) .

وليعلم العباد علم اليقين أن الحقوق لا تضيع عند الله جَلَّ وَعَلَا ، فإن كان هذا هو حال الحيوانات والبهائم والدواب ، فكيف بذوي الألباب والعقول من الشريف والوضيع والقوي والضعيف والكبير والصغير ؟!

إذا كان الله يأخذ الحق للدواب والبهائم والحيوانات فهل يترك الله حق العباد وبصفة خاصة حق من وحدوا رب الأرض والسماوات ؟!!

ثانيًا : القصاص بين العباد يوم القيامة

أحبتي في الله :

لا يظن أحد أن ظلمه للعباد من ضرب أو سب أو شتم أو تزوير أو أكل مال بالباطل أو أكل مال يتيم أو استهزاء أو سخرية أو غيبة أو نميمة أو جرح كرامة سيضيع سدى !!

كلا كلا !! بل أن الظلم ظلمات يوم القيامة .

أَمَــا وَاللهِ إِنَّ الظُّلْــمَ شُــؤْمٌ وَمَا زَالَ المُسِيىءُ هُوَ الظَّلُــومُ
سَــتَعْلَمُ يَا ظَلُــومُ غَــدًا إِذَا الْتَقَيْنَا عِنْدَ الإِلَهِ مَنِ المَلُــومُ ؟!

يا من دعاك منصبك .. يا من دعاك كرسيك .. يا من دعتك صحتك .. يا من دعتك قوتك وقدرتك على ظلم الضعفاء والفقراء والمستضعفين

من العباد ، تذكر قدرة الله جَلَّ وَعَلَا ، واعلم يقينا بأن الملك هو الذي سيقتص للمظلوم من الظالمين فاحذر الظلم بجميع أنواعه سواء صغيرًا أو كبيرًا فإنه ظلمات يوم القيامة .

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وصاه بالوصايا الغالية ، وكان من بين هذه الوصايا أن قال له المصطفى ﷺ : « **اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ** »(١).

انتبهوا أيها الأحباب : إن دعوة المظلوم ترفع إلى الله دون حجاب فهي تصعد مباشرة ، ولذلك ورد في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ** » .

وقرأ النبي ﷺ قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٣٤٧) في المغازي ، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ومسلم رقم (١٩) في الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، وأبو داود رقم (١٥٨٤) في الزكاة ، والترمذي رقم (٦٢٥) في الزكاة ، والنسائي في الزكاة .

ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] [١]

قد يغتر الظالم بظلمه سنوات وهو يظلم عباد الله ، والله يمهله والله يستره بستره وبحلمه عليه فيتمادى الظالم في غيه وظلمه ونسي هذا المسكين أن الله يمهل ولا يهمل .

أين الجبابرة ؟! .. أين الأكاسرة ؟! .. أين القياصرة ؟! .. أين الفراعنة أين الطغاة ؟! .. أين الظالمون وأين التابعون لهم في الغي ؟! .. بل أين فرعون وهامان وقارون ؟!

أَيْنَ مَنْ دَوَّخُوا الدُّنْيَا بِسَطْوَتِهِمْ ؟! وَذِكْرُهُـمْ فِي الوَرَى ظُلْمٌ وَطُغْيَانُ
هَـلْ أَبْقَـى المَـوْتُ ذَا عِـزٍّ لِعِـزَّتِهِ أَوْ هَلْ نَجـا مِنْـهُ بِالسُّلْطَانِ إِنْسَانُ
لَا وَالَّذِي خَلَقَ الأَكْوَانَ مِـنْ عَدَمٍ الكُـلُّ يَفْنَى فَـلَا إِنْـسٌ وَلَا جَـانُ

حذر النبي ﷺ الأمة من عاقبة الظلم ، تدبروا معي جيدًا هذا الحديث الرقراق الذي رواه ابن ماجة وابن حبان والبيهقي وأبي يعلى الموصلي والحديث حسن بشواهده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٤٦٨٦) في تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ .. الآية ﴾ ، ومسلم رقم (٢٥٨٣) في البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٣١٠٩) في التفسير وابن ماجة رقم (٤٠١٨) في الفتن .

النبي ﷺ قال لأصحابه لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح : « **أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبَ مَا رَأَيْتُمْ فِي الحَبَشَةِ** » فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله ، بينما نحن جالسون مرت بنا عجوز من عجائز رهبانهم تحمل قلة ماء على رأسها ، فمرت هذه العجوز على فتى منهم فقام الفتى ووضع إحدى كفيه بين كتفيها ودفعها وخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت والتفتت إلى الشاب وقالت له : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فقال المصطفى ﷺ : «**صَدَقَتْ ، صَدَقَتْ ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ** » .

إي وربي كيف يقدس الله أمة لا يأخذ من شديدهم لضعيفهم ؟! إي وربى كيف يقدس الله أمة لا تحترم فيها الكرامات ؟! لا تصان فيها الأعراض والأنساب ؟! كيف يقدس الله أمة تسفك فيها الدماء ويتهم فيها البرىء ويبرأ فيها الظالم ؟!

أمة بهذه الأخلاقيات الفاسدة محكوم عليها في الدنيا بالدمار ومحكوم على أفرادها من أهل الظلم في الآخرة بالنار .

أيها المسلمون : حذر النبي ﷺ من عاقبة الظلم يوم القيامة ، فأمر

الظالمين أن يتحللوا في الدنيا قبل الآخرة من المظالم .

تدبر كلام رسول الله ﷺ ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ مِنْهُ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَم ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ** »[1].

يا عباد الله قد يستطيع الظالم الآن أن يفلت بطريق أو بآخر ، ولكن الظالم لن يفلت يوم القيامة ، فمحال أن يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لمسلم أو عنده مظلمة لأحد ، لابد أن يطهر الله أهل الظلم حتى لو كانوا من أهل التوحيد والإيمان في أرض الموقف في ساحة الحساب على بساط العدل بين يدي الرب جَلَّ وَعَلَا .

فمن كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها اليوم ، قبل أن تقف بين يدي الملك العدل جل جلاله لذلك سأل النبي ﷺ يومًا أصحابه كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة فقال : « **أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟** » قالوا :

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٤٤٩) في المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته ، والترمذي رقم (٢٤٢١) في صفة القيامة .

المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « **إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيهِ ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ** »[1].

اللهم سلم سلم !! اللهم سلم سلم !!

تصوروا معي هذا المشهد في أرض المحشر ها هو الظالم في أرض المحشر يقف بين يدي الله في ذل وخشوع وانكسار ، شخص ببصره لا يرتد لأعلى ولا لأسفل ولا يمنة ولا يسرة بل قفز قلبه من جوفه ، الشمس فوق الرووس تكاد تصهر العظام والزحام يكاد يخنق الأنفاس ، والعرق يكاد يغرق الناس ، وجهنم أتي بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها تظفر وتزمجر غضبًا منها لغضب الجبار جَلَّ وَعَلَا . لأن الله قد غضب هذا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨١) في البر ، باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٢٠) في صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص . وهو في صحيح الجامع (٨٧).

وفي هذه اللحظات !! وفي هذا الكربات !! ومع هذا الهول العصيب!! يرى الظالم وقد أحيط بمجموعه من الناس .. يا ترى من هؤلاء ؟ هؤلاء هم الذين ظلمهم في الدنيا ، فها هم المظلومون يظهروا له يوم القيامة ، ويتعلقون به ويجرونه جرا ليوقفوه بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا ، هذا يجره من ظهره وهذا يجره من لحيته وهذا يجره من يمينه وهذا يجره من يساره .

فإذا أوقفوه بين يدي الملك وأذن الله لدواوين المظالم أن تنصب وللقصاص أن يبدأ .

سترى كل من ظلمته في الدنيا نسيته ، أو تذكرته متعلقًا بك بين يدي الملك جَلَّ وَعَلَا يطالب بحقه ، وأنت مسكين ما أشد حسرتك في هذه اللحظات وأنت واقف على بساط العدل بين يدي رب الأرض والسماوات ، إذا شفهت بخطاب السيئات وأنت مفلس عاجز فقير مهين لا تملك درهمًا ولا دينارًا ، لا تستطيع أن ترد حقًّا ولا تملك أن تبدى عذرًا ، فيقال : خذوا من حسناته ، فتنظر إلى صحيفتك التي بين يديك فتراها قد خلت من الحسنات التي تعبت في تحصيلها طوال عمرك ، فتصرخ وتقول: أين حسناتي ؟! أين صلاتي ؟! أين زكاتي؟! أين دعوتي ؟! أين

علمي ؟! أين قرآني ؟! أين بري ؟! أين طاعتي ؟! أين عملي الصالح ؟! أين ؟! أين ؟! أين ....؟!

أتعرف أين هي يا مسكين ؟! لقد نقلت إلى صحائف من ظلمتهم في الدنيا والآن فنيت حسناتك ، وبقي أهل الحقوق ينادون على الله جَلَّ وَعَلَا أن يعطيهم حقوقهم من الظالم ، فيأمر الحق سبحانه أن تأخذ من سيئات من ظلمتهم في دنياك لتطرح عليك فتنظر إلى صحيفتك فترى الصحيفة قد شحنت بالسيئات ، فتصرخ وتقول : يا رب هذه سيئات والله ما اقرفتها والله ، فيقال لك : نعم إنها سيئات من ظلمتهم في الدنيا ، فتمد عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعلك تنجو في هذه اللحظات ولست بناج ، لأن الله قد حرم الظلم على نفسه وحرم الظلم بين العباد ، فيقرع النداء سمعك ويخلع النداء قلبك كما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

[إبراهيم : ٤٢ - ٥٢]

أيها الظالم : أيها اللاهي : أيها الساهي :

مَثِّل لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المَغْرُورُ ... يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ

إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُدْنِيتْ ... حَتَّى عَلَى رَأْسِ العِبَادِ تَسِيرُ

وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ ... وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ

وَإِذَا الجِبَالُ تَقَلَّعَت بِأُصُولِهَا ... فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ

وَإِذَا البِحَارُ تَفَجَّرَتْ نِيرَانُهَا ... فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ الجَحِيمِ تَفُورُ

وَإِذَا العِشَارُ تَعَطَّلَتْ وَتَخَرَّبَتْ ... وَخَلَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ

وَإِذَا الوُحُوشُ لَدَى القِيَامَةِ أُحْشِرَتْ ... وَتَقُولُ لِلأَمْلَاكِ أَيْنَ تَسِيرُ

وَإِذَا الجَلِيلُ طَوَى السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ... طَيَّ السِّجِلِّ كِتَابُهُ المَنْشُورُ

وَإِذَا الصَّحَائِفُ نُشِّرَتْ وَتَطَايَرَتْ ... وَتَهَتَّكَتْ لِلْعَالَمِينَ سُطُورُ

وَإِذَا الوَلِيدُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ ... يَخْشَى القِصَاصَ وَقَلْبُهُ مَذْعُورُ

هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ جِنَايَةً ... كَيْفَ المُصِرُّ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ؟

وَإِذَا الجَحِيمُ تَسَعَّرَتْ نِيرَانُهَا ... وَلَهَا عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ زَفِيرُ

وَإِذَا الجِنَانُ تَزَخْرَفَتْ وَتَطَيَّبَتْ ... لِفَتى عَلَى طُولِ البَلَاءِ صَبُورُ

أيها المسلمون : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، فسوف يقتص الملك العدل الحكيم العليم الخبير للمظلومين ، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

أَيُّهَا المَظْلُومُ صَبْرًا لَا تَهِنْ ... إِنَّ عَيْنَ اللهِ يَقْظَى لَا تَنَامْ

نَمْ قَرِيرَ العَيْنِ وَاهْنَأْ خَاطِرًا ... فَعَدْلُ اللَّهِ دَائِمٌ بَيْنَ الأَنَامْ

ومن أعظم الأمور عند الملك ، ومن أظلم الظلم سفك الدم بغير صله وهذا هو عنصرنا الثالث .

ثالثا : حرمة الدماء

إن حرمة الدماء عند الله عظيمة ، لذا كان أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء .

ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : ((**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**))[1].

أرجو أن ينتبه إخواننا إذ أنه لا تعارض بين هذا الحديث وبين الحديث الصحيح الذي رواه أصحاب السنن وفيه يقول المصطفى ﷺ : ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ : صَلَاتُهُ** ...))[2].

إذًا كيف نزيل هذا التعارض بين الحديثين ؟!

قال أهل العلم : أما الصلاة هي أول حق لله يقضي الله فيه ، وأما الدماء هو أول حق يقضي الله فيه للعباد ، ولذلك جمعت رواية النسائي بين الأمرين في لفظ واحد فقال المصطفى ﷺ : ((**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلَاةُ وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ العِبَادِ فِي الدِّمَاءِ**)) .

فالله هو خالق الإنسان وواهب الحياة له ، فلا يجوز لأحد أن يسلب الحياة إلا خالقها وواهبها ، أو بأمر شرعه هو سبحانه وتعالى في نطاق

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٨٦١) الديات في فاتحته ، ومسلم رقم (١٦٧٨) في القسامة ، والترمذي رقم (١٣٩٦) في الديات .

(٢) رواه الترمذي (٤١٣) في الصلاة ، النسائي (١/ ٢٣٢) في الصلاة ، الحاكم (١/ ٢٦٣).

الحدود ، يقول الله عزَّ وَجَلَ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام : ١٥١]

وهذا الحق واضح محدود لا غموض فيه ولا لبس ، حدده المصطفى فقال والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال ﷺ : ((**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**))[1] هذه هي الحالات الثلاثة التي يحل فيها دم المسلم .

الحالة الأولى : القصاص (النفس بالنفس)

والقصاص يقوم به ولي أمر المسلم ، أو من ينوب عنه ، إذ أن الأمر ليس متروكًا للأفراد حتى يتحول المجتمع إلى فوضى ، القصاص فيه حياة المجتمع ، فإن القاتل إن علم أنه سيقتل سيفكر ألف مرة قبل أن يتطاول على النفس التي خلقها رب الأرض والسماء ، لذا نجد حياة المجتمع في القصاص ، أليس الله هو القائل : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٩]

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٨٧٨) في الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿ النفس بالنفس والعين بالعين ﴾ ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، وأبو داود رقم (٤٣٥٢) في الحدود ، والترمذي رقم (١٤٠٢) في الديات ، و النسائي (٧/ ٩٠، ٩١)

الحالة الثانية : الثيب الزاني

الثيب الزاني : هو المحصن الذي رزقه الله بزوجة في الحلال الطيب ، فترك زوجته في الحلال ، وراح يرتع في مستنقع الرذيلة الآثم العفن ، فدنس العرض وانتهك الشرف ، فهذا يقتل رجمًا حتى الموت ، وقد يستصعب الإنسان منا هذا الحكم ، ولكنه سيقول يقتل ثم يقتل ثم يقتل إن مست كرامته أو انتهك عرضه أو دنس شرفه .

الحالة الثالثة : الردة

إن الذي يترك دين الإسلام بعد أن منَّ اللـه به عليه ، هذا يقتل لقول النبي ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث ابن عباس : « **مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ** »[1].

هذه هي الحالات الثلاثة التي يجوز فيها لولي الأمر المسلم ، أو من ينوب عنه أن يسفك الدم في حدود الشرع التي حددها الله جَلَّ وَعَلَا .

أما فيما عدا ذلك فإن قتل النفس البريئة أمر تشيب له الرؤوس .

اسمع وتدبر قول الله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٦٩٢٢) في استتابه المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، ومالك في الموطأ (٢/ ٧٣٦) في الأقضية ، والترمذي رقم (١٤٥٨) في الحدود ، باب ما جاء في المرتد ، وأبو داود رقم (٤٣٥١) في الحدود ، والنسائي (٧/ ١٠٤ ، ١٠٥) .

الله أكبر !! انظروا إلى حرمة الدماء !

في صحيح البخاري من حديث ابن عمر أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا** » قال : وقال ابن عمر : إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حل[1].

وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِرًا أَوْ الرَّجُلَ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا** »[2] .

وفى الحديث الذي رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع من حديث بريدة أنه ﷺ قال : « **قَتْلُ الْمُؤْمِنْ أَعْظَمُ عِنْدِ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا** »[3].

وفي الحديث الذي رواه النسائي والبخاري في التاريخ وصححه الألباني من حديث عمر بن الحمق الخزاعي أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **مَنْ**

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٦٨٦٢) في الديات في فاتحته .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٨٤٩) والنسائي (٧/ ٨١) في تحريم الدم في فاتحته وهو في صحيح الجامع .

(٣) رواه النسائي (٧/ ٨٣) في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، وهـو في صحيح الجامع (٤٣٦١) .

أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بريءٌ مِنَ القَاتِلِ وَإِذَا كَانَ المَقْتُولُ كَافِرًا »[١].

هذه حرمة الدماء عند رب الأرض والسماوات ، لذلك كانت الدماء هي أول شيء يقضي فيه الله بين العباد .

بل اسمع إلى هذا الحديث البليغ العجيب لمشهد القتيل مع قاتله في أرض المحشر ، والحديث رواه النسائي بسند حسن يقول النبي ﷺ : « **يَجِيءُ المَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالقَاتِلِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَوْدَاجُهُ**(•) **تَشْخَبُ**(*) **دَمًا بَيْنَ يَدِي الله فَيَقُولُ : يَارَبِّ ! سَلْ هَذَا فِيمَا قَتَلَنِي ؟ حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ العَرْشِ** » فذكروا لابن عباس التـوبة ، فتلا هذه الآية : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ قال : « **مَا نُسِخَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَلَا بُدِّلَتْ ، وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ؟** »[٢] .

رابعًا : القصاص بين المؤمنين

هل يحدث قصاص بين أهل التوحيد والإيمان ؟!!

نعم .. نعم .. ألم أقل لك أيها الأخ الكريم أنه لن يدخل الجنة أحد ولو

---

(١) صححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٤٤١) وهو في صحيح الجامع (٦١٠٣) .

(•) أوداجه : عروق عنقه . * تشخب : تسيل .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٢) في التفسير ، والنسائي (٧/ ٨٥ ، ٨٧) في تحريم الدم وأخرجه أحمد في المسند (٢٣٠٠٤، ٢٣٠٥٨) وهو في صحيح الجامع (٨٠٣١) .

كان موحدًا لله مطيعًا لله متبعا لرسول الله أبدًا ، وعنده مظلمة لأخيه .

اسمع لحبيبك النبي محمد ﷺ هذا الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ إِلَى الجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَأَحَدُكُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا** »[1].

أيها الأحبة الكرام : بذلك أكون قد أنهيت الحديث في الجملة عما يحدث يوم القيامة في ساحة الحساب ، وبقي أن نتعرف في اللقاء المقبل بإذن الله إن قدر الله لنا البقاء واللقاء عن صنف مبارك كريم من هذه الأمة الميمونة يدخل الجنة مباشرةً بلا عذاب ولا حساب .. فيا ترى من هؤلاء ؟!!

الجواب في اللقاء القادم بإذن الله تعالى .

... الدعـــــاء

(١) رواه البخاري رقم (٢٤٤٠) في المظالم ، باب قصاص المظالم .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الجنة بغير حساب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

نحن اليوم بتوفيق الله جَلَّ وَعَلَا على موعد مع اللقاء السابع عشر من لقاءات هذه السلسلة العلمية الكريمة **في رحاب الدار الآخرة**

أحبتي في الله : اسمحوا لي أن نرجع بالذاكرة إلى الوراء قليلا ، فسوف نجد أننا قد توقفنا في اللقاءات الأربع الماضية مع مشهد الحساب الرهيب ، وتعرفنا على أهم قواعد العدل التي يحاسب الله بها عباده يوم القيامة ، وعلى أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق العباد ؟! فالموقف عصيب والمشهد رهيب مهيب ، فالبشرية كلها تقف على بساط العدل بذل وانكسار بين يدي الواحد القهار ، منهم من أخذ كتابه بيمينه وحاسبه الله حسابًا يسيرًا ، ومنهم من أخذ كتابه بشماله وحاسبه الله حسابًا عسيرًا ، ومنهم من ينطلق مباشرة إلى الجنة بلا عذاب ولا سابقة حساب .

يا ترى من هم هؤلاء السعداء ؟!!

الجواب : هو موضوع لقائنا اليوم مع حضراتكم بإذن الله جَلَّ وَعَلَا ، فأعيروني القلوب والأسماع ، فإن الموضوع من الخطورة بمكان ، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

تعالوا بنا على وجه السرعة لنسأل الصادق المصدوق المصطفى ﷺ من هم هؤلاء الأخيار الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب ؟!

الجواب مباشرة كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم من أصحاب المسانيد والسنن من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ** - وفى رواية صحيحة في سنن الترمذي - أن هذا العرض كان ليله الإسراء - **فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهطُ** - يعنى : العدد القليل الذي يقل عن عشرة - وفى رواية « **وَمَعَهُ الرهيطُ** » - **وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِي وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ إِلَي الأُفُقِ الآخَرِ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ** » ثم نهض النبي ﷺ فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون

الجنة بغير حساب فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا - وذكروا أشياء - فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « **مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟** » فأخبروه ، فقال : « **هُم الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ ، ولَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** » وفي رواية البخاري « **وَلَا يَكْتَوُون** » فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « **أَنْتَ منهم** » ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « **سَبَقَكَ بِهَا عُكاشَةُ** »[١].

وفي رواية في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ** »[٢].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٧٥٢) في الطب ، باب من لم يرق ، ومسلم رقم (٢٢٠) في الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، والترمذي رقم (٢٤٤٨) في صفة القيامة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٤٢) في الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألف بغير حساب ، ومسلم رقم (٦٥٤٢) في الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

وفى رواية وأرجو أن تتدبروا هذه الرواية الرقراقة الرقيقة الكريمة العظيمة ، والحديث رواه أحمد في مسنده ، والبيهقي في السنن ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح سنده جيد ، بل سعدت كثيرًا عندما وجدت شيخنا الألباني قد صحح الحديث بشواهده في السلسلة الصحيحة من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال : « **سَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ فَقَالَ : لَكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، قُلْتُ : رَبِّ زِدْنِي ، فَحَثَا لِي بِيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ** »[1].

الله أكبر .. يالها من كرامة !! يا لها من مكانه !!

وَمِمَّا زَادَنِي فَخْــــرًا وَتِيهَــا ... وَكِـدْتُ بِأَخْمُصِـي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي ... وَأَنْ أَرْسَـلْتَ أَحْمَــدَ لِي نَبِيَّـا

فيا من خلقك الله موحدا .. وأرسل إليك النبي محمدًا ﷺ .. ضع أنفك في التراب لله شاكرًا .

ولك أن تتصور هذا الفضل من صاحب الفضل جَلَّ وَعَلَا .

مَنْ هؤلاء السعداء الذين ينقلون الجنة بدون حساب ولا عذاب ؟!! أصحاب النبي ﷺ شغلهم هذا الوصف من رسول الله لهؤلاء الأخيار

---

(١) صححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١٨٧٩) ، وهو في صحيح الجامع (٣٥٩٠) .

الذين لا يقفون في أرض المحشر للحساب بل يدخلون الجنة بلا سابقة عذاب ، فقال بعض الصحابة : هؤلاء هم أصحاب النبي ﷺ الذين صحبوا رسول الله ، الذين اكتحلت عيونهم برؤية الحبيب محمد فالصحبة شرفها عظيم ..!!.

ثم قال البعض الآخر : هؤلاء الذين يقول عنهم النبي أنهم سيدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا وهذه هي الأخرى عظيمة ، فمن نشأ في الإسلام وتربى وترعرع في بستان التوحيد وتغزى وتنفس رياحين الإيمان و السنة فقد فاز فوزًا عظيمًا ولم لا !!

وقد قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء : ٤٨]

بل وخاطب أمام الموحدين ، وقدوة المحققين ، وسيد المرسلين محمد ﷺ فقال له سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

[الزمر : ٦٥ - ٦٦]

وفى صحيح البخاري من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « **مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارِ** » ، وقلت أنا : ومن مات لا يشرك بالله

شيئًا دخل الجنة [1] . فالشرك ظلم عظيم ، والتوحيد فضل عظيم .

ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ** » وفي رواية عتبان بن مالك : « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ تَعَالَى** »[2].

فالتوحيد فضل عظيم إذًا لا تعجب إذا سمعت أن بعض أصحاب النبي ﷺ يقولون عن هؤلاء لعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا ، ولكن فجأة وهم يتباحثون ويتناقشون ، هذا يقول هم أصحاب النبي والآخر يقول هم الموحدون الذين لم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء فخرج النبي ﷺ عليهم .

قال : « **مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟** » فأخبروه فقال ﷺ : « **هُمُ الَّذِينَ لَا**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٢٣٨) في الجنائز في فاتحته ، ومسلم (٩٢) في الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٤٣٥) في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٩) في الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، والترمذي رقم (٢٦٤٠) في الإيمان .

يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

فهم قوم حققوا التوحيد لله وتركوا الشرك كله دقه وجله وأنزلوا حوائجهم كلها بالله سبحانه ، ولم ينزلوه بأحد من خلقه مهما كان شأنه.

فهم « **لَا يَتَطَيَّرُونَ** » أي : لا يتشاءمون ، فقد كان من عادة العرب في الجاهلية أن يأخذ أحدهم طيرًا فيطيره فإن طار هذا الطائر يمينًا فيستبشر ويسافر ، فإن طار الطائر يسارًا تشاءم الرجل ، وقال : إذًا لا أخرج من بيتي ولا أسافر !!

فجاء **الإسلام** ليقضي على هذه الطيرة ، وهذا التشائم ، ليعلم الناس أن النافع الضار هو الله ، وأن الأمور كلها بيد الله سبحانه ، فلا يتشاءمون ولا يتطيرون بمكان أو زمان ، لأنهم يعلمون أن خالق المكان والزمان هو الله ، وأن الذي يدبر أمر المكان والزمان هو الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : كنت ردف النبي ﷺ فقال : « **يَا غُلَامُ ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَاعْلَمْ أَنْ لَوِ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَأَنْ لَوْ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ**

اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »[1].

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إِنَّ الهَمَّ مُنْفَرِجٌ ... أَبْشِرْ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الفَارِجَ اللهُ

وَإِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ

إِنَّ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسَرَةً ... فَلَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللهُ

وَاللهِ مَا لَكَ غَيْرُ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ... فَحَسْبُكَ اللهُ فِي كُلٍّ لَكَ اللهُ

« وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ » أي : لا يطلبون الكي ، ولا الرقية من أحد ، انظر إلى عظيم التوكل ، فإن الأمر ليس بالأمر الهين ، ولكن لا مانع إن تقدم أحد لرقيتهم أن يقبلوا منه ، ولكنهم لا يطلبون من أحد ، لم ينزلوا حوائجهم عند باب أحد من الخلق ، لم ينزلوا حوائجهم إلا على باب الحق سبحانه وتعالى ، فقلوبهم من الخلق خالية وبها متعلقة .

والذي حملهم على هذا كله هو تمام توكلهم على الله ، وكمال تفويضهم إلى الله ، وعظيم اعتقادهم أن النافع الضار هو الله ، وأن الأمور كلها بيد الله .

شعار أحدهم اللهم أنى أبرأ من الثقة إلا بك ، وأبرأ من الأمل إلا فيك ، وأبرأ من التسليم إلا لك ، وأبرأ من التفويض إلا إليك ، وأبرأ من التوكل إلا عليك ، وأبرأ من الرجاء إلا ما في يديك الكريمتين .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة ، وهو في صحيح الجامع (٧٩٥٨) .

« وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » : التوكل الحقيقي : هو صدق اعتماد القلب على الله ، التوكل هو جماع الإيمان ، التوكل هو نهاية تحقيق التوحيد ، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ولا يقدح فيه .

قال الشاطبي : إن الدخول في الأسباب أمر واجب شرعًا .

قال ابن القيم : لا يتم التوحيد إلا بمباشرة الأسباب والأخذ بالأسباب لا يقدح في التوكل .

قال جمهور السلف : يحصل التوكل إذا وثق العبد بربه وعلم أن الأمور كلها بيديه ثم أخذ بالسنة فباشر الأسباب مع اعتقاده أن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع إلا بأمر مسبب الأسباب جل جلاله .

التوكل الحقيقي هو : أن نأخذ بالأسباب ، وأن نعتمد على مسبب الأسباب ، وأن نكون على يقين بأن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع إلا بأمر الله جَلَّ وَعَلَا ، هذا التوكل أمر الله به سيد المتوكلين محمد فقال تعالى :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان : ٥٨]

وهذا سيد المتوكلين محمد ﷺ في يوم الهجرة قد أخذ بالأسباب ، وهو يعلم علم اليقين أن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ، يستأجر مشركًا ليدله على الطريق ويحمل الراحلة ويحمل الزاد ، بل في يوم أُحد يحارب

النبي ﷺ ويظاهر بين درعين ، وكان يدخر لقومه ولأهله القوت وهو سيد المتوكلين ، فالتوكل الحقيقي أن نأخذ بالأسباب ، أن نبذر الحب في الأرض ونتعهد الزرع بالري والحرث والتنقية ، وتتعلق قلوبنا بعد ذلك بمسبب الأسباب لا بالأسباب ، هذا هو التوكل الذي أمر الله به نبيه .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان : ٥٨]

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران :١٥٩]

وأثنى الله على أنبيائه ورسله الذين كما جاء مسجلًا في الكتاب العزيز : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٢]

وأثنى على أصحاب النبي ﷺ كما جاء في الكتاب العزيز ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣]

وأثنى على أوليائه كما جاء في الكتاب العزيز ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤]

التوكل على الله شعار الأنبياء ، وعمل الأنبياء .

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – قال :

« **حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ** » قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قِيل له : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1] [آل عمران : ١٧٣]

انظروا إلى ثمرة التوكل ! ما هي نتيجة وثمرة التوكل على الله ؟!

قال إبراهيم حينما ألقى في النار مقيدًا « حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ » فكانت النتيجة والثمرة أن الملك سبحانه وتعالى أمر النار فقال لها : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩]

وبالفعل ، وبطلاقة قدرة الله لم تأكل النار إلا قيود إبراهيم وجلس إبراهيم في النار معافى .

وفى رواية ضعيفة « **أن جبريل نزل إليه في النار وقال : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، وإن كانت لله فعلمه بحالي غنى عن سؤالي** » .

وقال سيد الرجال محمد ﷺ في غزوة أُحد ، والجروح مثخنة والدماء تنزف « **حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** » .

والصحابة رضوان الله عليهم قد تعرضوا لمحنة قاسية وفي اليوم التالي أمرهم النبي ﷺ بالخروج فخرجوا فكانت الثمرة والنتيجة !!

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٤٥٦٣) في تفسير سورة آل عمران .

قال تعالى : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤]

التوكل نتعلمه من رسول الله كما في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله كان في غزوة ذات الرقاع ، يقول : كنا إذا رأينا شجرة ظليلة تركناها فنام النبي ﷺ تحتها وقد علق سيفه على غصن من أغصانها ، فجاء رجل مشرك فرأى النبي ﷺ نائمًا ورأى السيف معلقًا ، ففرح فانخرط السيف - أي : أخذه - وأراد أن يهوي على المصطفى ﷺ ، فالتفت إليه النبي ﷺ وهو نائم على ظهره فقال المشرك لرسول الله : أما تخافني ؟! فقال المصطفى ﷺ : « **لَا !!** » فقال المشرك : فمن يمنعك الآن مني يا محمد ؟! قال المصطفى ﷺ : « **اللهُ !!** » ، فسقط السيف من يديه فأخذ النبي ﷺ السيف بيده ، وقال للمشرك : « **مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟** » فقال المشرك : كن خير آخذ يا محمد ، قال المصطفى ﷺ : « **لَا حَتَّى تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله** » .

قال : لا ، إِلَّا أني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون في قوم يقاتلونك ، فخلى النبي ﷺ سبيله فانصرف الرجل لقومه ليقول : لقد جئتكم من عند خير الناس - أي : من عند محمد بن عبد الله - .

ومن أجل وأسمى مقامات التوكل ، ما كان من أمر هاجر أم إسماعيل - عليهما السلام - حينما لبست ثوب الصبر والجلد وهي خارجة من مصر ، كما في صحيح البخاري من حديث ابن عباس : « لما أخذها إبراهيم بولدها إسماعيل وذهب عند دوحة فوق زمزم وسط صحراء مقفرة جرداء رمال ملتهبة تنعكس أشعة الشمس عليها فتكاد الأشعة المنعكسة عليها أن تخطف الأبصار ، وإبراهيم يضع هاجر ورضيعها ويضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء وينصرف ، فتنظر هاجر لا ترى إنسًا ولا أُنسًا ، لا ترى بيتًا ، لا ترى شيئًا على الإطلاق ، ولك أن تتصور هذا المشهد الذي يكاد والله يخلع القلب ، ومع هذا المشهد هَمَّ إبراهيم بالانصراف فتعلقت به هاجر - عليها السلام - قالت : يا إبراهيم إلى من تتركنا في هذا المكان الذي لا أنس فيه ولا شيء وسكت إبراهيم فتعلقت به ، فأشار برأسه إلى السماء ، فقالت : آللـه أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذًا لن يضيعنا .

فانصرف إبراهيم ﷺ ، وجلست هاجر .. نفد الطعام .. نفد الشراب ولكنها تحمل في قلبها توكلًا على الله جَلَّ وَعَلَا لا تقوى الجبال على حمله ، بل والله يعجز على حمله الرجال ، إنه اليقين .. إنه التوكل على الله .. إنه

صدق الثقة بالله ، فمن توكل عليه كفاه .. ومن اعتصم به نجاه .. ومن فوض إليه أموره هداه .

قال جَلَّ في علاه : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣]

ومن أسمى مواقف التوكل على الله موقف أم موسى ، إنها مواقف نساء ولكن والله لا تتحملها الجبال ، ولا تستطيع الرجال الصبر عليها ، إنها مواقف يعجز البليغ الفصيح التعبير عنها ، ولكن عبر عنها الله وسجلها في قرآنه العظيم فقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧]

هل تظنون يا أخوه أن أمًّا تخشى على ولدها فتلقيه في البحر؟!! إن المألوف أن الأم إذا خافت على ولدها ألصقته بصدرها وأرضعته ، وأضفت عليه من حنانها وشفقتها ما تعلمون .

ولكن هنا تتجسد طلاقة قدرة الله حيث يأمر الله أم موسى إن خافت على ولدها أن تلقيه في اليم ؟!

إذ أن فرعون حينذاك يذبح الأطفال الذكور ويستحي البنات والنساء .

قال تعالى : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن

رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٩]

لكن الملك جَلَّ جَلَالُهُ أذن وأمر أن لا يتربى هذا الطفل الزكي ويترعرع إلا في أحضان فرعون ، وفي قصر فرعون .

قال تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص : ٨]

سبحان الله !! سبحان الله !! فرعون هو الذي يربي موسى ؟! هو الذي يرعى موسى حتى يشب ، إن طلاقة قدره الله لتنطق في هذا الحدث .

وبستار رقيق جدا قد لا يتصوره البعض يحمي الله نبيه موسى - لا بالجنود ولا بالطائرات ولا بالدبابات - إن الله قد ألقى في قلب امرأة فرعون حب موسى فتشبثت به ، ولقد قص الله حكاية عن امرأة فرعون :

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ٩]

وبطلاقة قدرة الله أذعن فرعون لزوجته ، وهو الذي يذبح كل طفل ولكن قدر الله أن يعيش موسى ويتربى في حضن عدوه .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢]

ولقد ألقى الله المحبة لموسى في قلب امرأة فرعون لتتولى هي وفرعون

تربيه هذا الطفل المبارك ، بل ولا يقف الفضل عند هذا الحد كثمرة من ثمرات التوكل لأم موسى ، بل لا يلتقم موسى ثدي أي امرأة إلا أمه قال الله : ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[القصص : ١٢- ١٣]

فكانت ثمرة توكلها عظيمة أن رد إليها ابنها ، وأصبحت ترضعه في أمان ولقد كانت قبل أيام ترضعه على خوف من فرعون وملئه .

لكن ها هي طلاقة قدرة الله فهي ترضعه في قصر فرعون ، ألم يقل الملك : ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

إن وعد الله حق ، فلم يرد الله موسى إلى أمه فقط بل شرفه بالنبوة .

أيها الأحبة الكرام : إن هذا الموقف يحتاج منا وقفات لنعلم ولنتذوق حلاوة التوكل على رب الأرض والسماوات .

فيقينًا لو تجولنا في بستان المتوكلين ربما قضينا العمر جله وما استطعنا أن نقف أمام كل زهراته ووروده ورياحينه لنستنشق عبيرها ولنستمتع بأريجها وعطرها ، فإن هؤلاء الأطهار هم عمر الزمان ونبض الحياة ،

ومن المحال أن نحسب أنفاس الزمن وأن نقدر نبض الحياة .

فلقد أنجت الأمة الميمونة أمة الحبيب المصطفى محمد ﷺ على طول تاريخها رجالًا من المتوكلين على الله ، لو وقفنا أمام سيرهم العمر جله لانقضت الأعمار وانقضت الآجال وما انتهينا من الطواف والتجوال في هذا البستان العظيم .

فهذا هو صاحب ذروة سنام الصديقية في هذه الأمة إنه أبو بكر .

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالإنفاق فجاء الصديق بكل ماله ، هذا أمر عظيم جليل ! من منا يقدر عليه الآن ؟!! من منا يقدر على ربعه ؟! بل من منا يقدر على أن يتخلص من جزء كبير من ماله !!

عمر ﷺ على قدر توكله جاء بنصف ماله ، لكن الصديق جاء بكل ماله فقال المصطفى ﷺ « **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟** » قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

توكل ورب الكعبة لا يستطيع بليغ أن يصفه لحضراتكم الآن .

وهذا عمر كما روى ابن أبي الدنيا بسند صحيح : يرى أناس من اليمين فيقول : من أنتم ؟! قالوا : المتوكلون ، قال : بل أنتم المتكلون ، إن التوكل من ألقى الحب وتوكل على الله .

... الدعـــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الميـــــزان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء -١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتاب الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ ، وكلَّ ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

أحبتي في الله :

نحن اليوم بحول الله ومدده على موعد مع اللقاء الثامن عشر من لقاءات هذه السلسلة الكريمة **في رحاب الدار الآخرة** ، وكنا قد توقفنا في اللقاء الماضي مع البشرية كلها وهى تقف كلها على بساط العدل في ساحة الحساب بين يدي الملك جَلَّ جَلَالُهُ ، فهل يا ترى بانتهاء الحساب تنتهي أهوال القيامة ؟!! كلا .. !! كلا .. !!

بل إذا انقضى الحساب أمر الله جَلَّ وَعَلَا أن ينصب الميزان ، فإن الحساب لتقرير الأعمال ، وإن الوزن لإظهار مقدارها ليكون الجزاء بحسابه ، وليظهر عدل الله للبشرية كلها في ساحة الحساب فتوزن أعمال المؤمن لإظهار فضله ، وتوزن أعمال الكافر لإظهار خزيه وذله على رؤوس الأشهاد وما ربك بظلام للعبيد .

والآن نسأل ...

ما هو الميزان ؟!

ما الذي يوزن فيه ؟!!

ما هي الأعمال التي تثقل في الميزان يوم القيامة ؟!!

هذه الأسئلة الثلاثة هي موضوع لقائنا مع حضراتكم ، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

أولا : ما هو الميزان ؟!

الميزان على صورته وكيفيته التي يوجد عليها الآن من الغيب الذي أمر الصادق المصدوق أن نؤمن به من غير زيادة ولا نقصان ، وهذه هي حقيقة الإيمان ، فيا خسران من كذب بالغيب وأنكر وضع الميزان ، وفتح في آيات الرحيم الرحمن واستهزاء بكلام سيد ولد عدنان ، ثم تطاول فقال قول ملحد خبيث جبان : (لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال أو الفوال) وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا [1] .

لأنه بجهله وغبائه وانغلاق قلبه ظن أن ميزان الآخرة كميزان الدنيا ، ومن البديهي أن جميع أحوال الآخرة لا تكيف أبدًا ولا تقاس البتة بأحوال الدنيا ، ولقد نقل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إجماع أهل السنة على : الإيمان بالميزان وأن الميزان له لسان وكِفتان - بكسر الكاف وفتحها واللغتان صحيحتان - وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة .

---

(١) شرح الطحاوية بتحقيق الألباني : ص : ٤١٩ .

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية المشهورة قال: والذي دلت عليه السنة أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان حسيتان مشاهدتان . ا.هـ[1] .

والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات .

أيها المسلم لا يعلم حقيقة الميزان وطبيعة الميزان وكيفية الميزان إلا الملك الرحمن ، وإلا فهل تستطيع أن تتصور ميزانا يوضع في يوم القيامة يقول فيه المصطفى ﷺ : « **لَوْ وُزِنَتْ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ لَوَزَنَهَا** » .

كيف تصور هذا الميزان ؟!

ففي الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط مسلم وأقره الحافظ الذهبي بل وصحح إسناد الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث سلمان الفارسي أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **يُوضَعُ المِيزَانُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ لَوَزَنَهُا ، فَإِذَا رَأَتْهُ المَلَائِكَةُ قَالَتْ : يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا ؟ قَالَ : لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي ، فَتَقُولُ المَلَائِكَةُ : سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ** » .

تأمل .. لقد عرفت الملائكة أنها ما عبدت الرحمن حق عبادته من شدة الهول والرعب ، فإن مشهد الميزان من أرهب مشاهد القيامة فالميزان حق ،

---

(١) شرح الطحاوية بتحقيق الألباني ص ٤١٧ .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾

[الأنبياء : ٤٧]

بَيَّنَ الله تعالى أنه يضع الموازين بالقسط - أي : بالعدل - وكفى بالله جَلَّ وَعَلَا حسيبا ، والراجح من أقوال أهل العلم أن الميزان يوم القيامة ميزان واحد .

فما جوابك على الجمع في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾ الراجح من أقوال العلماء أن الجمع في الآية باعتبار تعدد الأوزان أو الموزون ، لأن الميزان يوزن فيه أشياء كثيرة ، قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾

[المؤمنون : ١٠١ - ١٠٤]

انظر إلى دقة عدل الملك من ثقل ميزانه لو بحسنة واحدة سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا ، ومن خف ميزانه شقي شقاوة لا سعادة بعدها أبدًا ، أما من استوت موازينه ، أي استوت حسناته مع سيئاته ، فهو على الراجح من أقوال العلماء من أهل الأعراف الذين قصرت بهم سيئاتهم فلم

يدخلوا الجنة ومنعتهم حسناتهم من أن يدخلوا النار ، يحبسون على قنطرة بين الجنـة والنار ، إذا التفت أهل الأعـراف إلى أهل الجنـة سلموا عليهم ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٦]

أي لم يدخل أهل الأعراف الجنة وهم يرجون رحمه الله ، ويطمعون أن يدخلوا الجنة ، وإذا التفتوا إلى الناصية الأخرى ورأوا أهل الجحيم تضرعوا إلى الملك العليم ألا يجعلهم مع القوم الظالمين .

قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ۝٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٦ - ٤٧]

إذا أيها المسلم الموحد : حري بك إذا ما تعرفت على أقسام الموازين الثلاثة ألا تحتقر أي عمل صالح ولو قل ، وألا تستهين بمعصية واحدة ولو صغيرة ، فاعلم أنه بحسنة واحدة يثقل الميزان وبسيئة واحدة يخف الميزان ، بل بكلمة واحدة نقاد إلى رضا الرحمن ، وبكلمة واحدة ننال سخط الجبار .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا فِي الجَنَّةِ ، وَإِنَّ العَبْدَ**

لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا فَيَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ »[1] .

فالكلمة لها خطرها الجسيم في دين الله فبكلمة تنال الرضوان ، وبكلمة تتعرض لسخط الرحمن ، فحسنة تثقل ميزان العبد وتدخله الجنة ، وسيئة تخف ميزان العبد وتدخله النار ، لذا ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال : « **لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ** »[2].

لا تقل هذا عمل بسيط ، هذه طاعة صغيرة أو حقيرة ، فكم من عمل صغير عظمته النية !! وكم من عمل عظيم حقرته النية !!

فلا تحقرن من المعروف شيئًا فإن عجزت فإنك لن تعجز أيها المسلم أن تهش وتبش في وجه إخوانك ، بل لقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة : « **أَنَّ امْرَأَةً بَغْيًا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يَطُوفُ بِبِئْرٍ ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ العَطَشِ ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا** – أي أنها استقت له من البئر ، والموق هنا هو الخف – **فَغُفِرَ لَهَا** »[3].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٦٤٧٨) في الرقاق ، باب حفظ اللسان ، ومسلم (٢٩٨٨) في الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ، والترمذي في الزهد .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٢٦) في البر والصلاة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء .

(٣) صحيح : رواه البخاري رقم (٣٣٢١) بدء الخلق ، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم رقم (٢٢٤٥) في السلام ، فضل سقى البهائم المحتبسة ، واللفظ له ، ورواه أيضًا أبو داود رقم (٢٥٥٠) في الجهاد .

أود أن أقول : إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا فكيف تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا ؟!

نعم نحتاج إلى رحمة ، نحتاج إلى رفق ، فالرحمة والرفق لا يهدمان ولا يفسدان أبدًا ، والشدة والعنف يهدمان ويفسدان ، هذه سنة الله في خلقه ، ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع الرفق من شيء إلا شانه .

ففي الصحيحين البخاري ومسلم من حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - قال ﷺ : « **عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتَ جُوعًا ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ ، قَالَ : فَقَالَ - والله أعلم - لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَيَتْهَا حِينَ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ** »[1].

لذا يأمرنا الصادق المصدوق كما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم يقول ﷺ : « **اتَّقُوا النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** »[2].

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٢٣٦٥) في المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، واللفظ له ، ومسلم (٢٦١٩) في البر والصلاة ، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١٤١٧) في الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ، ومسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة باب الحث على الصدق ولو بشق تمرة ، والنسائي (٥/ ٧٤ ، ٧٥) في الزكاة .

ثانيا : ما الذي يوزن في الميزان ؟

أيها الأحبة في الله :

لقد اختلف أهل العلم في الجواب على هذا السؤال على ثلاثة أقوال ، فأعرني قلبك وسمعك جيدا فإن الموضوع منهجي دقيق يحتاج إلى حسن متابعة .

أولًا : القول الأول .

إن الذي يوزن في الميزان هو الأعمال ذاتها - أي أعمال العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وبر وصدقة وغير ذلك من الطيبات الصالحات .

ولكن رفض البعض وقالوا : هذه الأعمال أعراض لا أجسام ، والأعراض لا توزن ولا توضع في الميزان ، فكيف توزن الصلاة وهى ليست حجم ؟! وكيف توزن الزكاة وهي كذلك ؟! فكيف تقولون بأن الأعمال هي التي توزن يوم القيامة ؟!

والجواب : أن الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة يحول الأعراض إلى أجسام توضع في الميزان يخف الميزان ويثقل بحسب الحسنات والسيئات .

والأدلة على ذلك من السنة الصحيحة كثيرة ، وإليك الأدلة الصحيحة من السنة .

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال :

« **كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ هُمَا : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ** »(١).

كلمتان – عرض وليس جسمًا – بهما يثقل الميزان .

بل في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وصححه شيخنا الألباني في مشكاة المصابيح من حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ** »(٢).

فحسن الخلق أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة ، بل وأخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن القرآن الكريم يأتي يوم القيامة ؛ ليقف أمام العبد بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا على هيئة غمامة ، أي على هيئة ظلة على رأس العبد يوم القيامة ليشفع له أمام الله ، بل ويحاج القرآن عن العبد بين يدي الحق تبارك وتعالى .

اسمع ماذا قال المصطفى ﷺ والحديث رواه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي يقول الصادق المصدوق ﷺ : « **اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٤٠٦) في الدعوات ، باب فضل التسبيح ، ومسلم رقم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .
(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤) في البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، وأبو داود (٤٧٩٩) في الأدب ، باب حسن الخلق ، وهو في صحيح الجامع (٥٧٢١) .

شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ : البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ - السحرة - »[1].

وفى صحيح مسلم يقول المصطفى ﷺ : « يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا »[2] ، أي بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا .

كل هذه أدلة من السنة الصحيحة على أن الأعراض تتحول يوم القيامة إلى أجسام وما استطعنا أن نعي كل هذه الحقائق إلا لأننا أردنا أن نحكم قوانين الآخرة الغيبية بقوانين الدنيا الحسية فعجزنا .

أيها المسلم : لا يستطيع أحد منا الآن أن يعاند أو يكابر أو يمتنع عن

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .
الغياية : كل شيء أظل الإنسان وغيره من فوق ، وهى كالسحابة .
الفرق : الجماعة المنفردة من الغنم والطير وغير ذلك .
صواف : جمع صافة ، وهى التي تصف أجنحتها عند الطيران .
(٢) رواه مسلم رقم (٨٠٥) في صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، والترمذي رقم (٢٨٨٦) في ثواب القرآن ، باب ما جاء في سورة آل عمران .

الاعتراف بعالم يعيش بيننا ، ألا وهو عالم النمل ، بل ولا يستطيع أحد منا أن ينكر أن النمل يتكلم بدليل أن الله لما فك رموز لغة النمل لسليمان ﷺ ، فهم سليمان لغة النمل وتجاوب مع النمل ، فقد سجل الله في قرآنه العظيم : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٨ - ١٩]

إذا لا يستطيع أحدٌ منا أن ينكر وجود عالم النمل ، بل لا يستطيع أحد منا أن ينكر أن النمل يتحدث ويتكلم ، ومع ذلك ما رأينا واحدًا قد جاء بمكبرات صوت دقيقة جدًّا وقربها إلى مجموعة نمل ليسمع كلامها مع أنه يعلم أن النمل يتكلم ، لماذا ؟!!

لأنه ما أعطى لعقله العنان في أن يدرك كيفية لغة النمل لأن الله ما فك له رموز هذه اللغة ، والنمل خلق من خلْق الله .

فكيف لعقلك أن يدرك الذات الإلهية ؟!

لا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ، فعالم الآخرة ليس كعالم الدنيا ، الظلم عين الظلم أن نحكم عالم الآخرة الغيبي وقوانينه بعالم الدنيا وقوانينه وهو عالم حسي ، فالله سبحانه بقدرته يحول الأعراض إلى أجسام

توضع في الميزان ، ويخف بحسب الحسنات والسيئات بل أخبرنا الصادق ﷺ أيضًا : أن العمل يأتي لصاحبه في القبر على هيئة رجل ، نعم والحديث رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي والحاكم والترمذي وابن حبان وغيرهم وصحح الحديث ابن القيم وأطال النفس في الرد على من أعَلَّ الحديث وصحح الحديث الألباني من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ ذكر العبد المؤمن إذا وضع في قبره فقال : « **وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ ، فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فَيَقُولَانِ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : الإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَيَقُولَانِ : مَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ وَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مَنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الجَنَّةِ يَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ قَبْرُهُ مُدَّ البَصَرِ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ صَاحِبُ القَبْرِ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ وَأَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ** ».

وقال المصطفى ﷺ عن الكافر : « **وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هاه .. هاه .. لَا أَدْرِي ، مَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هاه.. هاه .. لَا أَدْرِي ، مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هاه .. هاه .. لَا أَدْرِي ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ**

السَّمَاءِ أَنْ كَذِبَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوا لَهُ فِرَاشًا مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ لِبَاسًا مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ يَأْتِيهِ مِنْ رَوحِهَا وَسَمُومِهَا ثُمَّ يَضِيقُ عَلَيهِ قَبْرُهُ فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ أَسْوَد الوَجْهِ قَبِيح المَنْظَرِ نَتِن الرِّيحِ فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الَّذِي يَأْتِي بِشَرٍّ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ »[1].

إياك !! إياك !! أن يشوش عليك كلام العلمانيين ممن يريدون أن يجعلوا من سلطان العقل والمادة قانونًا يحكمونه في صريح القرآن وصحيح السنة ، فإننا نشهد الآن نبتة سوء ينكر أصحابها عذاب القبر ، بل ولقد أخبر الصادق أن الموت نفسه يأتي يوم القيامة كهيئة كبش أملح .

والحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ لَهُمْ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا المَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ لَهُمْ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (١٣٧٤) في الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم رقم (٢٨٧٠) في الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار ، وأبو داود رقم (٣٢٣١) في الجنائز ، والنسائي (٤/ ٩٧، ٩٨) في الجنائز .

فَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ثم قرأ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا))[1].

إذًا ثُبت بالأدلة الصحيحة التي ذكرت الآن أن الأعراض تتحول إلى أجسام توضع في الميزان يوم القيامة ويثقل الميزان ويخف بحسب الحسنات والسيئات ، هذه أدله أصحاب القول الأول الذين قالوا : بأن الأعمال التي توزن في الميزان يوم القيامة .

ثانيًا : القول الثاني .

قالوا : بل إن الذي يوزن في الميزان هو العامل وليس الأعمال .

واستدل أصحاب هذا الفريق بأدلة صحيحة كذلك منها ما رواه البخاري ، ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ((**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةَ ، وَقَالَ : اقرؤوا** ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾))[2] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٤٨) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٨٥٠) في الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٤٧٢٩) في تفسير سورة الكهف ، باب ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٨٥) في صفة القيامة .

رجل سمين عظيم منتفخ منتفش يأتي يوم القيامة فيوضع في الميزان فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، إذ أن الموازين إذا وضعت فيها العباد لا تخف ولا تثقل بحسب ضخامة الأبدان وكثرة الشحم والدهن إنما تخف وتثقل بحسب الحسنات والسيئات ، ألم أقل لك عين الظلم أن نحكم قوانين الدنيا في قوانين الآخرة ، وفي المقابل يأتي بساقين ضعيفتين لرجل نحيف ضعيف فإن وضعتا في الميزان في كفة ، وجبل أحد في كفة أخرى لرجحت كفة هذا الرجل ، من هو ؟!!

إنه عبد الله بن مسعود ﷺ ، إنه رجل ضعيفُ البنية قوي الإيمان رجل خفيف الجسم ثقيل الأعمال ، يقول المصطفى ﷺ والحديث تفرد به الإمام أحمد في مسنده بسند جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير وغيره ، يقول علي ابن أبي طالب ﷺ : صعد ابن مسعود ﷺ يومًا على شجرة آراك يجني سِوَاكًا فجعلت الريح تكفأه فضحك القوم ، فقال المصطفى ﷺ : « **مِمَّ تَضْحَكُونَ** » قالوا : نضحك من دقة ساقيه يا رسول الله فقال المصطفى ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ** » [1] .

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٩٢٠) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

ثالثًا : الرأي الثالث .

قالوا : بل إن الذي يوزن في ميزان العبد يوم القيامة هو الصحف .

واستدلوا على ذلك أيضًا بحديث صحيح رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي ورواه ابن حبان ، وأبو داود وغيرهم وصحح الحديث شيخنا الألباني من حديث عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الخَلَائِقِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ : أَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَارَبِّ ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ فَتَخْرُجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، فَيَقُولُ : احْضَرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا تَفْعَلُ هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هِذِهِ السِّجِلَّاتِ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، فَوُضِعَتِ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ** »[1].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٤١) في الإيمان ، باب ما جاء في من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (١٣٥) .

وهذا ما استدل به أصحاب الرأي الثالث .

وبعدما تجولنا سويًّا حول الآراء الثلاثة الماضية .

ترى ما هو القول الراجح من هذه الأقوال وما هي الأعمال التي تثقل الميزان ؟ هذا ما سنعرفه بعد جلسة الاستراحة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله

أما بعد .. أيها الأحبة الكرام :

القول الراجح والله أعلى وأعلم أن الأعمال والعامل والصحف كل ذلك يوضع في الميزان يوزن العامل بأعماله وصحفه وهذا ما رجحه صاحب القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد وهذا ما أميل إليه .

لذا أرى أنه من الواجب عليَّ أن أذكر نفسي وأحبابي ببعض الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة .

ثالثا : ما هي الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة ؟

من أعظم الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة :

حسن الخلق ، ففي الحديث الذي خرجته في أول اللقاء من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : « **مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ اللهَ يَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبذِيءَ** »[١].

نعم حسن الخلق وآه من الحديث عن حسن الخلق ، والله ما أحوج الأمة بحكامها وعلمائها وشيوخها ودعاتها ورجالها ونسائها وشبابها وأطفالها إلى حسن الخلق ، فإن حسن الخلق - كمنهج نظري منير - نرى بونًا شاسعًا رهيبًا بينه وبين سوء الخلق كمنهج واقعي عملي .

أين أخلاق الإسلام ؟!! أين أخلاق محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ؟!! فما أيسر التنظير .

إن أرفف المكتبات في بيوتنا وفي مدارسنا وفي جامعاتنا تئن بأطنان المجلدات التي سطر فيها المنهج النظري المشرق المنير ، ولكن لو نقبت في واقع الأمة ونظرت نظرة سريعة إلى أحوال الناس ، لرأيت بونًا شاسعًا بين هذا المنهج النظري المنير وبين الواقع المؤلم المر المرير .

---

(١) سبق تخريجه .

يا أمة الإسلام يا أمة سيد ولد عدنان !!

أين الصدق ؟! أين الإخلاص ؟! أين الرفق ؟! أين الحلم ؟! أين العفو ؟! أين البر ؟! أين الحياء ؟! أين الرجولة ؟! أين الشهامة ؟! أين الكرامة ؟! بل أين أين أين .... ؟؟!!

أين أخلاق محمد بن عبد الله ﷺ .

إنني أقول دومًا وأبدًا ، لقد نجح المصطفى ﷺ في أن يقيم للإسلام دولة من فتات متناثرة وسط صحراء تموج بالكفر موجًا ، فإذا دولة الإسلام بناء شامخ لا يطاوله بناء ، نجح المصطفى ﷺ في ذلك ، يوم أن طبع عشرات الآلاف من النسخ من المنهج التربوي الإسلامي العظيم ، ولكنه لم يطبعها بالحبر على صحائف الأوراق ، وإنما طبعها على صحائف القلوب بمداد من النور ، فَحَوَّلَ أصحاب النبي ﷺ المنهج الأخلاقي الإسلامي إلى واقع عملي يتألق سموًّا وروعةً وجلالًا في دنيا البشر أذهل البشرية - لكني أقول إن أعظم حجر يقف الآن في سبيل الإسلام في الشرق والغرب هو أخلاق المسلمين إلا من رحم الله .

فإن الرجل في الشرق والغرب ينظر إلى المسلمين هناك فيرى منهم من يزني ويشرب الخمر ويبيع الخنزير ولا يحافظ على الصلوات ، فينظر الرجل إلى المسلم الذي يتغنى بالإسلام فلا يرى أنه يفوقه خلقًا ، فالحجر العاثر والعقبة الكؤود في طريق الزحف الإسلامي في الشرق والغرب هو

أخلاقنا إلا من رحم الله .

نسأل الله أن يجعلنا جميعًا ممن رحم ، ولذلك يقول المصطفى ﷺ : « **مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ** » وأرجو أن نعلم أن النبي ﷺ قال في ميزان المؤمن ، إذ أن الإيمان أصل سابق ، أرجو أن ننتبه لهذه اللطيفة ، بل لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ كما في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي بسند صحيح قال ﷺ حينما سئل عن أكمل المؤمنين إيمانا قال : « **أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا** »[1].

كما في الحديث الذي رواه أبو داود وابن حبان وغيرهما من حديث عائشة بسند صحيح قال المصطفى ﷺ : « **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ** »[2].

وهؤلاء أصحاب الأخلاق العليا من أقرب الناس إلى رسول الله يوم القيامة قال المصطفى ﷺ : « **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا** »[3].

ومن أعظم الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة أيضًا « **الطُّهُورُ شَطْرُ**

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٦٨٢) والترمذي رقم (١١٦٢) وقال : حسن صحيح وهو في صحيح الجامع رقم (١٢٣٠) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٩٨) في الأدب وأحمد في المسند رقم (٢٤٢٣٦، ٢٤٤٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٩) في البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، وللحديث شواهد يثق بها ، وخرجه الشيخ الألباني في الصحيحة (٧٩١) ، وهو في صحيح الجامع (٢٢٠١)٠

الإِيمَانِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ »[1].

أُخيَّ في الله هل تعجز عن هذا الطهور؟! هل تعجز أن تحمد الله وتسبحه بقلبك قبل لسانك ؟!

اسمع ماذا يقول المصطفى ﷺ ؟! يقول : « **لأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** »[2].

يقول المصطفى ﷺ : « **مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ** »[3].

لكن أحبتي في الله أهمس في كل أذن تسمعني أن يردد اللسان ويصدق الجنان ، وأن تترجم الجوارح والأركان .

.... الدعـــاء

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣) في الطهارة باب فضل الوضوء ، والترمذي رقم (٣٥١٢) في الدعوات والنسائي (٥/ ٥ ، ٦) في الزكاة وهو في صحيح الجامع (٣٩٥٧) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٩٥) في الزكاة والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، والترمذي رقم (٣٥٩١) في الدعوات .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٤٦٢) في الدعوات ، وقال: حسن صحيح وهو جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم (٢٦٩١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الصراط

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ...

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أحبتي في الله :

نحن اليوم بتوفيق الله جَلَّ وَعَلَا على موعد مع اللقاء التاسع عشر من لقاءات هذه السلسلة العلمية الهامة وكنا قد أنهينا الحديث الماضي مع مشهد الميزان وقلنا إن الحساب لتقرير الأعمال وإن الوزن لإظهار مقدارها ليكون الجزاء بحسبها .

فإذا وزنت الأعمال ، وتقرر الجزاء ، ما بقي إلا أن يلقى كل واحد مصيره فيأمر الملك جَلَّ وَعَلَا أن ينصب الصراط على متن جهنم ليمر عليه الموحدون المتقون المؤمنون الصادقون إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وليمر عليه المشركون والمجرمون الكافرون الجاحدون إلى نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى .

لذا فموضوعنا مع حضراتكم اليوم بإذن اللـه تعالى هو مشهد الصراط بعد الميزان .

وكعادتنا حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعا من بين أيدينا فسوف

نركز الحديث مع حضراتكم في هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية :

أولًا : الصراط جسر جهنم وأحوال الناس عليه .

ثانيًا : الأمانة والرحم على جانبي الجسر .

ثالثًا : من هو آخر رجل يمر على الصراط ؟

رابعًا : كيف النجاة ؟

فأعيروني القلوب والأسماع والوجدان أيها الأحبة الكرام ، فإن الموضوع جد خطير ، والله أسأل أن ينجني وإياكم يوم الحساب ويوم الميزان ويوم الصراط إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولا : الصراط جسر جهنم وأحوال الناس عليه

أحبتي في الله :

الصراط لغة : هو الطريق الواضح المستقيم البين .

والصراط شرعًا : المراد به هنا جسر أدق من الشعر ، وأحد من السيف كما قال أبو سعيد الخدري في صحيح مسلم : « الصراط جسر أدق من الشعر وأحد من السيف يضربه الله جل وعلا على ظهر جهنم ليمر عليه المؤمنون إلى جنات النعيم والمشركون إلى جهنم وبئس المصير ، فهو قنطرة بين الجنة والنار » .

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾

[مريم : ٧١]

قال الإمام أبو العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية[1] : اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

[مريم : ٧١]

وكان الرأي الأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢]

وفى الصحيح قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة** » قالت حفصة : فقلت يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال : « **ألم تسمعيه قال** : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ .

والتحقيق العلمي للجميع بين أقوال أهل العلم في معنى الورود هو أن الورود على النار نوعان .

الأول : ورود بمعنى الدخول ، وهذا للكافرين والمشركين ، كما قال الله في شأن فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود : ٩٨]

---

(١) شرح الطحاوية بتحقيق الألباني ص ٤١٦ .

الثاني : بمعنى المرور على الصراط وهذا لا يكون إلا لأهل الأنوار من المتقين الموحدين ممن قال فيهم رب العالمين .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٣]

فأعرني قلبك وسمعك فها هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى يبين لنا بأسلوبه النبوي البليغ الموجز الرائع الجامع لهذا المشهد المهيب مشهد المرور على الصراط ، بل إن شئت فقل يجسد لنا هذا المشهد الذي يخلع الفؤاد ، قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال النبي ﷺ : « هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ؟ » قالوا : لا .

فقال النبي ﷺ : « هَلْ تُضَارُّونَ الشَّمْسَ لَيْسَ لَهَا سَحَابٌ ؟ » قالوا : لا .

فقال النبي ﷺ : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ »[1] .

« يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتِ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهُمُ اللهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرِفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهُمُ اللهُ يَقُولُ : أَنَا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٤٣٧) في التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، ومسلم رقم (٦٣٣) في المساجد ، باب فضل صلاة العصر والمحافظة عليها وأبو داود رقم (٤٧٣٠) في السنة ، والترمذي رقم (٢٥٥٧) في صفة الجنة .

رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ؟ فَيَدْعُوهُمْ ، وَيُضْرِبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَجَاوَزَ مِنَ الصِّرَاطِ بِأُمَّتِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَد إِلَّا الرُّسُل ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ .. سَلِّمْ ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُم شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدِلُ ، ثُمَّ يَنْجُو » وفى رواية « فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِي بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمَجَازِي حَتَّى يُنْجِيَ » حَتَّى إِذَا فَرِغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخرجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخرجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللهُ النَّار أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ - فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ - فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْحَيَاةِ ، فَيُنْبَتُونَ كَمَا تُنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ »

أخي في الله : هل تدبرت ما سمعت من حديث رسول الله ﷺ من كان يعبد الشمس يتبع الشمس ومن كان يعبد القمر يتبع القمر - وتبقى أمة الحبيب ﷺ فيها منافقوها .

فينطلق المنافقون مع أهل الإيمان فيقولون مع المؤمنين : أنت ربنا ... يظنون أنهم يخدعون الله !! ترى ماذا يحدث ؟!!

هنا يلقى الله على أهل الموقف ظلمة حالكة السواد لا يستطيع أحد في أرض الموقف أن يخطو خطوة واحدة إلا بنور .

كما في صحيح مسلم من حديث عائشة قالت: يا رسول الله أين يكون الناس حين تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار؟

فقال المصطفى ﷺ « **يَا عَائِشَةُ هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ** » وفي لفظ « **هُمْ عَلَى الصِّرَاطِ** » قال ابن مسعود : كما في مسند أحمد ورواه الحاكم وابن حبان وابن أبي حاتم وصححه الألباني : « **فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالجَبَلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالنَّخْلَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالرَّجُلِ القَائِمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِهِ يَتَّقِدُ مَرَّةً وَيَنْطَفِيء مَرَّةً وَهَذَا أَقَلُّهُمْ نُورًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَحُوطُهُ الظُّلْمَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ** »[1].

أخي في الله تدبر جيدًا هذه الآيات ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨]

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٣١٥) في الحيض ، باب صفة منى الرجل والمرأة .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد : ١٢]

وإذا ما أراد المنافقون أن يقتربوا من الصراط سلب الله نورهم أو كما قال الضحاك : طُفئ نور المنافقين فيتميز أهل النفاق من أهل الإيمان لذا إذا رأى أهل الإيمان نور المنافقين طُفئ على الصراط ، وجل المؤمنون وأشفقوا وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨]

حينئذ يرى أهل النفاق في الظلمات الحالكة أهل الأنوار من أهل الإيمان والتوحيد ينطلقون على الصراط - كما سأبين لاحقا - فينادي أهل الظلمات من أهل النفاق على أهل الأنوار من أهل الإيمان والتوحيد : يا أهل الأنوار ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ لا تتركونا في هذه الظلمات الحالكة السوداء فانتظروا لنمشي في رحاب أنواركم .

فيكون الجواب : ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ هذا من جنس الخداع للمنافقين كما خادعوا الله في الدنيا .

هذه هي اللحظات : ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾

[الحديد : ١٣- ١٤]

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ نصلي الجمعات ، ونحضر الجماعة ، ونشهد الغزوات ، ونقف على عرفات ، ألم نكن معكم نؤدي سائر الواجبات ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ أي : بالحق وأهله والسنة وأهلها وارتبتم وتشككتم في البعث والميزان والصراط والنار ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ حتى فاجأكم الموت ، وانتقلتم إلى عين اليقين - أي عاينتم الحقائق بأعينكم - فرأيتم الميزان ورأيتم الصراط وغرتكم الأماني ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ .

ويزيد الصادق المصدوق الصورة توضيحًا كما في رواية أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم قال ﷺ : « **حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، آتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا ، قَالَ فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، لَا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُوهُ بِهَا ؟**

فَيَقُولُ : نَعَمْ فَيَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يسْجُدُ لله اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّما أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَة وَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ .. سَلِّمْ » قيل يا رسول الله ، ما الجسر ؟ قال : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ ، يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانِ ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَالرِّيحِ ، وَالطَيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسلَّم ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّم ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لله فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لله يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتمْ ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، قَدْ أَخَذتِ النَّار إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِي فِيهَا أَحَدٌ مِمَّا أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ

وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ، ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا » .

وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء : ٤٠]

« فَيَقُولُ اللهُ ﷻ : شَفَعَتِ المَلائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيخرجُ فِيهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ ، يَكُونُ أَبْيَضَ ؟ » فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ؟.

قال : « فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ ، فِي رِقَابِهِمْ الخَوَاتِيمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا

أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ ، فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَي شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَاي ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » [1].

الله أكبر .. وصف ورب العزة لو تدبرته كأنك تعايشه وتراه.. ولما لا !! والذي يبين ويوضح لنا هو من آتاه الله جوامع الكلم بأبي هو وأمي ﷺ

أيها المسلم : بالله عليك تدبر هذا المشهد الذي يخلع القلب وأنت على الصراط ، وجهنم مسودة تزفر تزمجر تحت الصراط ، وأناس بين يديك منهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالطير ومنهم من يزحف على الصراط ومنهم من تخطفه الخطاطيف والكلاليب إلى نار جهنم .

أَبَتْ نَفْسِي أَنْ تَتُوب فَمَا احْتِيَالِي ... إِذَا بَـرَزَ العِبَـادُ لِـذِي الجَـلَالِ

وَقَامُـوا مِنْ قُبُـورِهِمْ سُكَارَى ... بِأَوْزَارٍ كَـأَمْثَـالِ الجِبَـالِ

وَقَدْ نُصِبَ الصِّرَاطُ لِكَي يَجُوزُوا ... فَمِنْهُمْ مَـنْ يُكَـبُّ عَـلَى الشِّمَالِ

وَمِنْهُـمْ مَـنْ يَسِيرُ لِـدَارِ عَـدْنٍ ... تَلَقَّـاهُ العَـرَائِسُ بِالغَـوَانِي

يَقُـولُ لَـهُ المُهَيْمِـنُ يَا وَلِـيِّ ... غَفَرْتُ لَـكَ الذُّنُـوبَ فَلَا تُبَالِي

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٧٤٣٩) في التوحيد ، باب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، ومسلم رقم (١٨٣) في الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، والنسائي (٨/ ١١٢، ١١٣) في الإيمان .

ثانيًا : الأمانة والرحم على جانبي الصراط

والله إنه لمشهد يخلع القلب ، والحديث في صحيح مسلم من حديث أبي حذيفة بن اليمان وفيه أنه ﷺ قال : « **وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ عَلَى جَانِبَي الصِّرَاطِ** » .

يقول الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم : وإرسال الأمانة والرحم على جانبي الصراط لتطالب كل من يمر على الصراط بحقها .

هذا يدل على عظيم قدرهما عند ربهما ، الأمانة حمل ثقيل أشفقت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وحملها الإنسان قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

ترى هل تعلم معنى الأمانة ؟

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما -: الأمانة هي الفرائض التي فرضها الله على عباده .

يقول أبو العالية : الأمانة هي ما أمروا وما نهوا عنه .

يقول الحسن وقوله أبلغ قول : الأمانة هي الدين ، فالدين كله أمانة .

فالعبادة أمانة بأنواعها كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وجوارحك

أمانة ، ومنصبك وكرسيك أمانة ، والمال عندك أمانة ، وزوجك وأولادك أمانة ، والعلم وطالب العلم عند العالم أمانة ، والله قد حذرنا من الخيانة فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧]

وفى صحيح البخاري من حديث أبي هريرة بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم : لم يسمع ما قال فنكر ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا ما قضى حديثه قال : « **أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟** » قال ها أنا يا رسول الله قال : « **إِذَا ضُيِّعَتُ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** » قال : كيف إضاعتها ؟ قال ﷺ : « **إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** »(١)

ووالله لقد وسد الأمر إلى غير أهله وتقدم وتطاول الأقزام والتافهون والرويبضات ممن قال عنهم الصادق المصدوق في حديثه الصحيح الذي رواه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ : « **سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ** » قالوا : وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال : « **الرَّجُلُ**

---

(١) صحيح : رواه البخاري رقم (٥٩) في العلم ، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل .

التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ » .

ونحن الآن نرى الرويبضة يتكلم لا في أمر العوام بل في أمر الإسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وَرَاعِي الشَّاهِ يَحْمِي الذِّئْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَـاةُ لَهَا الذِّئَابُ

فالدين كله أمانة والله قد حذر من الخيانة ، فالأمانة تقف على جانبي الصراط تطالبك بحقوقها قبل أن تمر على الصراط فالله الله في الأمانة والرحم .

وما أدراك ما الرحم ...؟! آه ثم آه من تقطيع الأرحام في هذا الزمان والله لقد رأينا الابن يقطع رحم أبيه وأمه .

رأينا الإنسان المسلم يأتي إلى المسجد وهو قاطع لأرحامه ، يهين أباه ويهين أمه ، يهين عمه ويهين عمته ، يهين خاله ويهين خالته ، ثم يقول إن أهلي لا يزورني ، وأنا بالطبع لا أزور أحدًا ، إن هذا ما يسمى بتبادل المنافع والمصالح والزيارات ، وليس بصلة للرحم .

إنما صلة الرحم أن تُقْطَعَ فَتَصل ، هذه هي الصلة .

يقول المصطفى ﷺ والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ :

« **لَمَّا فَرِغَ اللهُ مِنْ خَلْقِ الخَلْقِ ، حَتَّى إِذَا فَرِغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ يَا رَبِّ هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ قَالَ : نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ**

وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ، قَالَتْ : بَلَى قَالَ : فَذَلِكَ لَكِ » ثم قال المصطفى ﷺ : « اقرأوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ » [محمد : ٢٢ - ٢٣][1] .

أيها المسلم : يا من تخشى المرور على الصراط اذهب من الآن ضع أنفك في التراب لله ، وقبل يدي أبيك وقبل يدي أمك ، واذهب إلى أعمامك وعماتك وأخوالك وخالاتك ورحمك .. لا تقطع الرحم ، فإن النبي ﷺ يقول « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ »[2] والحديث في البخاري ومسلم .

وفي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »[3]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٧٥٠٢) في التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٥٥٤) في البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٨٧) في الأدب ، باب من وصلها وصله الله ، ومسلم رقم (٢٥٥٦) البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، وأبو داود رقم (١٦٩٦) في الزكاة .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٥٩٨٥) في الأدب ، باب من بسط الله له في الرزق بصلة الرحم ، ومسلم رقم (٢٥٥٥) في البر ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعته .

أي من أراد أن يوسع الله عليه رزقه ويبارك الله في أجله فليصل رحمه .

وهنا يبدو سؤال مهم : إذا كانت الأرحام التي ذكرت فيها الاختلاط والمعاصي والضلال فهل يجب علينا أن نقطعها من أجل هذا ؟

الجواب : الهجر نوعان هجر للدنيا و هجر للآخرة ، فإن هجرت أرحامك من أجل الدنيا فهذه هي القطيعة المحرمة وهذا هو الهجر المحرم الذي نهاك الله ورسوله عنه ، أما إذا هجرت أرحامك من أجل دينك ، فبوصلهم مثلًا يضعف الإيمان ويرق ، وعندهم المعاصي تؤثر فيك ، وقد خضت طريق دعوتهم وبذلت لهم النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلتهم بالتي هي أحسن عشرات المرات ، ولكنهم لم يستجيبوا فأنت تهجر هؤلاء خوفًا على دينك وأهلك وأولادك ، فهذا هجر قد تؤجر عليه من الله جَلَّ وَعَلَا والله أعلم بنيتك ، لحديث الثلاثة الذين خُلِّفوا ، أَمَر النبي ﷺ أهله وأصحابه أن يهجروا هؤلاء [1] ، هذا الهجر كان من هجر الدين والآخرة فهو مأجور ومحمود .

---

(١) قصة كعب بن مالك وأصحابه الذين تخلفوا في غزوة تبوك ، في البخاري رقم (٤٤١٨) ، ومسلم رقم (٢٧٦٩) .

ثالثا : من هو آخر رجل يمر على الصراط وكيف يكون حاله

الجواب : في الحديث الجليل الذي رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ قال المصطفى ﷺ : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ مَرَّةً وَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً - أي : تلطمه وتضربه - فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَيَقُولُ : أَي رَبِّ أُدْنُنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِي أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَلَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنَّكَ لَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّه يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِي أَحْسَنُ مِنَ الأَوَّلِينَ ، فَيَقُولُ : أَي رَبِّي أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا وَلَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي

أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يعْذرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا ، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِعَ صَوْتَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ مَا يُرْضِيكَ مِنِّي ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَب أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ » .

فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مما أضحك ؟ قالوا : مما تضحك؟ قال : ضحك رسول الله ﷺ فقالوا : مما تضحك يا رسول الله ؟ قال : « مِنْ ضحكِ رَبِّ العَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ : لَا اسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ »[1] .

رابعًا : كيف النجاة ؟

النجاة في كلمات ....

إن الله له في الدنيا صراط ، وله في الآخرة صراط فمن استقام في الدنيا على صراط الله ثبته الله في الآخرة على الصراط ، استقم على صراط الله في الدنيا فأنت حين تصلي تدعو الله في كل ركعة في صلاتك فتقول : ﴿ اهْدِنَا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٧١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، مسلم رقم (١٨٧) في الإيمان ، باب آخر أهل الجنة خروجًا من النار ، واللفظ له .

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هذا الصراط هو طريق محمد بن عبد الله ﷺ الزم هذا الصراط واثبت عليه .

أحبتي في الله ..

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ، ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ .

.... الدعـــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الشقاوة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ...

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء - ١]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد ..

أحبتي في الله :

نحن اليوم بتوفيق الله وحوله وطوله ومدده مع اللقاء المتمم للعشرين من لقاءات هذه السلسلة الكريمة .

وحديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن نار جهنم - أعاذنا الله وإياكم من حرها - انطلاقًا من منهج القرآن في الترهيب بعد الترغيب كما في قول ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ١-٣]

وكما في قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩-٥٠]

وانطلاقًا من معتقد أهل السنة والجماعة ، في أن الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان أبدًا ولا تفنيان ، وأن الله قد خلق الجنة والنار قبل أن يخلق الخلق ، فالجنة رحمة الله يرحم بها من يشاء من عباده ، والنار عذاب الله يعذب بها

من يشاء من عباده ، ولقد خلق الله لكل منهما أهلا ، فمن دخل الجنة فبفضله ورحمته ومن دخل النار فبعدله وحكمته ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ وحتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من تحت أقدامنا فتعالوا بنا لنركز الحديث في هذا الموضوع الخطير في العناصر التالية :

أولًا : صفة النار

ثانيًا : **شدة عذاب أهل النار**

ثالثًا : أهل الخلود وأهل الخروج

رابعًا : كيف النجاة من النار ؟!!

فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية والخطورة في هذا الزمان بمكان والله أسأل أن يحرمنا وإياكم على النيران ، وأن يجعلنا وإياكم من أهل الجنان ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولا : وصف النار

أحبتي في الله :

هل وقف أحدكم يومًا أمام حريق هائل مروع قد شب في بئر من آبار البترول ، أو شب في حقل من الحقول ، أو شب في مصنع من مصانع الغاز أو حتى قد شب في بيت من بيوتنا ، هل تعلمون أيها المسلمون أن

هذه النار التي لا يجرؤ إنسان على أن يقترب منها إنما هي جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ** » قالوا : يا رسول الله ! والله إن كانت لكافية قال : « **فُضِّلَت**[1] **عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا** »[2] .

هل تتصور أن النار قد اشتكت إلى الله !! ترى مما اشتكت ؟!

من شدة نارها ومن شدة لهيبها ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ اللهُ لَهَا بِنَفَسَيْنِ : نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَرَوْنَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ** »[3]. وفى رواية الترمذي : « **فَأَمَّا نَفَسُهَا فِي الشِّتَاءِ فَزَمْهَرِيرٌ وَأَمَّا نَفَسُهَا فِي الصَّيْفِ فَسَمُومٌ** » .

---

(١) فضلت : أي زادت على نار الدنيا .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٢٥٦) في بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ومسلم رقم (٢٨٤٣) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ، والموطأ (٢/ ٩٩٤) في جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٩٢) في صفة جهنم .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٣٢٦٠) في بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ومسلم رقم (٦١٧) في المساجد ، باب استحباب الإبراد بالظهر من شدة الحر لمن يمضى إلى جماعة ، والترمذي رقم (٢٥٩٥) في صفة جهنم .

إنها السموم :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة : ٤١-٤٤]

إنها سقر :

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر : ٢٧-٣٠]

إنها الحطمة :

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [الهمزة : ٥-٩]

إنها مؤصدة : أي : مغلقة وقودها لا ينتهي !! ولما لا ؟! ووقودها الناس والحجارة .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

تدبر وصف النبي المختار ﷺ لهذه النار وهي تأتي يوم القيامة ، والحديث رواه مسلم وهو في أعلى درجات الصحة من حديث ابن

مسعود أنه ﷺ قال : « **يُؤْتَى بِالنَّارِ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَام سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** »(١) .

إذا رأت جهنم الخلائق زفرت وزمجرت غضبًا منها لغضب ربها .

قال تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾

[الفرقان : ١٢]

الله أكبر .. جهنم ترى يوم القيامة !! جهنم تسمع يوم القيامة !! جهنم تبصر يوم القيامة !! جهنم تتكلم يوم القيامة !!

بل ليس ذلك فقط فقد سجل المولى في قرآنه أن جهنم ستتكلم .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠]

اللهم سلم سلم ، هل من مزيد من الكفرة ؟! هل من مزيد من المنافقين؟! هل من مزيد من المشركين المجرمين ؟! هل من مزيد من الفجرة ؟! وتظل تنادي وتقول : هل من مزيد ؟! حتى يأذن ربها جَلَّ وَعَلَا أن تمتلئ ففي الحديث الذي رواه مسلم أنه ﷺ قال : « **لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟! حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار .

وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطْ ، قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ »[1].

قال تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾
[ق : ٢٤-٣٠]

أيها المسلمون : والله تكاد القلوب إذا ما وقفنا على شيء يسير جدًّا من هول العذاب في النار وهذا هو عنصرنا الثاني بإيجاز : شدة عذاب أهل النار .

ثانيًا : شدة عذاب أهل النار

لقد بين لنا ربنا جَلَّ وَعَلَا ونبينا ﷺ أن الناس يتفاوتون في العذاب في نار جهنم ، فجهنم لها سبعة أبواب يدخل من كل باب صنف معين من الناس بحسب ذنوبه ، وجهنم درجات ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾
[الحجر : ٤٣-٤٤]

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٤٦) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥]

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ قال : ((**إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ** (١) ، **وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تِرْقُوَتِهِ** (٢)))(٣).

تصور هذا المشهد الرهيب بل ستعجب إذا علمت أن النبي قد وصف حال أهون أهل النار عذابًا ، إنه وصف يخلع القلب .

ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير أن البشير النذير ﷺ قال : ((**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَرجَلٌ يُوضع فِي أُخْمُصِ قَدَمِهِ جَمْرَتَانِ فَيَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**)) وفى رواية : ((**لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُم عَذَابًا**))(٤).

---

(١) حجزته : جبينه .

(٢) ترقوته : عنقه .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٨٤٥) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٦١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار، ومسلم رقم (٢١٣) في الإيمان باب أهون أهل النار عذابًا ، والترمذي رقم (٢٦٠٧) ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار .

اللهم سلم سلم يا رب العالمين ، اللهم إنا ضعفاء لا نقوى على نارك ولا على عذابك فنجنا يا أرحم الراحمين .

إن لحظات قليلة جدًّا في نار جهنم تنسي العبد كل نعيم ورخاء في هذه الحياة ، ففي صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **يُؤْتَى بِأَنْعمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللهِ يَا رَبِّ ...** »[1]. **هل تدبرت ما سمعت ؟!!**

هذا الرجل الذي كان متنعمًا ... مترفًا في الدنيا ، أنساه شقاء العذاب كل نعيم عاشه في الدنيا ، وأنساه بؤس الجحيم كل نعيم ورخاء ، ولم لا ؟! بل سيتمنى الكافر المجرم أن ينجو من عذاب النار وليس بناجٍ ولو قدم لله مِلْءَ الأرضِ ذهبًا ، تدبر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٩١]

بل في الصحيحين في حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا ؟**

---

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٠٧) في المنافقين ، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار .

فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَيْسَرَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ ؛ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارُ وَأُدْخِلُكَ الجَنَّةَ فَأَبَيْتُ إِلَّا الشِّرْكَ »(١).

فإياكم إياكم والشرك ، وعليكم عليكم بالتوحيد لله جَلَّ وَعَلَا ، فإنا والله ما خلقنا إِلَّا من أجل كلمة التوحيد ، فإن الشرك من أعظم أسباب الخلود في النيران ، وإن التوحيد من أعظم أسباب النجاة من النيران كما سأبين الآن ، إن الله ﷻ أراد من ابن آدم التوحيد وهو ما زال في صلب أبيه آدم فأبى إلا الشرك ، بل ويتمنى الكافر المجرم ، وهو يرى العذاب ويذوق طعم العذاب ، لو افتدى من عذاب الله بولده ، بل ويتمنى أن لو افتدي من العذاب بزوجته ، بل يتمنى أن لو افتدي من العذاب بأسرته وقبيلته وعشيرته ، بل ويتمنى أن لو افتدي بأهل الأرض جميعًا من عذاب الله جَلَّ وَعَلَا ، تدبر قول الله : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج : ١١-١٨]

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٥٧) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٨٠٥) في المنافقين باب طلب الكافر في الفداء بملء الأرض ذهبًا .

يود المجرم الخبيث الكافر أن لو افتدى يوم القيامة من عذاب النار بأولاده ... بزوجته ... بإخوانه .... بأصحابه ، بل قدم أهل الأرض جميعًا لينجو هو بنفسه من عذاب الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولم لا ؟! وطعامهم في جهنم من النار ، وشرابهم في جهنم من النار ، وثيابهم في جهنم من النار ، فطعام أهل النار الزقوم والضريع والغسلين ، هل تعلمون شيئًا عن الزقوم ؟! هل تعرفون الضريع ؟! هل تعرفون الغسلين .

من يقوى على النار ؟! من يتحمل النار ؟! إنك لا تقوى على أن تتحمل نار الدنيا برهة ، فمن يتحمل سبعين جزءًا من النار ؟!

الزقوم : شجرة خبيثة ثمارُها كرؤوس الشياطين ، هذه الشجرة تخرج في قعر جهنم في أصل الجحيم ، تصور هذا الوصف من رب العالمين قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٤]

يقول في حقها سيد النبيين والحديث رواه الترمذي بسند صحيح من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال : « **لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّوم قُطِرَت فِي الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ الزَّقُّومُ طَعَامَهُمْ** »[1].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٨٨) في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، وهو في صحيح الجامع (٥٢٥٠) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ - ٤٦]

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ [الواقعة : ٥١-٥٣]

وقال سبحانه : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾

[الصافات : ٦٢- ٦٦]

فإذا اشتعلت النار في بطونهم استغاثوا ، يريدون الماء ليطفئوا هذه النيران المتأججة فيغاثوا بماء يمزق الأمعاء ، ويقطع الأحشاء . قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥]

تدبر قول الله سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩]

تدبر قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ

وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥-١٧]

هذا عن الزقوم ، فماذا عن الضريع ؟!!

الضريع : شوك ينبت في أرض الحجاز ... يأكلون الشوك ؟! تدبر معي قول الله : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ١-٧]

هذا عن الضريع ... فماذا عن الغسلين ؟!!

هو عصارة أهل النار من قيح وصديد ، وهو طعام أهل النار قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة : ٢٥-٣٧]

أيها العاصي ... أيها الساهي ... أيها اللاهي :

ابك على نفسك ، ابك على ذنوبك ، متى ستبكي إن لم تبكِ اليوم ، يا

من قسي قلبه وجمدت عينه إن لم يبك قلبك من كلام رب العالمين ومن كلام سيد المرسلين ﷺ فمتى ستبكي ؟؟!

ألم أقل لكم قست القلوب ، وجمدت العيون ، إذ لم تجد قلبك الآن في هذه اللحظات فكن على يقين جازم أنه لا قلب لك .

أيها اللاهي .. أيها الساهي .. أيها المذنب .. أيها المضيع للصلاة .. أيها المضيع للزكاة .. أيها المضيع للحج والعمرة مع الاستطاعة .. أيها العاق لوالديه .. أيها المؤذي لجيرانه .. أيها الصاد عن دعوة الله وعن سبيل الله ... تذكر هذه اللحظات ، وتذكر هذه الآيات ، وتذكر هذه الكلمات من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بأبي هو وأمي ﷺ ، فالطعام في النار .. نار ، والشراب في النار .. نار ، حتى الثياب من النار .

قال ابن عباس : تبارك من جعل لأهل النار من النار ثيابا ، حتى الثياب من النار ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٩-٥٠]

القطران : هو النحاس الذي أذيب من شدة الغليان ، الثياب من قطران اسمع لربك جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ

أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾

[الحج : ١٩-٢٢]

الطعام نار ، والشراب نار ، والثياب نار ، وهنا يستغيثوا أهل النار بمن يستغيثوا ؟! بخزنة جهنم .. لماذا ؟!

ليتضرع خزنة جهنم إلى الله ليخفف عن أهل النار يومًا واحدًا من العذاب اسمع ربك جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ [غافر : ٤٩-٥٠]

ولكن يرجعون بخيبة أمل فينادون على رئيس الخزنة .. على مالك ، قال تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾

ويتذكر أهل النار إخوانهم ممن كانوا يسخرون منهم في الدنيا من أهل التوحيد ، وينادون عليهم نريد شربة ماء !! نريد شيئًا مما رزقكم به رب الأرض والسماوات !! قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا

تَجۡحَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٠-٥١]

فيرجعون بخيبة أمل جديدة ، وهنا ينادون على من ؟! ينادون على الله!! فيأتي الجواب من الله وهو الحكم العدل بقوله : ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥-١٠٨]

اللهم سلم سلم ، وهنا يظل أهل الكفر في هذا العذاب الخالد المقيم ، وينجو من النار أهل التوحيد برحمة رب العالمين وشفاعة سيد النبيين محمد ﷺ وشفاعة المؤمنين الصادقين وهذا هو عنصرنا الثالث من عناصر اللقاء .

ثالثا : أهل الخلود وأهل الخروج

نعم أيها المسلم يخلد في النار أهل الكفر - أهل الشرك - أهل الكبر على الله الذين قتلوا ، وذبحوا الموحدين ، وصدوا عن سبيل رب العالمين ، وتكبروا على عباد الله .

لقد أرسل الله إليهم الكتب أرسل الله إليهم الرسل ، وأبقى لهم العلماء فذكروهم بالله ونقلوا لهم كلام الحبيب رسول الله ﷺ فتكبروا وكفروا وعاندوا وأصروا على الشرك وعلى الكبر وعلى الصد عن سبيل الله جَلَّ

وَعَلَا هؤلاء هم أهل الخلود في النار قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٥-١٠٨]

غير مجذوذ : أي غير مقطوع ولا منتهى .

أهل الخلود هم أهل الكفر والشرك ، وأهل الخروج هم أهل التوحيد ، فمن مات من أهل التوحيد على كبيرة من الكبائر كالزنا أو شرب الخمر أو عمل قوم لوط إلى غير ذلك من الكبائر ، أو غلبت سيئاته حسناته فهذا لابد أن يطهره الله في النار ومن منا يصبر على النار ساعة ؟!!

ثم يخرج من النار بعد ذلك برحمة أرحم الراحمين أو بشفاعة سيد المرسلين أو بشفاعة المؤمنين الصادقين من أمة سيد العالمين ﷺ .

يقول المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة : « **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ دَعَا كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ إِلَّا أَنَا فَقَدِ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً**

لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ »[1].

فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئًا .

اللهم إنا نشهدك أننا جميعًا نوحدك ونؤمن بنبيك فاختم لنا بالتوحيد .

اسمع لنبيك ﷺ ففي الحديث الصحيح الطويل الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وفيه ذكر النبي ﷺ شفاعة المؤمنين لإخوانهم ممن وقعوا في النار ، فيقول أهل الإيمان : « **يَا رَبِّ إِنَّ إِخْوَانَنَا كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَشَفِّعْنَا فِيهِمْ ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَهْلِ الإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ارْجَعُوا فَأَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مَنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ : ارْجعُوا فَمَنْ وُجِدَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَيَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ : شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا قَبْضَةً فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ**

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري تعليقا في الدعوات ، باب لكل نبي دعوة ، ومسلم رقم (٢٠٠) في الإيمان باب اختباء دعوة النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته .

خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ امْتَحَشُوا – أي قد أكلتهم النار – **فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ فِي الجَنَّةِ مِنْ نَهْرٍ فِي الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ الحَيَاةِ فَيَنْبتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ فَيَخْرُجُونَ إِلَى الجَنَّةِ كاللُّؤلُؤِ وَفِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ إِذَا مَا نَظَرُوا إِلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ مِنَ النَّارِ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ وَلَا خَيْرَ قَدَّمُوهُ**)).

أيها الأحبة بقي في عجالة سريعة أن نتعرف على سبيل النجاة من النار ، وهذا بعد جلسة الاستراحة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد ..

أيها الأحبة الكرام كيف النجاة من النيران ؟!!

رابعا : كيف النجاة من النيران ؟

والنجاة من النار في كلمتين اثنتين لا ثالث لهما هما توحيد العزيز الغفار ، واتباع النبي المختار ، التوحيد والاتباع هو طريق النجاة ، والتوحيد ليس كلمة تقال باللسان فحسب بل إن التوحيد قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، وإلا فما قيمة أن تردد بلسانك كلمة التوحيد مع تكذيب القلب والانصراف عن العمل ، فالتوحيد قول وتصديق وعمل ، يقول الله جَلَّ جَلَاله لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[الزمر : ٦٥-٦٦]

وفى صحيح البخاري من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ** »[1].

قال ابن مسعود : ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة .

وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَأَنَّ**

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١٢٣٨) في الجنائز ، في خاتمته ، ومسلم رقم (٩٢) في الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة .

عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ »[1] وفي لفظ « **أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ مِنْ أَيِ أَبْوَابِهَا الثَّمَانِيَةُ شَاءَ** » وفي رواية عتبان بن مالك : « **فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا** » .

فالتوحيد والاتباع ليس كلمة تقال ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
[آل عمران : ٣١]

مَنْ يَدَّعِي حُبَّ النَّبِي وَلَمْ يُفِدْ ... مِنْ هَدْيِهِ فَسَفَاهَةٌ وَهُرَاءُ
فالحب أو شرطه وفروضه ... إِنْ كَانَ صِدْقًا طَاعَةٌ وَوَفَاءُ

اتباع النبي امتثال لأوامره واجتناب لنوهيه ووقوف عند حدوده .

يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها : « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ** »[2].

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٤٣٥) في الأنبياء ، باب قوله الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٩) في الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، والترمذي رقم (٢٦٤٠) في الإيمان .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري تعليقًا في البيوع ، ومسلم (١٧١٨) في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ، وأبو داود في السنة باب لزوم السنة ، وأخرجه ابن ماجة في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ.

من أتى ببدعة في دين الله فهذا أمر مردود ، وهذه عبادة مردودة على رأس من ابتدع لا يقبل الله منه عمله إلا إذا كان متبعًا للمصطفى ﷺ ، وهناك من الأعمال الصالحة التي أمر النبي بفعلها تفتح بابًا إلى الجنان وتنجي العبد من النيران منها في عجالة سريعة :

الصوم ، في الصحيحين أنه ﷺ قال : « **وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا** »(١).

والجهاد ، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : « **مَا اغْبَرَّتَا قَدَمُ عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ** »(٢).

مجالس العلم ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة الطويل فيه : « **أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بَعْدَ مَجْلِسِ الْعِلْمِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَيَقُولُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ مِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : إِنَّهُمْ يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ اللهُ : وَهَلْ رَأَوا النَّارَ ؟! فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : لَا لَمْ يَروا النَّار ، فَيَقُولُ اللهُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : كَانَ أَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً وَأَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا :**

---

(١) **صحيح** : أخرجه النسائي (٤/ ١٧٤) في الصوم ، باب ما يكره من الصيام في السفر ، وهو في صحيح الجامع (٦٣٣٢) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري رقم (٨١١) في الجهاد ، باب من أغبرت قدماه في سبيل الله ، وفى الجمعة ، باب المشي إلى الجمعة ، والترمذي رقم (١٦٣٢) ، في فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله ، والنسائي (٦/ ٤١) في الجهاد .

أُشْهِدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ)).

ومنها أيضًا محبة الله جَلَّ وَعَلَا ، لو أحبك الله لن ترد على النار كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والحاكم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : ((**وَاللهِ لَا يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ أَبَدًا**))[1] .

ومنها البكاء ، هل علمت أخي الحبيب أن البكاء من خشية الله يرحم العبد من النار ؟! يا له من فضل عظيم !!

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني أن الحبيب النبي ﷺ قال : ((**لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ**))[2].

فطريق النجاة توحيد العزيز الغفار واتباع النبي المختار ﷺ وأسال الله أن ينجينا وإياكم من النيران .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ،

اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنبًا إِلَّا غفرته ولا مريضًا إِلَّا شفيته ولا دينًا إِلَّا قضيته ، ولا همًّا إِلَّا فَرَّجْته ، ولاميتًا إِلَّا رحمته ، ولا

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٦٣٣) في فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله والنسائي (٦/ ١٢) في الجهاد ، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٦٣٣) في فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ، والنسائي (٦/ ١٢) في الجهاد ، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه .

عاصيًا إِلَّا هديته ، ولا طائعًا إلا سددته ، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إِلَّا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ، وتفرقنَا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيا أو محرومًا .

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم احمِ المسلمين الحفاة واكسو المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع .

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

أحبتي في الله ..

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ، ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ .

بسم الله الرحمن الرحيم

دار السعادة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ...

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء - ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد ..

أحبتي في الله :

نحن اليوم بحول الله وطوله على موعد مع اللقاء الأخير من لقاءات هذه السلسة الكريمة المباركة وكنا قد توقفنا في اللقاءين الماضيين مع أحوال الناس في المرور على الصراط ، فمنهم من يمر على الصراط كالبرق ، ومنهم من يمر عليه كطرف العين ، ومنهم من يعبر عليه كالريح ، ومنهم من يعبر عليه كأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم .

فإذا ما نجَّا الله أهل الإيمان من النيران ، وعبروا الصراط بأمن ، وأمان انطلق بعد ذلك أهل التوحيد ، والإيمان إلى جنة الرحيم الرحمن ، وقبل أن ينطلق المؤمنون إلى الجنة يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ليطهرهم الله جَلَّ وَعَلَا من المظالم التي كانت بينهم في الدنيا .

ففي الحديث الذي رواه البخاري ، ومسلم في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذَا نُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَحَدِهِمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا** »

يقول ابن عباس : فينطلقون إلى بيوتهم في الجنة كما ينطلق أهل الجمعة بعد الجمعة إلى منازلهم كلٌّ يعرف منزله .

أيها الأحبة .... تعالوا بنا سويا لندخل الجنة مع هؤلاء بأرواحنا ،

وقلوبنا في هذه الدقائق القليلة سائلين الله جَلَّ وَعَلَا أن يجمعنا فيها بحبيبنا ، ونبينا إنه ولي ذلك ومولاه .

والحديث عن الجنة حديث طويل ذو شجون ، إنه حديث يحرك القلوب إلى أجل مطلوب ، إنه حديث يأخذ النفوس إلى مجاورة الملك القدوس .

وكعادتنا حتى لا ينسحب بساط الوقت سريعًا من تحت أقدامنا فسوف نركز الحديث مع حضراتكم في هذا الموضوع الجليل في العناصر التالية :

أولًا : وصف الجنة .

ثانيًا : أدناهم منزلة وآخرهم دخولًا .

ثالثًا : نعيم أهل الجنة .

رابعًا : هل رضيتم ؟!

خامسًا : فما الطريق إلى الجنة ؟!

فأعيروني القلوب والأسماع جيدًا ، والله أسأل أن يجعلني ، وإياكم من أهل الجنان ، وأن يجمعنا فيها بسيد ولد عدنان إنه ولي ذلك ، ومولاه وهو الرحيم الرحمن .

أولا : وصف الجنة

أحبتي الكرام :

لا يجوز لنا اليوم بحال مهما جنح بنا الخيال أن نتكلم كلمة في وصف

الجنة إلا بآية من آيات الكبير المتعال ، أو بحديث من أحاديث سيد الرجال ، لأن الجنة غيب ، لا يجوز لمخلوق البتة بحال أن يتكلم عنه إلا بدليل صريح من القرآن ، أو دليل صحيح من السنة ، ولا يستطيع أحد بحال مهما سبح به الخيال أن يتصور جنة ذي العظمة والجلال ، فنعيم الجنة فوق الوصف ويقصر دونه أي خيال .

فتعالوا بنا نستمع إلى كلام من خلقها ، وهيأها ، وغرس كرامتها بيده ، وكلام نبينا الذي رأى الجنة في الدنيا رأي العين ، وشاهدها مشاهدة العيان .

خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قيامًا طويلًا ... إلى أن قال ﷺ : ثم انصرف وتجلّت الشمس فقال ﷺ : « **إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ، وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ** » ، قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ، ثم رأيناك تكعكعت قال : « **إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا مِنْ عِنَبٍ وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا** .... »[1] .

وفى الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « **أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ** - أي ليلة الإسراء والمعراج - **فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ** - أي القصور والقباب

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١٠٥٢) ، في الكسوف ، باب صلاة الكسوف جماعة ، ومسلم رقم (٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩) في صلاة الكسوف ، باب ، عرض على النبي ﷺ ، والموطأ (١/ ١٨٦/ ١٨٧) .

العالية من اللؤلؤ - **وَإِذَا تُرْبَتُهَا** - أي طينتها - **المِسْكُ** »[١] .

اسمع ماذا يقول المصطفى ﷺ : فلقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ أن يصف لهم الجنة فقال الحبيب ﷺ : « **الجَنَّةُ لَبِنَةٌ**[٢] **مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَلَاطُهَا**[٣] **المِسْكُ الأَذْفَر وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَان ، وَمَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ ، وَلَا يَبْأَس ، وَيَخْلُدُ ، وَلَا يَمُوتُ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ** »[٤] .

تصور معي كلمات الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، وهو يصف لنا بيتًا في الجنة من لؤلؤة مجوفة ، وقصرًا من ذهب خالص ، اسمع كلام النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : « **أَتَى جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ** »[٥] .. والقصب : هو اللؤلؤ .

---

(١) أبو داود رقم (١١٨١ ، ١١٨٣) في الصلاة ، والترمذي رقم (٥٦٠) والنسائي في الكسوف .

(٢) اللبنة : هي القالب المستعمل في البناء ، وقد يكون من طين أو حجر أو غيره .

(٣) الملاط : الطينة أو الطلاء أو ما يسد ما بين اللبنات .

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٢٨) في صفة الجنة ، باب ما جاء في وصف الجنة ونعيمها وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٦٩) وقال رواه أحمد والدارمي .

(٥) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٨٢٠) في مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضى الله عنها ، ومسلم رقم ١٨٨٧) في الفضائل .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا القَصْرُ ؟ قَالُوا : لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَا هُوَ ، فَقُلْتُ : وَمَنْ هُو ؟ قَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ** »[1].

بيت من لؤلؤة وقصر من ذهب خالص ، أي نعيم هذا !! أي فضل هذا !! لقد دخلت قصرًا في دولة الإمارات لأمير من الأمراء دعاني لزيارته كاد عقلي ورب الكعبة أن يطيش ، فقلت لإخواني : هذا الذي نراه إعداد البشر للبشر ، فما ظنكم بإعداد رب البشر في جنة لم يخطر نعيمها على قلب بشر ، ويزداد الجمال إذا عرفت أن هذه القصور تجري من تحتها الأنهار ، تصور معي بيتًا من لؤلؤة فوق نهر ، قصرًا من ذهب فوق نهر ، منظر رائع ، والأنهار نهر من ماء ونهر من لبن ، ونهر من خمر ؟ ونهر من عسل .

قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥]

ويزداد الجمال ، ويزداد الكمال ، ويزداد الحسن بالأشجار والظلال

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٩) في المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب ورواه أيضًا أحمد في المسند رقم (١١٩٨٥ ، ١٢٧٧٠ ، ١٢٩١٨ ، ١٣٧١٠ ، ١٤٢٥٥) وابن حبان في صحيحه رقم (٢١٨٨) ورواه وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (١٤٠٥ ، ١٤٢٣) .

والثمار ، لا تظنوا أن شجر الجنة كشجر الدنيا ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ** »[1].

بل وفى الصحيحين يقول المصطفى ﷺ : « **إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ ، قَالَ المُصْطَفَى : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ قَوْلَ الله تَعَالَى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾** »[2] .

شجر الدنيا منه ما يثمر في الصيف ، ومنه ما يثمر في الشتاء ، ومنه ما يثمر في الربيع ، ومنه ما يثمر في الخريف ، لكن شجر الجنة دائم العطاء ودائم الظل ودائم الثمار ، تدبر معي قول الملك الجليل جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة ٢٧ - ٣٤]

ثمر الجنة لا ينقطع ، وظل الجنة دائم لا ينتهي .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٢٧) في صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة شجر الجنة وهو في صحيح الجامع رقم (٥٦٤٧) .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٤٨٨١) في التفسير واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٨٢٨) في صفة الجنة ، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، والترمذي رقم (٢٥٢٦) في صفة الجنة .

(١) ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ اللهِ ﷻ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

أرجو أن تتصوروا معي بعض هذا النعيم إذا وقفنا على العنصر الثاني من عناصر اللقاء .

ثانيًا : أدناهم منزلة وآخرهم دخولا

تدبر معي لتتعرف على نعيم أدنى أهل الجنة ، وعلى نعيم آخر رجل يدخل الجنة لتتصور معي بعد ذلك أهل الدرجات العلى .

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « سَأَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَقَالَ : يَا رَبِّ مَا أَدْنَى أَهْلَ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟! فَقَالَ هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ فَيَقُولُ أَي رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا آخِذَاتِهِمْ فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلَ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ فَيُقَالُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ، فَيَقُولُ فِي الخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٢٤٤) في بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، ومسلم رقم (٢٨٢٤) في صفة الجنة في فاتحته ، والترمذي رقم (٣١٩٥) في التفسير ، باب ومن سورة السجدة .

نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ »[1].

الله أكبر !! هذه منزلة أدنى رجل في الجنة . فما بالك بأهل الدرجات العلى ؟!

أما آخر رجل يدخل الجنة ؟!! وحديثه في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ مَرَّةً وَهُوَ يَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً - أي : تلطمه وتضربه - فَإِذَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ : تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَيَقُولُ : أَي رَبِّ أُدْنُنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ ، أَدْنُنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا ، وَأَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَلَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنَّكَ لَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّه يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (١٨٩) في الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم (٣١٩٦) في التفسير ، باب ومن سورة السجدة .

فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ هِي أَحْسَنُ مِنَ الأَوَّلِينَ ، فَيَقُولُ : أَي رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا وَلَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ هَذِهْ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا ، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا سَمِعَ صَوْتَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ مَا يُرْضِيكَ مِنِّي ، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ قَالَ : يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ » .

فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مما أضحك ؟ فقالوا : مما تضحك ؟ قال : ضحك رسول الله ﷺ فقالوا : مما تضحك يا رسول الله؟ قال : « مِنْ ضحكِ رَبِّ العَالَمِينَ حِينَ قَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟ فَيَقُولُ : لَا اسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ »(١).

ثالثا : نعيم أهل الجنة

نعيم يفوق الوصف ، ويقصر دونه خيال أي بليغ أديب ، وأرجو أن نعلم ابتداءً أن أهل الجنة في الجنة متفاوتون في النعيم ، محال أن يكون

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٧١) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (١٨٧) في الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجًا . واللفظ له .

أهل الإيمان يتفاوت إيمانهم ويقينهم ويكونوا في درجة واحدة ، بل كل ينزل منزلة ودرجة في الجنة على حسب إيمانه ، ويقينه في الدنيا ، قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٩ - ٢١]

كما فضل الله ﷻ أهل الدنيا في الدنيا بالدرجات ، كذلك فضل الله ﷻ أهل الآخرة بالدرجات ، ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ .

فالناس متفاوتون في النعيم ففي صحيح البخاري يقول الحبيب المصطفى ﷺ : « **إِنَّ فِي الجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفْجُرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ** »[1].

وفى الصحيحين - وتدبر معي هذا الحديث الرقراق - أن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءُونَ أَهْلَ الغُرَفِ كَمَا تَتَرَاءُونَ بِالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ فِي الأُفُقِ فِي المَشْرِقِ أَوْ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** » قالوا : يا رسول الله تلك

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٩٠) في الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله وهو في صحيح الجامع رقم (٢١٢٦) .

منازل الأنبياء . لا يبلغها غيرهم . قال : « **بَلَى ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ** »[1].

ينظر أهل الدرجات الدَنِيَّا إلى أهل الدرجات العُلَى كما ينظر الآن أهل الدنيا إلى الكوكب الدري الغابر في السماء في المشرق أو المغرب ، فقال الصحابة : يا رسول الله هؤلاء - أي الذين نزلوا الدرجات العلى هم الأنبياء - والذين لا يشاركهم في منازلهم أحد ؟ فقال المصطفى ﷺ : « **لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ** » أي : ليسوا بأنبياء كما تظنوا ولكنهم رجال اتبعوا المنهج الرباني والدرب النبوي ، ولا شك على الإطلاق أن أعلى منزلة وأرفع درجة في الجنة منذ أن خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هي لنبينا ، وحبيبنا ﷺ .

تدبر معي قول النبي في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو « **إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِي الوَسِيلَةَ : حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَة** »[2].

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥٥٥) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٨٤١) في صفة الجنة ، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٣٨٤) في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه .

فالوسيلة هي أعلى درجات الجنة لا تنبغي البتة إلا لعبد واحد ، هذا العبد هو الحبيب ﷺ .

وإن سألتني أيها الحبيب الكريم عن طعام أهل الجنة ، وشرابهم ، وخدمهم ، وفرشهم ، وثيابهم فلن أزيدك أبدًا عن كلمات كريمات طيبات سأتلوها الآن على حضراتكم من كتاب رب الأرض والسماوات . فتدبر كلام خالق الجنات : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾ [المطففين ٢٢ - ٢٦]

ويقول جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة : ١٠ - ٢٣]

ويقول جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ

مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١٢ - ٢٢]

أما نساء أهل الجنة فوصفهم لا يقوى عليه بليغ، ولا يملكه أديب، زوجتك التي معك الآن في الدنيا إن كانت من الصالحين، ومن أهل الجنان فهي زوجتك كذلك في جنة الرحيم الرحمن، بعد ما يهيأها ربها ويعدها إعدادًا جديدًا يليق بكمال الجنة، وجمالها وحسنها، فسترى امرأتك في الجنة في ريعان الشباب في الثلاثين من عمرها، حتى ولو ماتت بعد المائة، في غاية الحسن والجمال والجلال، بل لو جامع الرجل نساءه في الجنة في اليوم أكثر من مرة لوجد المرأة بكرًا في كل مرة !!.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٤٠]

عُرُبًا: جمع عَرُوب، والعروب في اللغة هي المرأة التي لا تحسن إلا أن

تقول لزوجها كلامًا رقيقًا جميلًا ، لا تستطيع أن تقول لزوجها كلمة سيئة ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ أي : في سن واحدة لأهل اليمين ، ومع امرأة الدنيا ونساء الدنيا يمن ربنا جَلَّ وَعَلَا بالحور العين .

الحور : جمع حوراء ، والحوراء هي المرأة الشابة الحسناء الجميلة شديدة سواد العين ، والحوراء خلق ليس من جنس بنات آدم ، بل إن الحور خلق يهيئه الملك الغفور لأهل الجنة لا يعلم حسنه إلا الله . يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا في وصف الحور في أواخر سورة الرحمن : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٠ - ٧٨]

فتبارك الله أحسن الخالقين حور وما أدراك ما الحور !!

يقول المصطفى ﷺ في وصف الحور والحديث في صحيح البخاري ... « **لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا لَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَنِصِيفُهَا** - يعني خمارها - **خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** »[1].

وفى رواية أحمد وأبى يعلى بسند حسن أن النبي ﷺ قال « **يَنْظُرُ أَحَدُهُمْ**

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٦٥١) في فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل الغزو والرواح في سبيل الله وقال : هذا حديث صحيح .

وَوَجْهُهُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ المِرْآةِ وَإِنَّ اللُّؤْلُؤَةَ الوَاحِدَةَ عَلَى رَأْسِهَا لتُضِيءُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ » .

وفى الصحيحين من حديث أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَة مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، طُولهُا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا** – وفى رواية عرضها – **لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا** »[1].

بل وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « **لُكِلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ** – أي من الحور – **يَرَى مُخَّ سُوقِهَا مِنْ وَرَاء اللَّحْمِ مِنَ الحُسْن لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا** »[2].

الله أكبر .. !!

بل من أعجب ما قرأت أن النبي ﷺ قد قال : بأن الحور سيستقبلن أزواجهن من أهل الجنة بالغناء بأحسن الأصوات ، فما سمع أحد صوتًا بهذا الجمال قط ، كما في الحديث الذي رواه الطبراني من حديث ابن عمر

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٢٤٣) في بدء الخلق ، باب صفة الجنة ، ومسلم رقم (٢٨٣٨) في صفة الجنة ، باب في صفة خيام الجنة ، والترمذى رقم (٢٥٣٠) في صفة الجنة .

(٢) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٢٤٥) في بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ومسلم رقم (٢٨٣٤) في الجنة ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والترمذي رقم (٢٥٤٠) في صفة الجنة .

وصحح الحديث الألباني في صحيح الجامع قال : « **وَإِنَّ مَا يَتَغَنَّيْنَ بِهِ الْحُورُ لِأَزْوَاجِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَقُولُ الْحُورُ : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتْنَ نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا يَخَفْنَ ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنَ نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانُ أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ** » .

والآن تدبر معي العنصر الرابع من عناصر اللقاء .

رابعًا : هل رضيتم ؟!

اعلم علم اليقين أن نعيم الجنة الحقيقي بعد كل هذا قد لا يساوي شيئًا إلى جوار أعلى ، وأعظم ، وأجل نعيم ، وهل في الجنة ما هو أجل من هذا ؟! وهل في الجنة ما هو أعلى من هذا ؟! نعم .. ليس نعيم الجنة الحقيقي في لبنها ولا عسلها ولا مائها ولا خمرها ولا فضتها ولا ذهبها ولا حورها ولا قصورها ، وإنما أعظم وأعلى نعيم في الجنة في رؤية وجه رب البرية يقول تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢- ٢٣]

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ .. فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلَ رَضِيتُمْ ؟! فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا قَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ : أَيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ**

عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا »[١].

وفي رواية صهيب الرومي ﷺ في صحيح مسلم يقول المصطفى ﷺ : « **فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فَمَا أعطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ لله جَلَّ وَعَلَا** »[٢].

ما الحجاب ؟!

حجاب من النور كما في صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن الحبيب النبي ﷺ قال : « **إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يُخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ**[٣] **يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَاحْتَرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** »[٤]

هذا في الدنيا لأن الناس في الدنيا ليسوا مهيئين ، ولولا أن الله يهيئهم في الجنة للرؤية لوقع بهم ما وقع للجبل الذي تجلى عليه ربه ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ الله يهيئ أهل الجنة فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم

(١) متفق عليه : رواه البخاري رقم (٦٥٤٩) في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٨٢٩) في صفة الجنة ، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ، والترمذي رقم (٢٥٥٨) في صفة الجنة .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٨١) في الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ والترمذي رقم (٢٥٥٥) في صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

(٣) أي يخفض الله الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ، ويوزن من أرزاقهم النازلة .

(٤) صحيح : رواه مسلم رقم (١٧٩) في الإيمان ، باب في قوله ﷺ : إن الله لا ينام .

من النظر لله جَلَّ وَعَلَا .

قال تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس : ٢٦]

الحسنى : هي الجنة بكل ما فيها من نعيم ، والزيادة هي النظر إلى وجه ربنا الكريم .

أسال الرب جَلَّ وَعَلَا أن يجعلني وإياكم من أهل الجنان برحمته وكرمه إنه الرحيم الرحمن ، بقي أن نتعرف في عجالة سريعة جدا عن الطريق إلى الجنة وذلك بعد جلسة الاستراحة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك عليه ، وعلى أهله وأصحابه وأتباعه ، وعلى كل من اهتدى بهديه ، واستنى بسنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

أخيرًا : فما الطريق إلى الجنة ؟!

أستطيع أن أضع بين أيدي حضراتكم علامات ضوئية على هذا الطريق العظيم ، وأول علامة ضوئية على طريق الجنة هي .

أولا : الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا :

فلا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة زكية . قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧]

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]

ثانيًا : العمل الصالح :

قرين الإيمان لا ينفك ، فالإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان ، وعمل بالجوارح والأركان .

ثالثا : بناء المساجد :

في صحيح البخاري من حديث عثمان أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ** »[1] وفى رواية أحمد « **مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ وَلَوْ كَمِفْحَصِ قَطَاةٍ** - أي : بمقدار عش الطائر - **بَنَى**

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٤٥٠) في المساجد ، باب من بنى مسجدًا ، ومسلم رقم (٥٣٣) في المساجد ، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ، والترمذي رقم (٣١٨) في الصلاة ، باب ما جاء في فضل بنيان المساجد.

اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ » .

رابعاً : الجهاد :

أسأل الله أن يرفع علمه ، وأن يقمع أهل الزيغ والفساد ، الجهاد طريق إلى الجنة بلا نزاع ، والأحاديث في ذلك كثيرة جدا ، فصَّلناها في خطبة كاملة [1] بل ، وأنا أقول إن الجهاد ليس طريقًا إلى الجنة فحسب بل إن الجهاد هو الطريق الوحيد بعد الإيمان ، والعمل الصالح لسعادة الأمة ، وكرامة الأمة ، فلا عز للأمة إلا أن صححت عقيدتها ، وآمنت بربها ، ورفعت راية الجهاد في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا .

خامسًا : ذكر الله وتسبيحه :

روى الترمذي في سننه بسند حسنه الألباني أن النبي ﷺ قال : « **لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام ، **فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَقْرِأْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غَرْسَهَا ، سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ** » .

هذا غرس الجنة ، اغرس لنفسك في الجنة بالتسبيح .

في صحيح مسلم وغيره من حديث أم حبيبة أن النبي ﷺ قال : « **مَنْ**

---

(١) انظر خطبة (سلعة ثمنها الجنة) الجزء الثالث المجلد الأول .

صَلَّى للهِ اثْنَتَي عَشَرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ »[1].

وفى لفظ لأم حبيبة أيضًا : « مَنْ صَلَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ » أي : قبل صلاة الصبح .

فيا أيها الحبيب إيمان بالله ، واتباع للنبي ﷺ ، وجهاد في سبيله ، وصبر على الشهوات ، ومجاهدة على النفس الأمارة بالسوء ، وسير على طريق النبي ﷺ ، حتمًا سترى في نهاية هذا الطريق حبيبك المصطفى ينتظرك على الحوض ؛ ليسقيك بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا تظمأ بعدها أبدًا .

... الدعـــــاء

(١) رواه مسلم رقم (٧٨٢) في صلاة المسافرين ، باب فضل السنن الراتبة واللفظ له ، ورواه أيضًا أبو داود رقم (١٢٥٠) في الصلاة ، باب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة ، والترمذي رقم (٤١٥) في الصلاة ، والنسائي (٣/ ٢٦١) في قيام الليل .

فهرس الجزء